جامعة سعيدة

كلية الآداب واللغات والفنون

الإشعاع

في اللسانيات والترجمة

دورية علمية أكاديمية دولية محكمة

العدد الحادي عشر: ديسمبر 2018

ISSN : 2392-5086

بسم الله الرحمن الرحيم

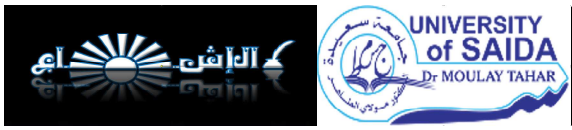

الإشعاع

المجلّة العلميّة الأكاديميّة الدّوليـة المحكّمة

رقم الإيداع القانوني لــدى المكتبة الوطنية الجزائرية:
2014/3586

التّرقيم الدّولي المعيـــــــــــاري للمجلّة (ر د م د):

ISSN: 2392-5086

التّرقيم الدّولي الإلكتروني المعياري للمجلّة (إ ر د م د):

EISSN: 6146-2600

عنوان المجلّة في موقع البوابة الجزائرية للمجلّات العلمية
Algerian Scientific Journal Platform
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/140

كنوز للكتاب
طباعة-نشر-بيع كتب-تصميم مواقع الأنترنت
Adresse: Terrain Boudghéne Ain Nedjar Tlemcen
tél:0770332790
tél/fax:043384060
kkounouz@yahoo.fr

توجّه المقالات المطلوبة للنشر في المجلّة إلى رئيس التّحرير عبر البوابة الجزائرية للمجلّات العلمية:

Algerian Scientific Journal Platform

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/140

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

وتوجّه المراسلات الأخرى إلى رئيس التّحرير دائما عبر البريد الإلكتروني التّالي: **lingtrans.labo@gmail.com**

◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊◊

أو توجّه إلى أمانة المجلّة عبر العنوان التّالي:

مجلّة الإسعاع، مخبر اللّسانيات والتّرجمة، جامعة الدّكتور طاهر مولاي، ص. ب: 138، حي النّصر، سعيدة (20000)، الجزائـــر

Email: elishaajournal1@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة © لمجلة الإسعاع

وكل طبعٍ للمجلّة أو نشرها كاملة أو نشر جزءٍ منها دون الموافقة والحصول على إذنٍ خطّي من مدير المجلّة، تُحمّل صاحبها كامل مسؤولياته وتعرّضه للمتابعة القضائية.

جامعـــة سعيـــدة- الجزائـــر

University of Saida - Algeria

كلّية الآداب واللّغات والفنون

Faculty of Languages, Letters and Arts

الإشعاع

مجلة علميّة أكاديمية محكّمة دولية

تصدر عنْ مخبر اللّسانيات والتّرجمة

مدير المجلّة / مسؤول النّشر

ورئـــــس التّحريـــــر

أ.د. أحمد طيبي (جامعة سعيدة)

هيئة التّحرير الدّوليـــة

- أ.د. امحمد الملاخ (جامعة القاضي عياض بآسفي، المغـــــــــرب)
- د. أحمد الحسن إسماعيل الحسن (الجامعـــــة الهاشمية بإربد، الأردن)
- أ.د. مصطفى بوعناني (جامعـــــــــــــة قطر بالدّوحة، قطر)
- د. أحمد بغداد بلّية (المركز الجامعي بالنّعامـــــــــــــة، الجزائر)
- أ.د. محمد داؤد محمد داؤد (جامعـــــة السّودان للعلوم والتّكنولوجيا)
- أ.د. مختار درقاوي (جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلـــــــــف، الجزائر)
- أ.د. هواري بلقندوز (جامعة الدّكتـــــور مولاي الطّاهر بسعيدة، الجزائر)
- د. عبد الغني شوقي موسى الأدبعي (جامعة الملك خالد، السّعودية)
- د. عبد القادر بوشيبة (المركز الجامعـــــــــــــي بمغنية، الجزائر)
- د. جيلالي بوعافية (جامعـــــــــــة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر)
- د. يحيى شعيب (جامعة الدّكتور مولاي الطّاهـــــــر بسعيدة، الجزائر)

التّنضيد والإخراج الفنّـــي

أ.د. أحمد طيبـــــي

الإسْعاف

المجلّة العلميّة الأكاديميّة المحكّمة الدولية
المجلّد 5 العدد 2، ديسمبـــــــر 2018

الهيئـــة العلميّـــة

- أ.د. عبد الجليل مرتاض، جامعة أ. بكر بلقايد، تلمسان، الجزائـــــر.
- أ.د. عبد القادر فيدوح، جامعة قطر بالدّوحـــــــــــة، قطر.
- أ.د. عبد العزيز احميد، جامعة س. بن عبد الله، فاس، المغـــرب.
- أ. د. أحمد حساني، كلية الدراسات الإ. والعربيـــة، دبي، الإمـارات.
- أ.د. فتحي أبو مراد، جامعـــــــــة البلقاء التطبيقية، الأردن.
- أ.د. ياسر إبراهيم الملاح، جامعة القدس المفتوحـــة، فلسطين.
- أ.د. أحمد يوسف، جامعة السلطـــان قابوس، عمـــــــان.
- أ.د. سيدي محمد غيتري، ج. أ. بكر بلقايد، تلمســان، الجزائـــر.
- أ.د. محمد داؤد محمد داؤد، جامعة السّودان للعلوم والتّكنولوجيا.
- أ.د.مبارك حنون، جامعة قطـــــــــــر بالدّوحة، قطر.
- أ.د. مصطفى بوعناني، جامعة قطر بالدّوحـــــــــة، قطر.
- أ.د. محمد ملياني، جامعة السانية، وهـــران، الجزائـــــــر.
- أ.د.علي حسين فيّاض، المعهد الدّولي للتّدريب، مسقط، عمـــان.
- أ.د. رشيد بلحبيب، جامعـــة محمد الأوّل، وجـــدة، المغـــرب.
- أ.د. مختار درقاوي، حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائـــــــر.
- أ.د. أحمد طيبي، جامعة الدكتور طاهـر مولاي، سعيـــدة، الجزائر.
- أ.د. إنعام بيوض، المعهد العالـي للترجمة، الجزائـــــــــر.
- أ.د. كمال حامد عبد الله، جامعـــــــــــة بحري، السـودان.
- أ.د. هواري بلقتدوز، جامعـــة طاهر مولاي بسعيـــدة، الجزائـــر.
- أ.د. امحمد الملاخ، جامعـــــــة القاضي عياض بآسفي، المغرب.
- أ.د. فوزي علي علي صويلح، جامعـــــــــــة إب- اليمن.
- أ.د. شفيقة العلوي، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائـــــر.

• التعريف بالمجلة:

الإشعاع مجلة علمية أكاديمية دولية محكّمة نصف سنوية، تصدر دورياً في نسختها الورقية والإلكترونية، عن مخبر اللّسانيات والتّرجمة التّابع لجامعة الدّكتور طاهر مولاي بسعيدة، الجزائر، تحت إشراف نخبة من الباحثين، من داخل الجزائر وخارجها، المشهود لهم بالكفاءة والمشكّلين لهيئتها العلمية، متخصّصة في مجال اللّسانيات والتّرجمة؛ فهي تعنى بنشر المقالات العلمية باللغات الثلاث العربية والفرنسية والإنجليزية التي تعالج المواضيع اللّسانية في مختلف فروع اللّسانيات النّظرية والتّطبيقية، فضلا عن اهتمامها بنشر المقالات التي تبحث في الترجمة وأمورها منفصلة كانت أم في علاقتها باللّسانيات، كما أنّها ترحّب بنشر المقالات المترجمة، متيحةً بذلك مجالاً أرحب للباحثين الجادّين من الأكاديميين الأساتذة والطّلبة والمهتمّين بمجال اختصاصها من العرب وغيرهم لنشر أبحاثهم.

• شروط النّشر في المجلّة:

يجب أن يلتزم المؤلف التزاماً كاملاً بشروط النّشر التّالية:

- يجب أن يكون المقال أصيلا مبتكراً لم يسبق نشره ولم يُقدم إلى مجلةٍ أو هيئةٍ أخرى للنّشر.
- أن يلتزم المؤلّف بالأدبيات والقواعد المعمول بها في إعداد الأبحاث العلمية.
- أن يلتزم المؤلّف بمراجعة مقاله وتدقيقه لغويّاً ويتأكّد من سلامته أسلوباً قبل إرساله للمجلة.
- أن يتراوح حجم المقال بين (10) و(16) صفحة.
- التزام المؤلّف بتعديل مقاله وتصحيحه وفقاً لملاحظات هيئة التّحرير و/أو المحكّمين.
- أن يخصّص المؤلّف الصفحة الأولى من مقاله لكتابة عنوان المقال بلغة المقال وكذا باللّغة الإنجليزية، وإذا كان المقال باللّغة الإنجليزية، تعاد كتابة عنوانه باللّغة العربية. ثم يكتب المؤلّف / المؤلّفين، أسفل العنوان، اسمه / أسماءهم والدّرجة العلمية، اسم المؤسّسة التي ينتمي / ينتمون إليها والبلد، ثمّ ملخّصاً للمقال بلغة المقال والإنجليزية، وإذا كان المقال مكتوباً بالإنجليزية، يكون ملخصه بلغة المقال ثم بالعربية، على ألّا يزيد حجم الملخّص عن (9) أسطر، ثمّ الكلمات المفاتيح الذي يجب أن تتراوح بين (5) و(8) كلمات.
- أن يقدّم المؤلّف لمقاله بمقدّمة مناسبة متضمّنة لكلّ مواصفات التقديم بما في ذلك

ذكر الإشكالية ومنهجية المعالجة والأهـداف المتوخاة من المقال...على ألّا تطول أكثر من اللّازم، وأن يختمه بخاتمة يجمع فيها نتائج بحثـــــــــــه في موضوع المقال.

- أن يقوم المؤلّف بترقيم عناوين مقاله الرّئيسية والفرعية بالكيفية المناسبة.
- أن يحرص المؤلّف على وضـــــع علامات التّرقيم (النّقطة، والفاصلة، والفاصلـــــة المنقوطة...) في أماكنها المناسبة ملتصقةً بالكلمـــة السّابقة عليها.
- أن يضع الأشكال والخطاطات على شكل صورة (JPEG) (JPG).
- أن يضع الإحالات/ الهوامش في آخر المقـــــال، ويستغنى بها على إيراد قائمة للمصادر والمراجع، على أن تأخذ الشّكل التالي:
  - إذا كانت الإحالة كتابا؛ يُكتـــب (عنوان الكتاب، صاحبه، دار النّشـــر، مكان النّشر، عدد الطبعة، سنة الطبع، الجزء، الصّفحة).
  - إذا كانت مقالا؛ يُكتـــب (عنوان المقال، صاحبه، اســـــم المجلّة، الهيئة التي تصدرها، عددالمجلّة، تاريخ إصداره، الصّفحة.
  - إذا كانت موقعا إلكترونيا؛ يُكتـــب (عنوان المقال، صاحبـــه، عنوان الصفحة الإلكترونية في الشّابكة، عنوان الموقـــــع (URL)، تاريخ تصفّح الموقع (اليوم، الشهر، السنة).

الإشعاع وقواعد البيانات والفهارس الوطنية والعالمية:

مجلّة الإشعاع متاحة في قواعد البيانات والفهارس الوطنية والعالمية التّالية:

- قواعد البيانـــــــات الجزائرية (CERIST).
- البوابة الجزائرية للمجلّات العلمية (ASJP)؛

Algerian Scientific Journal Platform

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/140

- قاعدة بيانات شركة «المنهل» للنّشر الإلكتروني دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة.

إن إتاحة مجلة الإشعاع للعرض في قواعد البيانات المذكورة لا يعتبر، بأيّ حالٍ من الأحوال، بيعاً أو تنازلاً عن حقوقها لهذه الأطراف، بقدر ما يعبّر عن احتفاظ المجلة بأحقّية ملكية كامل ما ينشر فيها من مقالات وأبحاث علمية.

كلمة المجلّة

باسم الله والحمد لله والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، وعلى آله الطّيبين، وصحابته أجمعين، أمـّا بعد؛

بداية نقول أنّنا نتوسّم من الإشعاع ، المجلّة العلمية الدّولية المحكّمة، أنْ تكون مصدرَ إشعاع وتنوير فعليّ في مجال اختصاصها (اللّسانيات والتّرجمة)، مُشعّةً بالعلمِ والمعرفة الجادّة والرّصينة، داعمةً للبحث العلمي، مفعّلةً له، مساهمةً في إثرائه، معبّرةً عن انشغالات وتوجُّهات هيئتها التوّاقة دوماً إلى نشر المعرفة وجعلها مشاعةً لدى جميع المهتمّين.

غمرتْنا الفرحة وسعدنا كثيراً لتوفيقنا في استكمال المحطة الحادية عشرة من محطات الدّرب الذي ارتضيناه واستصدار العدد الحادي عشر من الإشعاع لمسيرةٍ نريدها أنْ تتواصل دون توقّف بإذن الله، وتتعزّز وتكتملُ مع كلّ إصدار جديد بمساهمة الباحثين الأكاديميين.

إنّ هدف المجلّة في الأساس هو الانخراطُ والمساهمةُ في إضافة الجديد المميّز إلى النزْر القليل من المجلّات المتخصّصة في هذا المجال الصّادرة عن بعض الهيئات العلمية التي يمكن التّفاعل معها ومبادلتها الأفكار والتّجارب، ومشاركتها المشاريع الدّراسية منْ أجل خلق بيئات بحثية مؤاتية، تأخذ بأيدينا رأساً إلى تنميةٍ معرفيّة تؤثّر في سيرورةً حياتنا العلمية المعاصرة، وتزيد منْ تقليص حجم الفجوة التي تفصلنا عنْ مراكز البحث الدّولية الرّائدة في هذا المجال، مساهمةً في بناء مجتمع المعرفة الذي ننشده.

والإشعاع تحاول شقّ الطّريق أمام الباحثين الجادّين القادرين على الإبْداع والابْتكار، يحْدوها الأمل أنْ يجدوا فيها ميداناً خصباً لجهودهم وأبحاثهم التّخصّصية النّظرية منها والتّطبيقيّة المتّصلة بواقع الإنسان، ومرتعاً يُشبع نهمَهم

المعرفي، ويسدّ حاجاتهم الثّقافية، راجيةً التّوصل في النّهاية إلى بحث علميّ حقيقيّ ذي قيمة، يعتمد معايير الجودة في الأساس، ويكون رفداً لعلوم اللّسان والتّرجمة وللهيئة العلمية المشرفة على المجلّة ويعْضد إزرها.

نحرص أنْ يتناول كلّ عدد من الإشعاع أعمالاً ومواضيع بحثية متنوّعة تختلف رُؤاها ومرجعياتها وتتلوّن طرق معالجتها باللّغات الثلاث؛ العربية، والإنجليزية، والفرنسيّة، تكون قد خطّتْها أنامل مجموعة من الكفاءات العلمية المؤهّلة من البلاد العربية والأجنبية، ما يعبّر عن جسرٍ معرفيّ فكريّ حقيقيّ تتطلّع إليه مجلّتنا الغرّاء الإشعاع.

ولا يفوت الإشعاع أنْ تتوجّه بخالص الشّكر وجميل التّحايا إلى كلّ الباحثين الذين يضعون ثقتهم فيها ويتقدّمون لها بما تجود به قرائحهم من أبحاث علميّة رصينة جادّة، والشّكر موصولٌ كذلك إلى هيئة قراءة المجلة وإلى الهيئة الاسْتشارية وهيئة التّحرير وإلى كلّ المساهمين في صدور أعداد المجلة.

والتّعويل كلّ التّعويل، في قادم أعْدادنا، على مساهمات باحثينا الأفاضل منْ ربوع الوطن العربي ومنْ خارجه ممّنْ لم تُتَح لهم فرصة المشاركة في الأعداد السابقة من الإشعاع، وعلى عطاءاتهم النّوعية المتجدّدة بغية الارْتقاء بالبحث العلمي اللّساني والتّرجمي المتخصّص، بدأبٍ وإصرار، إلى الأحْسن دوْماً.

والمجلّة ترحّب بكلّ الرّؤى والأفكار والاقتراحات لتَخطّي كلّ الهفوات والسّقطات وتجاوزها في قابل أعدادها بإذنه تعالى.

والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل

مدير المجلّة رئيس التّحرير؛ أ.د. أحمد طيبي

فهرس المحتويات

الموضـــــــــــــــــــــــــــوع	الصّفحة
كلمة المجلـــــة	10
الازدواج اللّغوي في اللّوحات الإشهارية للمحلات التّجارية بمدينة أبها أ.د. عبد الحميد سيف الحسامي وآخـــــــرون، جامعة الملك خالد، السّعودية.	15
الحاسوب والمعالجـــــة الآليّة للّغة العربيّة ـ تنظيرورصد للمنجز- دة. جميلة غريّب، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.	31
المكوّن غير اللّغوي ودوره في إنتـــاج الخطاب عند ابن جني في كتابه «الخصائص» د. أيمن محمود محمد إبراهيم، جامعة الملك خالد، السّعودية.	55
شروح الآجرّوميـــــــــــة و أثرها في تعليميّة النّحو مجدوب تيلولي، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر.	69
لفظ الجلالة بين التداول الأسلـــــوبي والاستعمال المجازي د. يحيى شعيب، جامعة الدّكتور طاهر مولاي بسعيدة، الجزائر.	83
قاموس الممتـــــــاز المدرسي -دراسة في المنهج والتّعريـف- إيمان عاشور ، جامعـــــــــــــة قسنطينة، الجزائر.	95
الأصول اللغويّة للّهجة التّيارتيّة -منطقة تخمارت أنموذجا- خديجة بن سعيد، جامعـــة أحمد بن بلة 1، وهران، الجزائر.	107
التّماثل التّأويلي بين النّصّ الأصْـــــــــل و النّصّ الهدف في ضوء نظرية الملاءمة قويدر يوسف، معهد الترجمة، جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة، الجزائر.	123
إشكـــــــالات ترجمة الشّعر في ضوء نظرية التّلقي عائشة دوبالة، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر.	139

تداوليةُ الطّلـــــــب في القَصَص القُرآني – الأمرُوالنّهي في سورة يوسف أُنْموذجاً – فتيحة باريك، جامعـــة أدرار، الجزائـــر.	157

الازدواج اللغوي في اللوحات الإشهارية للمحلات التجارية بمدينة أبها

Linguistic duality in posters of trading stores in Abha City

أ.د. عبد الحميد سيف الحسامي (باحث رئيس)، جامعة الملك خالد، السعودية.
د.عبدالغني شوقي الأدبعي (باحث مشارك)، جامعة الملك خالد، السعودية.
د. عبد الله علي الحوزي (باحث مشارك)، جامعة الملك خالـــــد، السعودية.
د. فوزي علي صويلح (باحث مشارك)، جامعة الملك خالـــــــد، السعودية.
د. حسن أحمد حيدر (باحث مشارك)، جامعة الملك خالـــــــــد، السعودية.
د. إبراهيم محمد أبو طالب (باحث مشارك)، جامعة الملك خالـــد، السعودية.
د. عبد القوي علي العفيري (باحث مشارك)، جامعة الملك خالد، السعودية.

ملخّـــــص

يعد التداخل بتن اللغات من مظاهر تأثير العامل الحضاري، ويلعب الجانب الاقتصادي والتجاري دوراً كبيراً في هذا التداخل، فينعكس ذلك على المجتمعات، وهذا البحث بعنوان (الازدواج اللغوي في اللوحات الإشهارية للمحلات التجارية بمدينة أبها)، يهدف إلي دراسة الازدواج اللغوي في اللوحات الإشهارية للمحلات التجارية بمدينة أبها السعودية، وعوامل هذا الازدواج وأشكاله وعلاقته بالإشهار.

الكلمات المفاتيح: الازدواج اللغوي ، عوامل الازدواج ، الإشهار ، أشكال الازدواج.

Abstract

The overlap between languages is a manifestation of the influence of the civilizational factor. The economic and commercial aspect plays a large role in this overlap, and this is reflected in the societies. This research is entitled (The Bilingualism of language in the advertising boards of shops in Abha city).

It aims at studying the Bilingualism language in the advertising signs of shops in the city of Abha Saudi Arabia, and the factors of this duplication and its forms and its relation to advertising.

Key words: language pairing - duplication factors - publicity - forms of duplication.

مقدمـــــة: [1]

الحمد لله الذي علم بالقلم وأنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فإذا كان الماء هو مادة الحياة فإن اللّغة هي مادة الإشهار، فلم تعد وظيفة اللّغة تقتصر على التّواصل فحسب، بلْ هي هوية وانتماء كذلك، فهوية كل مجتمع تتأسّس على لغتـــــــه.

وتعدّ ظاهرة الإشهار التّجاري من الظّواهر التي أخذت بعداً تواصلياً عالمياً بفعل اتّساع التّجارة العالمية وتنوّع وسائل الاتّصال وانتشارها.

وهذا البحث يثير قضيةً تتعلّق بالأمن اللّغوي في المجتمعات العربية من خلال دراسة عينة متمثّلة بمدينة عربية، فهو يلقي الضّوء على(الازدواج اللّغوي في اللّوحات الإشهارية للمحلات التجارية بمدينة أبها)، فالمتأمّل لظاهرة تسمية المحلات التّجارية في المجتمع العربي بمسمياتٍ أجنبية يجد الأمر مفزعاً ومؤذناً بغياب الهويّة اللّغوية عن الأجيال اللاحقة بتأثير العاملين: الحضاري عموماً والاقتصادي خصوصاً، فلهما تأثير كبير في انتشار اللّغات قديماً وحديثاً.

مشكلة البحث وأهدافه:

تكمن مشكلة البحث في الازدواج اللغوي أو ما يسمى بالثنائية اللغوية في اللوحات الإشهارية للمحلات التجارية بمدينة أبها.

ويهدف هذا البحث إلى:

- إبراز مشكلة البحث على المستويين: الرسمي والأكاديمي وبيان خطورتها على المجتمعات العربية.
- الكشف عن عوامل هذه الظاهرة وأشكال الازدواج اللغـــــوي في اللوحات الإشهارية.
- توضيح علاقة الإشهار باللغة واقتراح ضوابط للإشهار التجاري المستمد من اللغة العربية، المحقق للهوية اللغوية.

أقســـــــام البحث:

لقد تناول هذا البحث بعد المقدمة المحاور الآتية:

- تحرير مصطلح الازدواج اللغوي، وبيان عوامله.
- تعريف الإشهار وأنواعه وعلاقتـــــــه باللغة.
- عرض أشكال الازدواج اللغوي وهوية الحَرْف في اللوحات الإشهارية.

- مقترحات لضوابط البعد العالمي في الإشهار التجاري.
- الخاتمة.

حدود البحث المكانية:

انطلق هذا البحث من اختيار مدينة أبها بالمملكة العربية السعودية نموذجاً لدراسة هذه الظاهرة، وتعد هذه المدينة العاصمة الإدارية لمنطقة عسير بالمملكة العربية السعودية حيث بها قصر الإمارة وفروع المؤسسات الحكومية المختلفة، وهي مدينة سياحية شهرة اختيرت عاصمة للسياحة العربية (2017)م[2]، ويفد إليها كثير من السياح، وبها كثير العمالة الأجنبية من دول مختلفة.

أولا: الازدواج اللّغوي وعوامله:

1 - تحرير المصطلح:

لعل لفظ الازدواج جديد على المعاجم العربية؛ فهو لم يرد بهذا اللفظ في المعاجم القديمة، وقد جاء تفسير الأصل اللغوي لهذه اللفظة عند ابن فارس، قال: الزاي والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء ومن ذلك : الزوج : زوج المرأة والمرأة زوج بعلها.»[3]

وازدوج صيغة افتعل من (زوج) أصلها (ازتوج)، أبدلت فيها التاء إلى دال لوقوعها بعد الزاء المجهورة، فصارت (ازدوج).

وقد جاء تفسير دلالة هذه اللفظة في المعاجم الحديثة ومنها:

ازدوج الشيء، أي: صار اثنين، وازدواج الشخصية: حالة الفرد إذا كان له نوعان من السّلوك أحدهما سويّ وثانيهما مرضيّ لا إراديّ ، وازدوج لسانه: استعمل الفصحى واللغة الدارجة[4]، والازدواج اللغوي : التمكن من لغتين في آن واحد في بعض البلدان.[5]

والمعنى الجامع للفظ الازدواج فيما سبق هو انقسام الشيء إلى شقين أو نوعين.

- الازدواج اللّغوي في اصطلاح اللّغويين المعاصرين:

لا يوجد اتفاق بين الباحثين المعاصرين على المراد بالازدواج اللغوي، حيث يوجد اتجاهان أو معنيان للمراد من هذا المصطلح:

- المعنى الأول: استعمال مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة:

يطلق بعض الباحثين مصطلـــــح الازدواج (Diglossia) على «وجود مستويين لغويين في بيئة واحدة»[6]، أي لغة للكتابة وأخرى للمشافهة، أو لغة للحياة اليومية

العادية وثانية للعلم والفكر والثقافة والأدب. [7]

وأول من استعمل مصطلح الازدواج بهذا المفهوم في الإنجليزية شارلز فرجسون Charles Ferguson في عام 1959م في مقـــــال نشره في مجلة[8] Word، وقد تعرض في مقاله لعدة لغات تتمثل فيها ظاهرة الازدواج ، ومنها اللغة العربية، ووضع تسعة معايير لازدواجية اللغات هي: الوظيفة، والمقام، والتراث الأدبي، والاكتساب، والتقييس، والثبات، والقواعد، والمعجم، والفونولوجيا.

ويعد المعيار الأول (الوظيفة) من أهم المعايير حيـــث يوجد في اللغة العربية شكلان لغويان لكل منهما وظيفة اجتماعية محددة، فاللغة الفصحى (اللهجة العليا) تستعمل في مواقف لا تستعمل فيها اللهجة الدنيا، أي: الأشكال العامية المختلفة ... ومن المشترط لحدوث الازدواجية اللغوية لديه أن تكون اللهجة العليا لا تستخدم للمحادثة من قبل أي قطاع من المجتمع وهذه النقطة أساسية لتمييز ازدواجية اللغة عن اللهجة النموذجية ذات اللهجات الإقليمية[9]، وقد استعمل بعض الباحثين العرب مصطلح الازدواج بهذا المعنى. [10]

- المعنى الثاني: استعمال لغتين مختلفتين في بيئة لغوية واحدة:

ويسمى بالثنائية اللغوية (Bilingualism) وهو «وجود لغتين مختلفتين(قومية وأجنبية) عند فرد ما أو جماعة ما في آن واحد»[11] أو «هو الصراع بين اللغة العربية وبين اللغات الأجنبية»[12] ويتبادل المصطلحان الازدواجية والثنائية المواقع بوضع أحدهما موضع الآخر من قبل الباحثين، ولكل مسوغاته، فالمصطلح لم يكتسب دقة التحديد بعد.

وقد اعتمد الباحث المعنى الثاني للازدواج اللغوي؛ لأن في معنى الازدواج التعدد ومن ذلك يفهم تعدد اللغة في بيئة واحدة، وأما اعتبار استعمال العامية مع الفصيحة ازدواجا فلا يراه كذلك؛ لأنه عبارة عن صورة من صور الاستعمال.

واختلاف لهجات الناس في البيئة الواحدة يعد أمراً طبعياً، فأن يكون للغة الواحدة مستويان أو أكثر، مستوى للفكر والثقافة والإبداع، ومستوى للحديث والتعامل اليومي، فهو أمر طبعي بل هو حتمي يقره الواقع وتاريخ اللغات نفسها.[13]

كما أنه يتبادر إلى ذهن الباحثين أن الازدواج اللغوي هو استعمال لغة أجنبية في البيئة العربية، ولذلك اعتمدنا مصطلح الازدواجية الذي يقصد به وجود لغتين مختلفتين(قومية وأجنبية) عند فرد ما أو جماعة ما في آن واحد.

2 - عوامل الازدواج اللغوي:

إن التأثير والتأثر بين الشعوب من سمات حياتها ووجودها، ويعد التداخل اللغوي من أكثر المظاهر الدالة هذا التأثير، ولذلك رصد العلماء لهذه الظاهرة مجموعة من العوامل من أهمها:

- العامل النَفسي:

لقد انبهر العرب بحضارة الغرب وهذا الانبهار مرده إلى الجانب النفسي لدى المتلقي العربي الذي تلقى هذه الحضارة في ظل ضعف فردي ومجتمعي وحضاري للأمة العربية، وتمثل مقولة ابن خلدون تشريحا صادقاً للجانب النفسي للمغلوب حيث يقول في مقدمته: «إن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده .... والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبعي إنما لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاد فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء ... ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله.»[14]

ومن الحالات التي تتغلب فيها لغة على أخرى كما ذكر علي عبد الواحد وافي: «أن يكون الشعب الغالب أرقي من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغته، وأشد منه بأساً وأوسع نفوذاً ففي هذه الحالة يكتب النصر للغته فتصبح لغة جميع السكان.. والأمثلة على ذلك كثيرة ....فقد نجم عن فتوح الغرب في آسيا وأفريقيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللغات السامية الأخرى.» [15]

- العامل الاقتصادي:

لعل هذا العامل من أكثر العوامل تأثيراً في ظاهرة التداخل الازدواج اللغوي في المجتمعات، ولقد انتشرت اللغة العربية في كثير من مجتمعات شرق آسيا عن التجارة والتجار العرب، الذين ما زالت لهم لمسات شاهدة إلى هذا العصر. «فمن عوامل الاحتكاك اللغوي العلاقات التجارية بين شعبين مختلفي اللغة، وذلك أن منتجات كل شعب تحمل معها أسماءها الأصلية فلا تلبث أن تنتشر بين أفراد الشعب الآخر، وتمتزج بمتن اللغة وكثرة الاحتكاك التجاري بين أفراد الشعبين ينقل إلى لغة كل منهما آثارا من اللغة الأخرى.»[16]

- العامل الحضاري والثقافي:

إن الحضارات التي نشأت باختلاف أجناسها ولغاتها كان لها دور كبير في انتشار

اللغات، فالحضارة الإسلامية التي نشأت في الأندلس والمغرب العربي كان لها دور كبير في انتقال المصطلحات العلمية والثقافية إلى دول أوربا وغيرها.

واليوم نجد الحضارة المعاصرة بما انتجته من وسائل تكنولوجية حديثة جعلت العالم كقرية صغيرة تدعمها فكرة العولمة التي تصدر كل مظاهر الحضارة الغربية ثقافيا وسياسيا واجتماعيا وغيرها.

وقد «كان من نتيجة هذه الحضارة أن تأثر العربي وهو في بيئته بها تأثر في أفكاره وتأثر في طريقة عيشه وفي جوانب عدة من حياته اليومية وصار العربي يقرأ ثمرات الفكر العربي في اللقاءات التي كتبت بها وكان من جراء ذلك أن العربية الحديثة قد أفادت الشيء الجديد أو قل دخل فيها شيء جديد من خصوصيتها ومن شكلها بوجه عام.»[17]

ومن عوامل الازدواج اللغوي «توثق العلاقات الثقافية بين شعبين مختلفي اللغة فإن ذلك ينقل إلى لغة كل منهما وبخاصة إلى لغة الكتابة آثارا كثيرة من الأخرى وهذه الآثار لا تقف عند حد المفردات بل تتجاوزها أحيانا إلى القواعد والأساليب ... ولغة الكتابة ... في العصر الحاضر قد انتقل إليها من هذا الطريق كثير من آثار اللغات الأوربية وبخاصة الإنجليزية والفرنسية.... وتتيح هذه العلاقة الفرص لاقتباس بعضها من بعض وتبادل المفردات والقواعد والأساليب.»[18]

ثانيا: الإشهار: تعريفه وأنواعه وعلاقته باللغة:

أ- تعريف الإشهار:

- الإشهار لغة:

جاء في قاموس المحيط أن الإشهار من (الفعل شهر يُشهر إشهارا وشهرة)، والشهرة بالضم. «ظهور الشيء والشهير والمشهور المعروف المكان وشهر الشيء رفعه على الناس.»[19]

وفي معجم المفردات العربية: «الشهرة وضوح الأمر، فشهر سيفه أي سلّه»[20]، وبهذا توحي كلمة الإشهار ومجموع المفردات التي بنيت على الجذر «شهر» على معنى الإظهار والإيضاح، وقد تحمل معنى إيجابيا، إذا ما أظهرت محاسن الشيء وبينت إيجابياته ومنافعه، أو سلبية بمعنى الفضيحة.[21] فجاء في المصباح المنير: «وشهرت الحديث شهرا أو شهرة أفشيته فاشتهر»[22]، و «شهر به تشهيرا بمعنى أظهر مساوئه و بين سلبياته و مضاره.»[23]

ومن خلال المادة المعجمية لـ(شهر) يتبن أنها تحمل الدلالات الآتية:

(الوضوح وشهرة الشيء ومعرفة الناس به والارتفاع ولفت الأنظار والتباهي بين الناس والانتشار). [24]

إذن فالإشهار في اللغة يحمل معنى الإبراز والنشر والتعريف بالشيء لتمييزه.

- الإشهار اصطلاحا:

يعرّف الإشهار على أنه «عملية اتصال غير شخصي من خلال وسائل الاتصال العامة بواسطة معلنين يدفعون ثمناً معيناً لإيصال معلومات معينة إلى المستهلكين بحيث يفصح المعلن عن شخصيته.» [25]

أما بيار جامان فلا يرى أن الإشهار تجاري محض كما يتصوره البعض ويعرفه بذلك على أنه : إعلام الجماهير بوساطة الصحافة أو الملصقات عن قرار إداري كان أم سياسيا ، فقد يثني الإشهار على برنامج سياسي أو مرشح أو مذهب من المذاهب. [26]

وترى موسوعة الإشهار (Publicitor) أن الإشهار «هو عملية اتصال جماهيرية غير محايدة، ولا يجدر بذلك خلطها مع 'الإخبار' بمعناه الأتم»، وتضيف أيضا أنّه «قد يدافع عن مؤسسات وقضايا اجتماعية و سياسية ولا تعتبر الموسوعة الإشهارَ فنّاً ولا تقنية وإنّما الاثنين معا.» [27]

ومن هذه التعاريف الاصطلاحية للإشهار نجد أن كل واحد منها نظر إلى الإشهار من زاوية معينة، ومن ذلك نستنتج أن الإشهار يمثل إعلام الجماهير بالمنتج وترغيبهم فيه.

ب - أنواع الإشهار:

للإشهار أهداف معروفة يحصرها المتخصصون في : التعريف والتذكير وبناء صورة العلامة وتغيير السلوك الاستهلاكي والحث على التصرف. [28]

ويتنوع الإشهار بتنوع الأغراض التي يستعمل لأجلها حيث يتنوع بحسب نوع المستهلك، وبحسب المنطقة الجغرافية، وبحسب الأهداف الإشهارية وبحسب نوع المستهلك وبحسب نوع الخدمة أو السلعة. [29]

ج - علاقة الإشهار باللغة:

للإشهار علاقة كبيرة باللغة فهي مادته الأولى التي ينطلق منها المعلن عن سلعته بينما تمثل المكونات الأخرى الجانب المساند للغة في اللوحات الإشهارية.

«فتعتبر اللغة أحد أهم المواد الأولية التي يستعملها الإشهار، بعد أن يخضعها

لتغييرات شتى بهدف التأثير والإقناع، كما أن كافة أنواع الإشهار في جوهرها هي استغلال لما تمنحه اللغة من إمكانات مكتوبة ومنطوقة، إضافة إلى استغلال إمكانات الصورة ثابتة كانت أم متحركة.»[30]

والإشهار بناء عالم سيميائي هدفه البلاغي إقناع الشاري باقتناء ما تم الإشهار عنه، والإشهار عادة ما يتضمن التصرف في البنى والأشكال اللغوية لتحقيق الإقناع، أي: أن الإشهار ميدان يسعى إلى إيجاد طاقة الإقناع وقوة الحجة في اللغة وذلك «بإخضاعها للتعديل والتشويه، فتشد انتباه المشاهد أو القارئ بطابعها اللا مألوف وخطابها المميز.»[31]

و أهم ما يميز النشاط الاتصالي في الإشهار هو بروز اللغة أداة اتصال «ومادة اللغة في الاتصال الإشهاري هي ثقافة المجتمع وحاجات الناس واهتماماتهم.»[32]

كما أن أكثر «ما يهم الجانب الإشهاري من اللغة هو أن يتخذها وسيلة لتبليغ خطابه ويحقق الهدف منه، مهما يكن المستوى اللغوي المستعمل فقد يكون فصيحا أو تتداخل فيه الفصحى بالعامية أو يكون خليطا بين الفصحى والعامية واللغة الأجنبية.»[33]

وتعدّ اللّغة العربية أداة تواصل فكري واجتماعي واقتصادي بين الأفراد في المجتمعات العربية، حيث يمكن للغة منافسة الخطاب البصري في قوة التبليغ، خاصة إذا تعلّق الأمر بحضورها في الخطاب الإعلاني والإشهاري في لافتات المحلات التجارية، التي تسعى بالأساس إلى تفعيل الدور التواصلي بين عارض السلع التجارية والمستهلك الذي يبدأ متلقياً للخطاب الإعلاني، هذا الأخير الذي قد يتمّ التركيز فيه على العرض البصري مصحوباً باللغة الإشهارية التعريفية، أو الاكتفاء بالخطاب اللساني وحده, لتلعب اللغة هنا دور المعرّف والمرغب والمغري للمتلقي قصد استقطابه. [34]

ثالثا: أشكال الازدواج اللغوي في اللوحات الإشهارية:

إن المظاهر البارزة للازدواج اللغوي هو ذلك الحشد الهائل من الكلمات الأجنبية التي تظهر على اللوحات الإشهارية ، ويبدو أن استعمال الكلمات الأجنبية صار من الأشكال الإشهارية المرغوبة عند المواطن العربي، وهذا أمر خطير يتعلق بالهوية اللغوية.

ويظهر لنا الازدواج اللغوي في اللوحات الإشهارية بشكلين رئيسين يمكن رصدهما على النحو الآتي:

- **الشكل الأول (المختلط):** وهو الاسم المركب من اسم عربي واسم أجنبي، وهذا الاسم

المختلط على نوعين:

أ- النوع الأول: يتكون من سابقة عربية ولاحقة أجنبية ، وهذا النوع مركب بطريقة التركيب الإضافي في اللغة العربية، حيث يكون المضاف كلمة عربية، والمضاف إليه كلمة أجنبية، وتتنوع اللاحقة الأجنبية بتنوع مجالات المحلات التجارية، كما نراها في النماذج الآتية:

- (أبها مول ، عسير مول، ريحانا مول، الراشد مول، المها مول)، ونلاحظ استعمال اللاحقة الإنجليزية (مول)، وتعني(Mall) في المعجم الإنجليزي: السوق العامة أو مركز تجاري، أو مجمع شراء ضخم.[35] ومثل هذا التركيب (أبها بروست ، ذوق البروست)، وفي هذين الاسمين نجد استعمال اللاحقة (بروست) وتعني طريقة معينة في قلي الدجاج ، ومن ذلك (أزهار التوليب - مشغل ملاكيت – مراتب الماموث) في هذه المجموعة من التراكيب نجد أن اللاحقة الأجنبية تنوعت على النحو الآتي:

فاللاحقة الإنجليزية (توليب) (tulip) تعني نوعا من نبات الخزامى من الفصيلة الزنبقية، واللاحقة (ملاكيت) تعود إلي أصول يونانية وتدل على نوع من أنواع الحجارة المعدنية ذي اللون الأخضر[36]، و(الماموث) هو نوع من أنواع الفيلة وهو فيل ضخم منقرض.[37] ومن ذلك أيضاً: (مركز الإمبراطور – ركن الموكيت) وهما من المحلات التجارية المتخصصة في بيع المفروشات ، ونجد اللاحقة الأجنبية (إمبراطور) وهو لقب يُطلق على كلِّ من يحكم إمبراطوريّة وقد يُطلق على من لا يحكم إمبراطوريّة مثل إمبراطور الحبشة وإمبراطور اليابان، شخصٌ يحكـــم أو يتولَّى المُلك في منطقة بحكم الوراثة، و(موكيت): [38] moquette لاحقة إنجليزية تعني نوع من السجاد مخملي الوبر.[39]

ب- النوع الثاني: يتكون من سابقة أجنبية ولاحقة عربية، وهذا النوع عكس السابق من حيث طريق التركيب الإضافي، حيث يتكون من مضاف أجنبي ومضاف إليه عربي، ومن هذا النوع أسماء المحلات الآتية:

-(بروست سما – بروست الجزيرة – بروست الشرق – بروست الليل الذهبي).
-(موبيليا الإحسان – موبيليا الأهـــرام – موبيليا الجزيرة – موبيليا البركة).
- (كافتيريا الأبراج – بوفيه الشـــــــــــرق – بوفية البركة).
- (لورد أبها – بوتيك النجوم – إكسسوارات روان – دونات سكر).

ونلاحظ في المجموعات السابقة من أسماء المحلات أن السابقة فيها جميعها هي كلمة أجنبية، (بروست) و(موبيليا) ويقصد بالموبيليا أثاث البيت[40]، و(كافتيريا) وتعني السابقة الإنجليزية (cafeteria): المكان العام الذي تقدم فيه أطعمة ومشروبات،

أو المطعم الذي يكـــــــــــون بلا نُدُل، وسمى المقصف أيضا وكذلك تعني السابقة الإنجليزية [41](buffet)، و(لورد) (lord) وجاءت هذه السابقة من مكونات لوحة إشهارية لمحل للخياطة، وهي تدل على لقب شرفي إنجليزي ، و(بوتيك)[42] سابقة تعني محل تجاري لبيع الملابس ، والسابقة (إكسسوارات) تعني نوع من أنواع الحلي الصناعية، و (دونات) التي جاءت سابقة في اسم محل للحلويات تدل على نوع منها.

- ويتفرع عن النوع الثاني من هذا الشكل قسم آخر من الأسماء المركبة المختلطة، حيث يتكون من اسم أجنبي مركب يقع موقع المضاف واسم عربي يقع مضافا إليه، ومن ذلك:(ميني ماركت محمد ، سوبر ماركت الواحة – سوبر ماركت بن مريد)، حيث نرى أن السابقة الأجنبية مكونة من اسم مركب:

- فـ(ميني ماركت) مركب من كلمتين إنجليزيتين: (mini) يقصد بها الصغير، و(market) يقصد بها السوق.

- و(سوبر ماركت) اسم إنجليزي مركب يقصد به السوق المركزي، أو مجمع تجاري متعدد الأقسام.[43]

- **الشكل الثاني:** الأجنبي الخالص، وهذا الشكل من أسماء المحلات يستعمل الكلمات الأجنبية فقط في لوحاته الإشهارية ، و هو كثير جدا في الواقع ، وهو على نوعين:

- النوع الأول: أسماء أجنبية مفردة (غير مركبة) كما نرى في الجدول الآتي:

مودا	البازار	ببور	أكسجين	بايلس	الشيف
أوسكار	لمار	نكتار	دنتيل	باريس	بروكلي
هرفي	فرست	ستار	مارينا	ريماس	تولين
روزانا	مانجر	لافندر	نوكيا	جويل	الجنز

- النوع الثاني: أسماء أجنبية مركبة ، كما نرى في الجدول الآتي:

بلاك بول	بست وير	سناك كافيه	ماكدونالدز	هدك فون1
جولدز جيم	فن جيت	بارن كافيه	باسكر روبنز	سليب هاي
كير مور	جست تن	شاورما تك	ماس فود	سامسونج
كار سنتر	بيبي أنجل	ليتل سيزرز	كاندي غاليري	كاردينال
سيتي فاليري	بلاك دايمون	بيتزا هت	دوناتي هوم	ذي بيوتي سكرتس

- هوية الحرف في لوحات الازدواج:

تمثل اللغة هوية اجتماعية للفرد العربي وليست مجرد وسيلة للاتصال، إن الذين يقتصرون على تحديد وظيفة اللغة في الوظيفة الاتصالية يظلمـــونها ويظلمون أنفسهـــــــم.

إن اللغة تنبئ عن سمات وانتماءات اجتماعية بل ودينية، وثمة مقولات تشير إلى ذلك « هوية كل مجتمع تتأسس على لغته... واللغة هي أم الرموز الثقافية المشكلة لهوية الإنسان»[44] ولذا لا بد من الحفاظ على اللغة في صورتها الاجتماعية كدليل على الانتماء والهوية.

وينبغي أن لا تنجر المجتمعات العربية أو تغرق في فوضى المصطلحات والعبارات المستوردة من اللغات الأخرى وفي لغتها البديل الجامع والمانع، فذلك دليل على ضعف نفسي.

إن هوية الحرف الذي كتبت به اللوحات الإشهارية موضع الدراسة يشي ببقاء

الشكل العربي لا المضمون لهذه اللوحات فمن العجيب أن تكتب جل اللوحات التي تمثل الازدواج اللغوي بالحرف العربي من غير وجود مرادف أجنبي ومن ذلك:

أوكسجين	دنتيل	بازار	سيتي فاليري	مودا	بارن كافيه	كيرمور
بايلس	سناك كافيه	ميني ماركت	ملاكيت	دوناتي هوم	سوبر ماركت	كار سنتر

بينما نجد بعض اللوحات الإشهارية التي يتمثل فيها الازدواج اللغوي مكتوبة بالحرف العربي مـــــع وجود المرادف الأجنبي لعل ذلك يرجع إلى وجود جاليات أجنبية، كما في:

الاسم العربي	المرادف الأجنبي
مطعم مهاراج الهندي	Indian Mharaj Resturant
ذوق البروســــــت	Broast Taste
المها مـــــــــول	Almaha mall
ماس فـــــــــود	MAS FOOD
هـــــــــــرفي	HERFY

- البعد العالمي في الإشهار وضوابطه:

لعل من أهم أسباب التداخل اللغوي في الإشهار في المجتمع السعودي يعود إلى تنوع الجنسيات الوافدة إلى المملكة؛ ولهذا يميل بعض المستثمرين إلى استعمال لغة أجنبية غير العربية لجذب انتباه هذه الجنسيات، واللغة المستعملة من غير العربية في الغالب هي اللغة الإنجليزية لانتشارها الأوسع في هذا العصر.

كما أن هناك كثيراً من الشركات الأجنبية العابرة للقارات التي تسعى لترويج منتجاتها في البلدان العربية في تحرص غلى فتح فروعها لها بمسمياتها أو باسم منتجاتها.

إن المتفحص للوحات الإشهارية للمحلات التجارية في أبها يجد أن هناك لوحات بمسميات أجنبية خالصة ومكتوبة بالحرف العربي، كما أن هناك لوحات بمسميات أجنبية مكتوبة بالحرف الأجنبي وبالحرف العربي.

إن هذا الأمر متعلق بالهوية العربية بل بالأمن اللغوي؛ فلذلك يجب أن تسارع الجهات المختصة لوضع ضوابط صارمة للحفاظ على الهوية العربية في المحلات الإشهارية مع مراعاة البعد العلمي للإشهار، ويكون ذلك من خلال إلزام أصحاب المحلات بنموذج للإشهار يحافظ على الهوية العربية ويراعي البعد العلمي للإشهار عن طريق الترجمة، وقد وجدت بعض المحلات التي التزمت بهذا الضابط حيث تأتي بمسمى عربي ثم بترجمته إلى اللغة الإنجليزية. فيجب عمل خطة للحد من انتشار الإشهار الذي يفت في عضد الهوية اللغوية.

خاتمـــــــة:

- تنوعت اللوحات الإشهارية للمحلات التجارية في مدينة أبها بحسب الازدواج اللغوي إلى لوحات أجنبية خالصة، ولوحات مختلطة من اللغة العربية والأجنبية.

- لقد حبى الله بلاد الحرمين بنعمة حراسة الدين ونشر السنة و يتطلب ذلك الحفاظ على لغة القرآن، ومن ثَمّ يجب أن تحرص الجهات الرسمية في هذا البلد على وضع ضوابط محددة وواضحة للإشهار التجاري، يحافظ على المظهر اللغوي الغربي مع مراعاة البعد الدولي للإشهار عن طريق الترجمة لأسماء المحلات التجارية إلى اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات.

- ينبغي أن تراعى في الإشهار التجاري تنوع الثقافات والجنسيات في هذا البلد مع الحفاظ على السمت العربي للإشهار.

الهوامـــــــش:

(1) شكر وتقدير: هذا البحث تم دعمه من عماد البحث العلمي بجامعة الملك خالد ضمن برنامج المجموعـــــات البحثية برقم (R.G.P.1/38/36)، ضمن مجموعة بحثية عن الإشهار في مدينة أبها برئاسة أ.د. عبدالحميد سيف الحسامي، وبعضويتي أنا د. عبدالغني شوقي الأدبعي مع الزملاء: د. عبدالله علي الجوزي، د. فوزي صويلح، د.حسن حيدر، د. إبراهيم أبو طالب، و د. عبد القوي العفيري.

(2) ينظر عن مدينة أبها، موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير، دراسة توثيقية، (أبها والمراكز التابعة لها)، د. مسفر بن مسعد الخثعمي، إصدارات جامعة الملك خالد ، 1429هـ، (ج1/50) وما بعدها.

(3) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر 1979-، مادة (زوج)، (3/35).

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة، 2008م،

(1006).

(5) المعجم الغني، د. عبدالغني أبو العزم، كتاب إلكتروني، مادة (ازدوج).

(6) علم اللغة العربية مدخل تاريخ مقارن، محمود فهمي حجازي، دار غريب القاهرة، ص: (18)، هامـــــــش(6).

(7) اللغة العربية وتحديات العصر ، د. محمود أحمد السيد، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق،2008م، (39).

(8) الازدواج اللغوي، عبد الرحمن بن محمد القعود، ومقالتان مترجمتان : أثر اللغة العربية على نفسية العرب – شوبي، والازدواج اللغوي – فرجستون، الطبعة 1، 1997م،(193).

(9) ينظر مقالة جونسون مترجمة في ملحق (الازدواج اللغوي)، ص: 194 وما بعدها.

(10) منهم د. نهاد الموسى في كتابه: اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، ينظر ص (137) وما بعدها، وأحمد مختار عمر في معجم العربية المعاصرة، (1006).

(11) فقه اللغة العربية وخصائصها، إميل يعقوب، دار العلم للملايين - ط1، 1982م، (145).

(12) الازدواج اللغوي،(11).

(13) الازدواج اللغوي،(14).

(14) المقدمة ، لعبدالرحمن ابن خلدون، دار يعرب – دمشق، 2004م، (259-258).

(15) علم اللغة ، علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر – القاهرة، 200ط9، 2004م،(232-231).

(16) علم اللغة، (248).

(17) العربية تواجه العصر، د. إبراهيم السامرائي، منشورات دار الجاحظ – بغداد،1982م، (14).

(18) علم اللغة، (248).

(19) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مكتب تحقيق الت راث ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط8، 2005م، مادة (شهر).

(20) معجم المفردات العربية (شهر).www.alburaq.net

(21) الترجمة الإشهارية، الإجراءات الترجمية في الإشهار الدولي، دراسة حالة دانون الجزائر، حركات عزيزة، (ماجستير) جامعة منتوري- الجزائر، 2010م، (19).

(22) المصباح المنير للفيومي، دار الكتب العلمية – بيروت، (1/ 236).

(23) ثورة الاتصال و الإعلام: من الإيدولوجيا إلى الميديولوجيا، محمد شكري سلام عالم الفكر العدد 1 المجلد 32، 2003م، (109).

(24) ينظر(الأبعاد الجمالية والثقافية للغة الإشهار في المحـــــــــلات السكنية بأبها- دراسة

سيميائية، د. عبدالحميد الحسامي ويحي المدحجي، مجلة بحوث سيميائية،المجلد (6) العدد (9)2014م، ص: 92.

(25) الدعاية و الإعلان و العلاقات العامة، محمد جودت ناصر، دار مجدلاوي عمان. الأردن. ص: 103.

(26) الترجمة الإشهارية، الإجراءات الترجمية في الإشهار الدولي دراسة حالة دانون الجزائر، حركات عزيزة، ص: 21.

(27) السابق، ص: 21.

(28) واقع وأهمية الإعلان في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية، كوسة ليلى، رسالة ماجستير، جامعة منتـــــــــوري، 2008،(70).

(29) ينظر السابق الصفحات:(73 - 75).

(30) الترجمة الإشهارية، الإجراءات الترجمية في الإشهار الدولي دراسة حالة دانون الجزائر، حركات عزيزة، (27).

(31) السابق، (28).

(32) الاتصال و ثقافة الإعلان، الدكتورة بشرى جميل على الموقع:

www.minaamna.jeeran.com/archive/2007/7/275625.html

(33) قوة التواصل في الخطاب الإشهاري، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية . د. بشير إبرير. (مجلة اللغة). العربية، العدد 13 - صيف 2005 . منشورات ثالة، الجزائر. (235).

(34) إشكالية توظيف اللّغة العربية في لافتات المحلات التجارية وإعلاناتها ،د. رضا عامر. المركز الجامعي – ميلة (الجزائر).

https://www.majma.org.jo/res/seasons/33/33-6.doc

(35) معجم العربية المعاصرة، (2140).

(36) قاموس عربي انجليزي https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/malachite

(37) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7% D9%85%D9%88%D8%AB

(38) معجم اللغة العربية المعاصـــرة،(116).

(39) معجم اللغة العربية المعاصرة،(2139).

(40) معجم اللغة العربية المعاصرة،(2135).

(41) قاموس المعاني، على الشبكة العنكبوتية،https://www.almaany.com/ar/dict/ar-/en/cafeteria

(42) كلمة (بوتيك) فرنسية وتعني محل، وعندما انتشرت أصبحت كلمة بوتيك عامة في كل الدول تعني معرض تجاري، وتركز استعمال هذه الكلمة أكثر على معارض بيع الملابس والمجوهرات بشكل أكبر،http://www.elfagr.com/424158

(43) ويكيبيديا الموسوعة الحرة،

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%88%D8%A8%D8%B1%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%AA

(44) اللغة هوية ناطقة، عبد الله البريدي، كتاب مجلة العربية، 197.

الحاسوب والمعالجة الآليّة للّغة العربيّة
ـ تنظيـــر ورصد للمنجـــــز ـ

The computer and automated processing of the Arabic language
(Theoretical and monitoring of achievement)

دة. جميلة غرّيب، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

ملخّـــص

إنّ العلاقة القائمة بين اللّغة العربيّة والحاسوب؛ هي نقطة توازن لبناء مجتمع المعرفة، وأهمّ القضايا لتهيئة المجتمعات العربيّة للدّخول في عصر المعلومات من بابه الواسع. ويتأتّى ذلك من خلال تهيئة كفاية لغويّة للحاسوب، أشبه ما تكون بالإنسان حتى يستقبل اللّغة ويدركها ويفهمها، ثم يعيد إنتاجها وفق مقتضى الحال. وعلى إثر هذه المعطيات؛ يتنزّل بحثنا بالدّراسة والتّحليل لحدّ العلاقة بين الحاسوب واللّغة (تنظيرا، وتطبيقا)، ورصدا للمنجز من الأعمال، في إطار المعالجة الآليّة للّغة العربيّة، حاملين نظرة استراتيجيّة في إطار المشاريع ذات العلاقة بالتّنمية اللّغويّة.

الكلمات المفاتيح: حاسوب - لغة عربيّة - معالجة آليّة – كفاية لغوية.

Abstract

The relationship between Arabic and computer is a balancing point for building the knowledge society and the most important issues to prepare Arab societies to enter the information age in its broadest form. This is achieved by creating language proficiency for the computer, which is more like a human being when he receives, understands, and reproduces the language as appropriate. As a result of these data, our research deals with the study and analysis of the relationship between computer and language (in theory and practice) and monitoring the achievements of the work in the framework of the automatic processing of the Arabic language, taking a strategic view in the framework of projects related to linguistic development.

Key words: Computer - Arabic Language - Automatic Processing - language faculty.

مقدّمـــــة:

يمثّل الحاسوب أهمّ تطوّر في الحياة المعاصرة، حتّى غدا يقُوم بعدد هائل من المهامّ الّتي كان الإنسان موكلا بها. فهو الشّريك الأكبر في النّشاط الإنسانيّ، وقد نجح في إحداث تغيير كبير في نمط حياة النّاس وأعمالهم، بل وحتّى طريقة تفاعلهم اجتماعيًّا. وقد تطوّر بشكل متسارع من جهاز كبير بعقل صغير، يحتاج لغرفة كبيرة ليوضع بها؛ إلى جهاز صغير بعقل كبير باستطاعة الإنسان أن يضعه في حقيبته الخاصة به (كما الحال مع الحاسوب المحمول). وهو بما رُكّب فيه من إبداع العقل الإنسانيّ؛ أصبح علاقة فارقة، وسمة لمجتمع المعرفة، ذلك المجتمع القائم على تداول المعلومة وتناقلها واعتمادها الوسيلة الرّئيسيّة في تناقل المعرفة وحفظها ونشرها، وتوظيفها في شتّى المجالات، لأجل ذلك قيل: « إنّ الأميّ الحقيقيّ هو من لا علاقة له بالحاسوب»[1]

فما هو الحاسوب؟

وما سرّ تملّكه زمام المبادرة في شتّى المجالات بل وأعقدها، ومن ذلك اللّغة البشريّة التّي تعدّ أعقد ما يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات؟!

تعريف الحاسوب:

الحاسوب من عناصر التّكنولوجيا[*] التي قامت بتغييـــــــر جذريّ في كيفيّة تناول المعلومات، وقد تطوّر باستمرار من جهاز للحساب، إلى جهاز لمعالجة المعلومة، لذا تعدّدت تعريفاته ويُذكر منها:

- آلة لمعالجة المعلومات تفوق سرعتها سرعة الإنسان بشكل كبير، ولكنّها تعمل حسب برنامج[**] أو مجموعة أوامر، مرتّبة بترتيـــــــب معيّن يضعه الإنسان لحلّ المسألة الموضوعة.[2] ويعرّف أيضا على أنّه:

- وسيلة إلكترونيّة صمّمت لاستقبال المجاميع الكبيرة من البيانات بشكل آليّ، ومن ثمّ تخزينها ومعالجتها، وتحويلها في شكل نتائج، ومعلومات مفيدة، قابلة للاستخدام بموجب مجموعة من التّعليمات، والإيعازات التّي يطلق عليها اسم البرمجيّات.[3] وهو أيضا:

- جهاز قادر على أداء سلسلة من العمليّات الحسابيّة أو المنطقيّة، ويختلف عن الآلات الحاسبة في قدرته على تخزين البرامج، ومن ثمّ يستطيع استرجاع أو اتّخاذ القرارات المنطقيّة، وكذلك تخزين واسترجاع البيانات.[4]

وبناءً على هذه التّعريفات؛ نستنتج أهمّ مميّزات الحاسوب، الّتي يمكن توضيحها من خلال عدد من العبارات والمصطلحات الّتي وردت فيها، وهي كالتّالي:

مميّزات الحاسوب:

- جهاز يعمل بكيفيّة آليّة Automatique؛ أي أنّه آلة لا تفكّر ولا تعقل مثل الإنسان، ولكنّه ينفّذ خطوات وتعليمات محدّدة، ومنظّمة يقدّمها له الإنسان في صورة برنامج.

-يعمل بكيفيّة رقميّة[5] Numérique ويقصد بالرّقمي أو الرّقمنة؛ أنّه يتعامل مع الصّفر والواحد (1-0). وتمثّل مجاميع الأرقام حروف، وأرقام، ورموز تسمّى محارف caractères.

-يعالج البيانات Traite des données؛ والمعالجة هي العمليّات اللّازمة التي يتمّ بموجبها تحويل البيانات إلى معلومات يستفاد منها، والبيانات هي المواد الخام، أو المدخلات.

-جهاز للتّخزين Stockage؛ فله القدرة على تخزين البيانات، والمعلومات، والبرامج في داخل ما يسمى بذاكرة الحاسوب الدّاخليّة 6) Mémoire interne) . يتميّز بالسّرعة في معالجة البيانات.

-دقيق Précis.

-سهل التّشغيل؛ فالبساطة واليسر في تشغيل الحاسوب واستخدامه بدون أيّة تعقيدات فنيّة وهذا من شأنه توفير الجهد والطّاقة.[7]

وبما أنّ الحاسوب- بعدّه جهاز- له القدرة على تخزين البيانات والمعلومات، وكما كانت اللّغة العربيّة لديها القدرة على استيعاب المفاهيم المستحدثة؛ ظهرت عدّة مقابلات عربيّة للمصطلح الفرنسيّ Ordinateur، والإنكليزيّ Computer.

الحاسوب وتعدّد المصطلح العربيّ:

إنّ صياغة المصطلح العلميّ والاتّفاق عليه ثم تعميمه؛ مشكلة قائمة في جميع اللّغات الحيّة- ولاسيّما في اللّغة العربيّة- فالمصطلح هو الوسيلة الرئيسيّة لتكوين وتنظيم وتطوير المعارف، وهو «كالاسم العلم للإنسان المتحضّر في المجتمع»[8] إلاّ أنّه كثيرًا ما تصادفنا في قراءاتنا مصطلحات متعدّدة وفي مراجع عربيّة متنوّعة للدّلالة على المفهوم الواحد، وقلّة قليلة هي المصطلحات الّتي أقرّ لها الرّواج والاستحسان في الكتابة اللّسانيّة العربيّة التّمهيديّة والمتخصّصة[9] ومثال على ذلك كلمة Ordinateur الفرنسيّة أو Computer الإنكليزيّة، الّتي يقابلها في اللّغة العربيّة عدّة كلمات. وهي على سبيل المثال لا الحصر:

المصطلح بالعربيّة	المصطلح بالفرنسيّة	المصطلح بالإنجليزيّة
حاســـــــوب[10]	Ordinateur	Computer
كمبيـــــــوتر [11]	//	//
رتّـــــــــاب[12]	//	//
الحسّابة الآليـــة[13]	//	//
حاسب إلكتروني[14]	//	//
حاســـــــب	//	//
حاســـــب آلي[15]	//	//

وهذه الظّاهرة «وإذا كانت تعكس ثراء العربيّة في ألفاظها، حيث كانت فخرًا عند العرب قديما أن يجعلوا للمصطلح الواحد عدّة تسميات، يحرصون على حفظها وروايتها. ممّا ساهم بشكل أو بآخر في الوصول إلى هذا الوضع المتردّي، ممّا استدعى تدخّل روّاد المصطلحيّة العربيّة في المنتديات الثّقافيّة العربيّة، للدّعوة إلى تضافر الجهود، من أجل توحيد المصطلحات وتقييسها.»[16]

وهذا من شأنه أن ينزع العبء على الدّارس الأكاديميّ المبتدئ والمتقدّم – ونقصد به طالب الدّراسات العليا- وكذلك الباحث في عالمنا العربيّ، والمحاضر في الجامعة والباحث الّذي يريد أن يخاطب قومه بلغتهم، والمترجم الّذي يطمح في ترسيخ هذا الحقل في لغتنا العربيّة[17]، ففي هذا السيّاق نجد أنَّ كلمة Ordinateur الّتي تطرح مشكلا اصطلاحيّا على مستوى اللّغة العربيّة (تعدّد المصطلح العربيّ في مقابل المصطلح الأجنبيّ الواحد). فالحاسوب كلمة عربيّة مشتقّة من الجذر (حسب)، خفيفة على اللّسان لطيفة على الآذان وقابلة للاشتقاق(حاسب-محوسب حوسب إلخ)، فضلا على أنّها اسم آلة على وزن التّكثير من المصدر حساب، بمعنى الآلة كثيرة الحساب.[18]وفي المقابل، لا يستعمل الفرنسيّون سوى كلمة Ordinateur مقابل [19] Computer وذلك بصرف النّظر عن دقّتها واستيفائها المعنى المطلوب [20]، وقد لا نكون مبالغين إذا توقّعنا أنّ» حلّ القضيّة سيكون تقنيّا لا مجمعيّا، وسيتطلّب وضع الأشياء في نصابها الصّحيح إلى أكثر من تخصّص.

وسيكون للّسانيّات الحاسوبيّة، ومنها التّرجمة الآليّة القول الفصل في كثير من

القضايا التي تطرح أمام المشكلة اللّغويّة»[21]، ويبقى الاستعمال الحقيقيّ لمصطلح دون غيره-على مستوى الكتابة الورقيّة، والشّبكة العنكبوتيّة- الفيصل في إثبات مصطلح ودحض آخر.

لكن منذ ابتكار الحاسوب، والإنسان ما فتئ يجتهد لتحقيق مزيد من الإنجاز والتّجديد في تطويعه للإنسان وتوثيق العلاقة بينهما، خاصّة في مربط العقد ألا وهي اللّغة. وغدا من المنطقيّ- بل من الحتميّ أيضا- أن تلتقي اللّغة والحاسوب، وذلك لسبب أساسيّ وبسيط؛ كون اللّغة تجسيدًا لما هو جوهريّ في الإنسان، أي؛ نشاطه الذّهنيّ بكلّ تجليّاته. في نفس الوقت الّذي يتّجه فيه الحاسوب نحو محاكاة بعض وظائف الإنسان وقدراته الذّهنيّة، متّخذا من الاعتبارات الإنسانيّة (الهندسة البشريّة) محورًا رئيسيًّا لتصميم نُظمه ومجالات تطبيقاته ومطالب تشغيله.[22]

وعلى إثر هذه التحوّلات، والتّبادلات العلائقيّة بين إنسان وحاسوب؛ برز علم جديد، وهو علم بينيّ ينتسب إلى اللّسانيّات من جهة التّنظير اللّسانيّ، وينتسب إلى علوم الحاسوب من جهة التّطبيق التّقنيّ؛ إنّها اللّسانيّات الحاسوبيّة.

اللّسانيّـــــــــات الحاسوبيّة:

1 - تعريف اللّسانيّات الحاسوبيّة:

اللّسانيّات الحاسوبيّة؛ علم بينيّ ينتسب نصفه للّسانيّات وموضوعه اللّغة، ونصفه الآخر حاسوبيّ، وموضوعه حوسبة الملكة اللّغوية في رموز رياضيّة يفهمها الحاسوب[23] لخلق برامج وأنظمة معلوماتيّة ذكيّة، تساعد مستخدم الحاسوب على حلّ بعض الأمور المتعلّقة باللّغة وبالمعلومات الرقميّة بشكل عامّ[24] وهي فرع من فروع اللّسانيّات التّطبيقيّة ذات العلاقة بالذّكاء الاصطناعيّ.

وارتباط العلمين- كما يقول اليوبي» أساسه الالتقاء الحاصل بين الاتّجاهين، والمتمثّل في الاهتمام بالدّراسات العلميّة الميدانيّة في مجال اللّغة، من أجل استخلاص نتائج تكون قاعدة لبناء نظريّات قائمة على التّطبيق والتّجريب».[25]

2 - مبادئ اللّسانيّات الحاسوبيّة:

تتألّف مبادئ هذا العلم من اللّسانيّات العامّة بجميع مستوياتها التّحليليّة: الصّوتيّة والنّحويّة والدّلاليّة، ومن علم الحاسبات الإلكترونيّة - بمصطلح مازن الوعر- ومن علم الذّكاء الاصطناعي[26]، وعلم المنطق، ومن الرّياضيّات، مشكّلة بذلك مبادئ اللّسانيّات الحاسوبيّة.[27]

وكغيرها من فروع اللّسانيّات؛ تنتظم اللّسانيّات الحاسوبيّة في مكوّنين أحدهما نظريّ، والآخر تطبيقيّ.

فالجانب النّظريّ؛ يتناول قضايا في اللّسانيّات النّظريّة الصّوريّة للمعرفة اللّغويّة، الّتي يحتاج إليها الإنسان لتوليد اللّغة وفهمها.[28] واللّسانيّات بشكل عامّ؛ هي ذلك العلم الّذي يهتمّ باللّغة وتراكيبها ووصفِها، وهي من العلوم القديمة التي تجعل من تنوّع الألسن –أو التّواصل البشريّ- محورا لها وتهدف حسب عبد الرّحمن الحاج صالح:» للكشف عن أسرار الألسنة وقوانينها، سواء أكان ذلك في مستوى النّظام المتواضع عليه أم في مستوى الكلام، وعن كيفيّة تأدية المتكلّمين لوحداتِه وتركيباتِه في مخاطباتهم الشّفويّة والكتابيّة.»[29] وتهدف حسب Jacob Odile إلى استخراج الخصائص الصّوريّة والشّكليّة لكلّ إنسان، تلك الخصائص قد تقود إلى التّعرّف على طبيعة القدرات الفكريّة لديه.[30]

أمّا الجانب التّطبيقيّ؛ فيهتمّ بالنّاتج العمليّ لنمذجة الاستعمال الإنسانيّ للّغة، ويهدف إلى إنتاج برامج ذات معرفة باللّغة الإنسانيّة «هذه البرامج ممّا تشتدّ الحاجة إليه، أجل تحسين التّفاعل بين الإنسان والآلة، إذ إنّ العقبة الأساسيّة في طريق هذا التّفاعل بين الإنسان والحاسوب؛ إنّما هي عقبة التّواصل.»[31]

وبشكل عامّ؛ فاللّسانيّات الحاسوبيّة هي الدّراسة العلميّة للّغة من وجهة نظر حاسوبيّة، تبحث عن كيفيّة الاستفادة من قدرات الحاسوب وتحليل اللّغة، ومعالجتها وتعليمها وتعلّمها، وذلك من خلال:

- محاولة تلقين الحاسوب لغة بشريّة، تمكّنه من التّحاور مع مُريديه شفويّا، وكتابيّا.
- القدرة على فهـــــــــــــــــم الكلام وتوليده.
- قدرة الحاسوب على محاكاة التّفكير والانجاز البشريّين.

وبحكم أنّ العمل باللّسانيّات الحاسوبيّـــــــــة بدأ بجامعة جورج تاون عام 1954[32]؛ فالسّؤال الّذي يُطرح؛ كيف عرّف الغربيّون هذا العلم؟

3 - تعريف الغرب للّسانيّات الحاسوبيّة:

يعرّف م. زارتشناك اللّسانيّات الحاسوبيّة على أنّها العلم الّذي يستخدم الحاسوب في العمليّات اللّغويّة الّتي يعملها عادة الذّهن البشريّ. فالجوانب النّظريّة تتضمّن معرفة الإطار النّظريّ العميق الّذي يعمل في الدّماغ البشريّ لحلّ المشكلات الخاصّة، والمثال على ذلك هو التّرجمة من لغة إلى لغة. أمّا الجانب التّطبيقيّ؛ فإنّه يتضمّن المعاملة مع الرّياضيّات الخوارزميّة.[33]

ويقول آ.تكر أنّ اللّسانيّات الحاسوبيّة تصميم وتطبيق لتقنيّات العمليّات الرّياضيّة الخوارزميّة لتحليل اللّغات البشريّة وتركيبها.

أمّا ج. هيرمنسون فيعرّفها على أنّها استخدام الحاسوب لتحليل اللّغات البشريّة وتركبها.[34]

ونخلص من خلال هـــذه التّعريفات إلى تقاطعـــات فيما بينها تحـــدّد معالم اللّسانيّات الحاسوبيّة، وهي أنّها:

- علم بينيّ؛ بين اللّسانيّـــــــــــات وعلم الحاسوب.
- مادّتها؛ اللّغة البشريّة، باعتبارها أداة طيّعة لمعالجتها آليا.
- اشتغالها على مبدأي التّحليل والتّركيـــــــب اللّغويّين.
- غايتها؛ إنتاج برامج ذات معرفة باللّغة الإنسانيّة، من أجل تحسين التّفاعل بين الإنسان والآلة.

وبهذا الشكل أصبحت اللّغة تدنو للمعالجة الآليّة من خلال التّحليل الرّياضيّ، والمنطقيّ والإحصائيّ، الّذي مهّدت إليه اللّسانيّات بجوهرها العلميّ، فتهيّأ بذلك الحاسوب للقائه مع اللّغة

بالسّرعة الفائقـــــة، وضخامة الذّاكرة، وصغر الحجـــــم، وأساليب الذكاء الاصطناعيّ، ولغات البرمجة.[35]

4 - أهميّة اللّسانيّات الحاسوبيّة:

تعدّ اللّسانيّات الحاسوبيّة نقطة تحوّل كبير في الدّراسات اللّغويّة هدفها عصرنة اللّغة، كما أنّها تحمل نظرة استراتيجيّة راقية في المشاريع ذات العلاقة بالتّنمية اللّغويّة، كما أنّه لا يمكن تصوّر الكمّ الهائل من الفوائد النّظريّة والتّطبيقيّة الّتي يتمّ جَنْيها من اللّسانيّات الحاسوبيّة. فالمناهج اللّسانيّة الّتي يتمّ استثمارها من قبل اللّسانيّين لدراسة اللّغة بعيدا عن الحاسوب متعدّدة، منها المنهج اللّسانيّ الوصفيّ، أو المنهج اللّسانيّ التّحليليّ، أو المنهج اللّسانيّ التّوليديّ والتّحويليّ، أو المنهج اللّسانيّ الوظيفيّ البراغماتيّ. ولكن مهما كان المنهج اللّسانيّ المستخدم في دراسة هذه المواد اللّغويّة؛ فإنّه لابدّ من تخزينها في الذّاكرة الإنسانيّة ذات الصّفات المحدودة والقصيرة [36]، والواقع أنّه توجد صعوبات كثيرة ناجمة عن استخدام التّخزين في الذّاكرة البشريّة، من هذه الصّعوبات؛ أنّه إذا كنّا نحلّل لغة غير لغتنا فإنّنا سنواجه صعوبة في إنتاج المفردات، أو إيجاد المعاني المحدّدة لكلمات معيّنة، أو تكييف الأبنية والصّيغ النّحويّة للغتنا على الأبنية والصّيغ النّحويّة للغة أخرى. ويتأكّد وجود هذه الصّعوبات من خلال اللّغة المنطوقة؛

لأنّه لا يمكننا أن نتذّكر كلّ هذه الظّواهر المبنيّة في لغتنا، لأنّ الذّاكرة الإنسانيّة تعمل على أساس من النّظام القصير، وليس على أساس من النّظام الثّابت والطّويل جدًّا، وهذا يختلف عن ذاكرة الحاسوب المركّبة على أساس من النّظام الطّويل الأمد، وهكذا فإنّ أعمالا كثيرة مملّة ومضنية للذّاكرة الإنسانيّة يمكن أن تقوم بها ذاكرة الحاسوب، كتصنيف المفردات واكتشافها، وملاءمة الأبنية الصّرفيّة، والصّيغ النّحويّة في لغتنا للأبنية، والصّيغ النّحويّة في اللّغة الأجنبيّة، وهكذا؛ فإنّ استخدام الحاسوب في مثل هذه الأعمال سيزيد من سرعة العمل العلميّ، ثم سيحقّق المنهجيّة، والموضوعيّة في الأعمال اللّغويّة. وعليه؛ فإنّه لا داعي للباحث اللّسانيّ عند دراسته للغة غير لغته ومقارنتها مع لغته الأمّ لأن يقول «إنّني أشعر، أو أحدس، أو أتوقّع»، فليس هناك شعور، أو حدس، أو توقّع عندما نعرض المواد على الحاسوب؛ لأنّ ما يعطيه هذا الأخير من نتائج ستكون علميّة وموضوعيّة[37] ليس فيها أيّ توقّع أو شكّ، وليست خاضعة للحدس والشّعـــور.

وهكذا فإنّ اللّسانيّات الحاسوبيّة استحدثت طفرة علميّة، وفكريّة تواصليّة من ثمارِها تسريع البحث العلميّ، والدّراسة الموضوعيّة المرتبطة بذاكرة الحاسوب، ممّا يجعل من ضبط الظّواهر العلميّة، واللّغويّة أمرا ممكنا ومتاحا، ولو أنّ المجال لا يزال مفتوحا أمام تطوير هذا العلم لإنتاج حاسوب لديه القدرة على تأدية مهام تحاكي العقل البشريّ من حيث إنتاج اللّغة والتّواصل؛ فإنّ النّتائج المتوصّل إليها حتى الآن، مبشّرة ومساعدة في الوصول لأبعد الحدود.

المعالجة الآليّـــــــــة للّغات:

1 - تعريف المعالجة الآليّة للّغات:

المعالجة الآليّة للّغـــــات كما عرفّتها Catherine Fuchs هي «معطيات لسانيّة (نصوص) بلغة طبيعيّة. وحتّى نستطيع معالجة هذه المعطيات آليّا؛ لا بدّ أن نكون قادرين على توضيح قواعد اللّغة، وعرضها في أشكال عمليّة، وحسابيّة، والاستفادة منها بمساعدة برامج.»[38]

فالمعالجة الآليّة للغات –إذن- غايتها أن نهيّئ للحاسوب كفاية لغويّة أشبه ما تكون بالإنسان حين يستقبل اللّغة ويدركها، ويفهمها ثم يعيد إنتاجها وفق مقتضى الحال، بمعنى آخر تسعى لإيجاد حلول لإشكالات لغويّة بكيفيّة آليّة.(أي؛ الجانب التّطبيقيّ للّسانيّات الحاسوبيّة).

ويقصد بالكفاية اللّغويّة؛ إقامة هندسة[39] للّغة، نسعى من خلالها إلى استغلال

المتاح من الحصاد اللّغوي النّظري والتّجريبيّ، لتصميم وتطوير نظم المعالجة الآليّة للّغة «يمكن أن تكون بدورها عونا للّغويّين في بلورة نظريّاتهم، وشحذ افتراضاتهم ومعطياتهم، وتهذيب نظم تقعيدهم»[40] ممّا يعني صياغة المعطيات اللّسانيّة في شكل قواعد صوريّة دقيقة لا تقبل أكثر من تأويل واحد لكل مسألة. ومن أهدافها مساعدة المستخدم، والإداريّ، والعالم، والمسؤول الحكوميّ في عصر تتعاظم فيه دور المعلومة، للوصول للمعلومات التي يرغبها بسهولة، وسرعة، من خلال التّحليل الآليّ للنّصوص والتّلخيص الآليّ، بالإضافة إلى البحث الذّكيّ عن المعلومات عبر شبكة الانترنت، ويمكن تصنيف أهداف المعالجة الآليةّ للغات الطّبيعيّة في ثلاث عناصر وهي:

2 - أهداف المعالجة الآليّة للّغات:

- تواصل فعّال مع الحاسوب؛ تمكن آليّات البحث باللّغة العاديّة الإنسان من التّواصل مع الحاسوب بأيّ لغة من لغات العالم.

- تواصل أفضل بين النّاس؛ من أوّل الأهداف الّتي تهيّأت من أجلها اللّسانيّات الحاسوبيّة والمعالجة الآليّة للّغات، التّرجمة الآليّة بين اللّغات من أجل مزيد من التّواصل بين النّاس. ورغم أنّ التّجربة شهدت إخفاقات في ترجمة النّصوص؛ إلاّ أنّ المساعي المتكرّرة مكّنت اللّسانيّين الحاسوبيّين من إنشاء برمجيّات لتبسّط عمل المترجم البشريّ، وتحسّن من إنتاجه إلى حدّ كبير.

- الوصول الفعّال للمعلومة؛ إنّ التّنقّل بين صفحات الويب يتطلّب تطوير برمجيّات فائقة القدرة على التّفاعل مع تحدّيات المحتوى الرقميّ، وهي شرط ضروريّ لتحويل ثورة المعلومات إلى معرفة جماعيّة. واللّغة العربيّة أقدر من غيرها للمعالجة الآليّة، وذلك لانتظام مبانيها واتّساق مستوياتها. كما أنّها أحوج إلى الهندسة[41] وذلك لسبب بسيط هو كثرة الفجوات في تنظيرها اللّغويّ الرّاهن ولا شكّ في أنّ الهندسة بأساليبها العمليّة تستطيع سدّ جزء من هذا الفراغ التّنظيريّ.

3 - المعالجة[42] الآليّة للّغة العربيّة:

إنّ العلاقة القائمة بين اللّغة العربيّة والحاسوب هي ـ ودون منازع ـ نقطة توازن لبناء مجتمع المعرفة، وأهمّ القضايا لتهيئة المجتمعات العربيّة للدّخول في عصر المعلومات، وإنّما كان ذلك كذلك لأنّ مشاريعها التّطبيقيّة ستكون عنصرًا حاسمًا في سدّ الفجوات بين الدّول المتقدّمة والدّول المتأخّرة؛ ولنا أن نتخيّل ما يمكن أن تقدّمه التّرجمة الآليّة الدّقيقة-مثلا- من مواد عمليّة جاهز ومعرفة جديدة أُنتجت أصلا بلغات أمم أُخر، ولنا أنّ نتصوّر ما يمكن أن توفّره برامج التّحليل الصّرفيّ الآلي لإعداد برامج

لتعليميّة اللّغة العربيّة لأهلها ولغير النّاطقين بها، كلّ هذه التنبّؤات وغيرها، يستأنس لإعدادها إلى معالجات آليّة عربيّة دقيقة، تتضافر لبنائها جهود الجميع.

4 - جهود العرب في المعالجة الآليّة للّغة العربيّة:

إنّ ميدان الإحصاء في الدّراسات اللّغويّة هو الميدان الأوّل لتطبيق العلاج الآليّ على اللّغة العربيّة؛ حيث صدرت الدّراسة الإحصائيّة للجذور الثّلاثيّة وغير الثّلاثيّة لمعجم الصّحاح في سنة 1971[43]، وذلك عندما استعان إبراهيم أنيس بالحاسوب في إحصاء الحروف الأصليّة لمواد اللّغة العربيّة، وبمساعدة من أحد أساتذة الفيزياء بجامعة الكويت. ومن إسهامات العرب في العلاج الآليّ للّغة العربيّة؛ ما قام به محمّد مراياتي بالتّعاون مع زملائه العاملين بمركز الدّراسات والبحوث العلميّة بسوريا الّتي تدور حول إحصائيّة الجذور العربيّة.

فقد درس مراياتي الجذور العربيّة المنتشرة في المعاجم والقواميس العربيّة القديمة دراسة حديثة معتمدا بذلك على الحاسوب الّذي يُساعد كثيرًا في ضبط العمليّة الإحصائيّة والسّرعة العلميّة فيها. وقد دفعه لأن يحصي النّسب المئويّة للجذور الثّنائيّة، والثّلاثيّة، والرّباعيّة والخماسيّة في اللّغة العربيّة.

والواقع أنّ الدّراسات الإحصائيّة لجذور الكلمات العربيّة؛ مهمّة بحيث يمكن استخدام نتائجها في التّرجمة الآليّة من اللّغة العربيّة إلى باقي اللّغات أو بالعكس.[44]

ويُذكَر باحث آخر على درجة من الأهميّة في مجال نقل اللّسانيّات الحاسوبيّة إلى اللّغة العربيّة نظريّا وتطبيقيًّا؛ وهو العالم الأمازيغيّ في معركة التّعريب بالمغرب أحمد الأخضر غزال.[45]

حاول هذا العالم وضع نموذج لسانيّ عربيّ يعمل على الحاسوب ذو النظّامين الألف بائي اللّاتينيّ والعربيّ، وقد سمّي النّموذج اللّسانيّ الآليّ بـ «العربيّة المعياريّة المشكولة- الشّفرة العربيّة» (عمم-شع) وهذا سنة 1954، ثمّ طوّرت لتتلاءم مع التّقدّم التّقنيّ في الحواسيب سنة 1974[46] والواقع أنّه يوجد نموذج لسانيّ عربيّ جزائريّ رائد، وهو ما قدّمهُ عبد الرحمن الحاج صالح[47] من تصوّر حول وضع أنموذج لسانيّ للعلاج الآليّ للّغة العربيّة، بواسطة تشخيص أزمة النّحو العربيّ أوّلا، ثمّ إدراك خصائص هذا النّحو، وتحديد النّماذج النّحويّة الّتي تتلاءم مع هذه الخصائص ثانيا، والكشف عن موقع هذا النّحو إزاء النّظريّات النّحويّة الحديثة ثالثًا.

4 - 1 تأليف الكتب:

-كتاب «معالجة اللّغة العربيّة الطبيعيّة آليًّا» لنادية حجازي وآخرين[48]، سنة 1985. يرى الشّرقاوي، وحجازي أنّه من المناسب الجمع بين مذهب الصّرفيّين، والصّوتيّين في تحليل اللّغة العربيّة، وتوصّلا إلى تصميم هيكل صرفيّ أسمياه (CAMH)، كما صمّم الباحثان محلّلا معجميّا بربطه بين قواعد الصّرف والهيكل الصّرفيّ ليغطيّ مفردات اللّغة. ويحتوي المعجم على الأوزان الصّرفيّة وجذور الكلمات فقط، ويقوم هذا المحلّل بتصحيح الأخطاء الهجائيّة، كما وضع الباحثان استراتيجيّة للمعلّم الآليّ لقواعد الصّرف العربيّ؛ حيث يقُوم بالتّحليل المعجميّ للنّصوص وإيجاد الوزن الصّرفيّ، واكتشاف وتصحيح الأخطاء.[49]

-وسنة1988؛ كتاب» اللّغة العربيّة والحاسوب» الّذي صدر عن تعريب لنبيل عليّ.[50] ويعدّ هذا الكتاب أوّل إصدار يتناول موضوع العلاج الآليّ للّغة العربيّة بجميع مستوياتها. وقد أولى المستوى الصّرفيّ للّغة العربيّة أهميّة خاصّة، حيث يؤكّد نبيل عليّ في هذا الكتاب على أنّ ميكنة[51] الصّرف العربيّ مدخلا أساسيًّا، وقاسما مشتركا لمعظم نظم العربيّة آليّا، كما يشير إلى أنّ مدى نجاحها في تقريب نظم المعلومات، والمعارف يتوقّف بالدّرجة الأولى على ما نستطيع أن نحقّقه على « جهة الصّرف»، أمّا على الصّعيد التّقنيّ؛ فتعدّ معالجة الصّرف العربيّ آليًّا مطلبا أساسيًّا لا غنى عنه لمكينة عمليّات تحليل النّصوص المكتوبة والمنطوقة وفهمها وتوليدها ذاتيًا علاوة على كونه أساسًا لا غنى عنه لمكينة المعاجم، واسترجاع المعلومات، وتحليل مضمون النّصوص.[52] فهذا الكتاب يؤسّس للسانيّات حاسوبيّة عربيّة، على أساس نظـريّ وتطبيقيّ في آن واحد. وما زاد من أهميّة الكتاب؛ الخبرة الحاسوبيّة الطّويلة لكاتبه.[53]

-وسنة 1996؛ صدر كتـــــــــاب لعبد ذياب العجيلي» الحاسوب، واللّغة العربيّة»[54] ويعدّ هذا الكتاب محاولة لمعالجة اللّغة العربيّة بوساطة الحاسوب باستخدام ذكاءه الاصطناعيّ، ويتعرّض الكتاب في فصوله المختلفة إلى نماذج متعدّدة من اللّغة العربيّة، حيث يسعى المؤلّف إلى وضع الأسس الرّئيسيّة لجعل التّخاطب بين الإنسان والآلة ممكنا. يتألّف الكتاب من سبعة فصول. تطرّق الكاتب في الفصل الثّالث إلى أساليب التّحليل الصّرفيّ وتحليل النّصوص، ويتضمّن الفصل السّابع من الكتاب؛ مجموعة من الأمثلة التّطبيقيّة الّتي توفرّ للقارئ القاعدة الأساسيّة في فهم وإدراك الطّرق المستخدمة في معالجة اللّغة العربيّة.

-وسنة 2000 نشر نهاد الموسى كتابه» العربيّة نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيّات

الحاسوبيّة.»[55] وهو أوّل كتاب حاسوبيّ يصدر عن متخصّص في اللّغة العربيّة.[56] وقد اشتمل الكتاب على عدّة فصول؛ تحدّث المؤلّف في الفصل الرّابع من الكتاب عن أبنية الكلمة في اللّغة العربيّة حيث يقول: «تتّصف أبنية الكلم في العربيّة باطّراد لافت؛ إذ إنّ جلّها يجري على وفق قوالب محدّدة. فمثلا يأتي الفعل الماضي على صيغ ثلاث (فَعَل، فَعِل فَعُل)، ويأتي اسم الفاعل من الثّلاثيّ على فاعل غالبًا، ويأتي اسم المفعول على وزن مفعول...الخ.»[57]

-وفي 2007 صدر كتاب (الحاسوب ومكينة اللّغة العربيّة) لرأفت الكمار[58] وقد تعرّض المؤلّف لكيفيّة معالجة اللّغة العربيّة حاسوبيّا، وذلك من خلال محاولته للتّوصّل إلى منظومة رئيسة وعامّة لها من أجل ميكنتها. حيث أسهم الكتاب في فصله الرّابع –بشكل ما- في استخراج شكل معماري لمنظومة الصّرف العربيّ الآليّ، وهي من أهمّ مكوّنات المنظومة العربيّة.

-سنة 2009؛ صدر كتاب» المعالجة الآليّة للّغة العربيّة: المشاكل والحلول-» لسلوى حمادة[59] وهو أوّل كتاب لباحثة عربيّة في مجال اللّسانيّات الحاسوبيّة، وقد أشارت المؤلّفة أنّ الكتاب خطوة على طريق البحوث الرّامية إلى إنجاز محلّل صرفيّ مفتوح المصدر للّغة العربيّة، يمتاز بدقّته وسهولة تطويره، وإمكانيّة دمجه في مستويات أخرى من معالجة اللّغة العربيّة، وتطبيقاتها المختلفة التي منها تحليل النّصوص، والتّرجمة الآليّة من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة والعكس، حتّى تأخذ هذه اللّغة حقّها وتصبح لغة عالميّة عبر الانترنت. حيث تركّز المؤلّفة في الباب الثّاني على مشكلات حوسبة الصّرف العربيّ والاشتقاق، وتبحث في توليد العديد من الكلمات من خلال أوزان ومشتقّات مختلفة.

-أمّا سنة 2015 صدر عن عالم الكتـــــــــب الحديث للنّشر والتّوزيع مؤلّف بعنوان «اللّسانيّات الحاسوبيّة والتّرجمة الآليّة- بعض الثّوابت النّظريّة والإجرائيّة- لسناء منعم» يروم الكتاب تعزيز ثوابت التّرجمة الآليّة في الوطن العربيّ بحثا وممارسة، من خلال التمكّن من مطلبين اثنين: الأوّل لسانيّ، والثّاني تقنيّ معلوماتيّ، مع ما يتطلّبه التّفاعل والتّكامل المقرّر بينهما، من إمعان النّظر في مستلزمات ترجمة يحتاجها الإنسان في كلّ تفاصيل حياته العلميّة والعمليّة.

ويتلخّص مشروع الكتاب ـ كما تقول المؤلّفة ـ في شموليّته للمجهودات الرّامية إلى الدّفع باللّغة العربيّة إلى أخذ المكان اللّائق بها كلغة عالميّة في مجال تعامل الإنسان مع الآلة باللّغة الطّبيعيّة.[60]

والجدول الموالي: يرصد من خلاله قاعدة بيانات للمؤلّفات ذات العلاقة بالمعالجة الآليّة للّغة العربيّ:

المؤلّف	الكتاب	النّاشر	مكان النّشر	تاريخ النّشر
نادية حجازي وآخرون	معالجة اللّغة العربيّة آليًّا	معهد الكويت للأبحاث العلميّة	الكويت	1985
نبيل عليّ	اللّغة العربيّة والحاسوب -دراسة بحثيّة-	مؤسّسة تعريب	القاهرة	1988
عبد ذياب العجيلي	الحاسوب واللّغة العربيّة	منشورات جامعة اليرموك	الأردن	1996
نهاد الموسى	العربيّة نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة	المؤسسة الوطنيّة للدّراسات والنشر	الأردن	2000
سلوى حمادة	المعالجة الآليّة للّغة العربيّة: المشاكل والحلول	دار غريب للطباعة والنّشر	القاهرة	2009
سناء منعم	اللّسانيّات الحاسوبيّة والترجمة الآليّة ـ بعض الثّوابت النّظريّة والإجرائيّة ـ	عالم الكتب الحديث	الأردن	2015

4 - 2 رسائل ماجستير، ودكتوراه:

تورد مجموعة من الأعمـــــــــال العلميّة ذات العلاقة بالعلاج الآل، من قسم اللّسانيّات التّطبيقيّة، بمعهد تعليم اللّغة العربيّة في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة وبالجامعات الأردنيّة، يذكر منها:

«**نظام تصريف الفعل الثّلاثيّ في اللّغة العربيّة**» إعداد: عبد العزيز عبد الله المهيوبي إشراف: محمد الحنّاش، سنة 2002، (ماجستير) وقد سعى الباحث لتحقيق الأهداف التّالية:

- السّعي نحو تطوير اللّسانيّات الحاسوبيّة العربيّة، لتكون أكثر فهما لخصائص اللّغة العربيّة عمليًّا وتقنيًّا.

- الإسهام في مهمّة ترشيد تعلّم الصّرف لدى متعلّمي اللّغة العربيّة.

- تيسير تصريف الأفعال العربيّة دون قواعد لغويّة أو قوانين صوتيّة لغير المتخصّصين من الطّلّاب والعلماء، ليكون التّصريف العربيّ معهم أطوع والصّواب إليهم أقرب، دون حاجة لمتخصّص خبير ودون تيه بين كتب اللّغة والمعاجم.

«**النّظام الصّرفيّ للعربيّة في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة**» إعداد: هدى سالم آل طه إشراف: نهاد الموسى، الجامعة الأردنيّة،2005.

-توصيف لغويّ صرفيّ لشعر بدر شاكر السيّاب في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة، إعداد : عزّت جهاد العجوري إشراف: يس عودة برهومة، الجامعة الهاشميّة، 2009.

-برمجة المصادر في العربيّة حاسوبيّا، رسالة دكتوراه لأحمد الخلوف، إشراف سمير استيتية جامعة اليرموك 2010م.

-قاعدة بيانات لمشتقّات الجذور الثّلاثيّة من حرف (أ) حتّى حرف (ذ) معالجة صرفيّة حاسوبيّة إعداد: صالح بن فهد العصيمي، وإشراف: محمد الحنّاش.

-نظام توليد الأسماء الجامدة في اللّغة العربيّة (أسماء الذّوات) معالجة الجذور الثّلاثيّة والرّباعيّة من حرف (ص) إلى حرف (ي) إعداد: محمد بن سلطان السّلطان، وإشراف: محمّد الحنّاش.

-قاعدة بيانات المصادر في اللّغة العربيّة «معالجة تطبيقيّة على الجذور الثّلاثيّة والرّباعيّة من حرف (أ) إلى حرف (ذ)»، إعداد: أحمد بن سليمان الشيبان، وإشراف محمّد الحنّاش.

-قاعدة بيانات مشتقّات الجذور الثّلاثيّة في اللّغة العربيّة من حرف (الفاء) إلى حرف (الياء) إعداد: أحمد بن عبد الله الهويريني، وإشراف: محمّد الحنّاش.

-قاعدة بيانات مشتقّات الجذور الثّلاثيّة من حرف (الرّاء) حتّى حرف (العين)، إعداد: أحمد سليمان المطرودي، وإشراف: محمّد الحنّاش.

-نظام توليد الأسماء الجامدة في اللّغة العربيّة أسماء الذّوات (معالجة الجذور الثّلاثيّة والرّباعيّة من الهمزة إلى الصّاد)، إعداد: عبد العزيز بن عمر العبد اللّطيف، وإشراف: محمّد الحنّاش.

-قاعدة بيانات المصادر في اللّغة العربيّة «معالجة تطبيقيّة على الجذور الثّلاثيّة والرّباعيّة (من حرف الرّاء إلى حرف الياء)إعداد:عبد العزيز إبراهيم العسكر، وإشراف: محمّد الحنّاش.

-برمجة أسماء الفاعلين والمفعولين، رسالة دكتوراه، صفاء التّشريدة، إشراف سمير استيتية، جامعة اليرموك، الأردن، 2010.

-برمجة الاسم المنسوب بياء النّسب في العربيّة حاسوبيّا، رسالة دكتوراه، مسفر الكبيري الدوسري، إشراف سمير استيتية، جامعة اليرموك، الأردن، 2010.

والجدول الموالي؛ يمثّل قاعدة بيانات للرّسائل التي تناولت موضوع العلاج الآليّ للصّرف العربيّ:

اسم الباحث	عنوان الرسالة: ماجستير/ دكتوراه	المشرف	السّنة
عبد العزيز عبد الله المهيوبي	نظام تصريف الفعل الثلاثي في اللغة العربية	محمّد الحنّاش	2002
هدى سالم آل طه	النّظام الصّرفي للعربيّة في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة	نهاد الموسى	2005
عزّت جهاد العجوري	توصيف لغوي صرفي لشعر بدر شاكر السّياب في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة	عيسى عودة برهومة	2009
أحمد الخلوف	برمجة المصادر في العربيّة حاسوبيًّا	سمير استيتية	2010
صفاء التشريدة	برمجة أسماء الفاعلين والمفعولين	سمير استيتية	2010
مسفر الكبيري	برمجة المنسوب بياء النّسب في العربيّة حاسوبيًّا	سمير استيتية	2010

خاتمـــــة:

بعدما قمنا بتحديد مياسم اللّسانيّات الحاسوبيّة، وتأصيل للمعالجة الآليّة للّغات(واللّغة العربيّة على وجه الخصوص)؛ تمّ عرض ما تيسّر من أعمال تطبيقيّة في عين الموضوع، مشيرين و مقتصرين في الآن نفسه على المعالجة الآليّة للّغة العربيّة- بشكل عام- والصّرف العربيّ على وجه الخصوص؛ على اعتبار أنّه قطب الرّحى لمختلف التّطبيقات اللّسانيّة الحاسوبيّة للّغة العربيّة.

كما يحسب لهذه الدّراسات؛ أنّها انتقلت باللّسانيّات الحاسوبيّة من التّنظير إلى التّطبيق وهذا بعد هندستها، وهي خطوة جريئة، وضروريّة لإدماج اللّغة العربيّة حيّز اللّغات الأكثر تفاعلا، وفاعليّة على الشّبكة العالميّة.

ولا يفوتنا التنويه إلى ضرورة تكاثف جهود الباحثين في هذا الميدان الجديد والخصب، ومن مختلف التّخصّصات، لاسيّما اللّسانيّات، واللّسانيّات التّطبيقيّة، والإعلام الآلي إلخ.

الهوامـــــش:

(1) عبده الرّاجحي، والسّيّد عبد الغفّار، العربيّة الجامعيّة والكتابة، ص: 125، كما تعتبر التّطوّرات التكنولوجية –على وجه العموم والحاسوب على وجه الخصوص- نقطة تحوّل كبرى في تقنين العلاقات الاجتماعيّة، والطّرائق التّعليميّة، فولجت بذلك عالم الطفل، والرّاشد على السّواء وغدت محطّة مختلف أعمالهم وتوجّهاتهم. يقول في ذلك محمّد معموري في مقال له بعنوان:

MouhamedMaamouri, Impact des développements technologiques récents sur l'enseignement de l'arabe بـاتـك نم: standard en Tunisie : état de la question.

Gilles gagné, Michel Pagé et ElcaTarrab, Didactiques des langues maternelles, questions actuelles dans différentes régions du monde,(Pédagogies en développement, problématique et recherches) De Boeck. Université, Editions Universitaires, Bruxelles)1990.p 47.-« Il est évident que les développements Technologiques qui nous intéressent, ont déjà fait leur entrée dans le monde de l'enfant ainsi que dans celui de l'adulte.»

*- تكنولوجيا: اشتقت كلمة «technologie»- والّتي عرّبت تقنيّات – من الكلمة اليونانيّة «Techne» والتي تعني مهارة أو حرفة أو صنعة. وكلمة Logie؛ وتعني علما أو فنّا أو دراسة وتنشر بعض الكتابات إلى أنّ المقطع الثّاني من كملة تكنولوجيا وهو «Logique»: يعني المنطق

وبذلك فهي تعني علم المهارات أو الفنون أو فنّ الصنعة ومنطق الحرفة، أي دراسة المهارات بشكل منطقيّ لتأدية وظيفة محدّدة. أضف إلى ذلك أن التّقنيّة مأخوذة من صفة الإتقان. ينظر: محمد محمود الحيلة، تصميـــم وإنتاج الوسائل التّعليميّة، ص: 17 - 18. وللاستزادة: عبد الكريم غريب، المنهل التّربوي، معجم موسوعي في المصطلحات، والمفاهيم البيداغوجيّة، والدّيداكتيكيّة والسّيكولوجيّة ج2، ص: 933-932، ويحي محمد نبهان، استخدام الحاسوب في التعليم ،ص: 103.

**- برنامج (Programme): مجموعة من التّعليمات أو الخطوات الّتي تخبر الحاسوب كيف يتعامل مع مشكلة معيّة، أو كيف ينجز مهمّة محدّدة. ينظر: أسد الدّين التّميمي، معجم مصطلحات الأنترنت والحاسوب، دار أسامة، المشرق الثّقافي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، 2009، ص: 102.

(2) عبد الحسن الحسني، معجم مصطلحـــــات علوم الكمبيوتر، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص: 09.

(3) عامر إبراهيم قنديلي، المعجـــم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والانترنيت، دار المسيرة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عمّان- الأردن- ط1 2003، ص: 97. برمجيّات (Logiciels): مجموع البرامج والإجراءات والقواعد التّي تحدّد نظام الحاسوب، فهي برنامج الحاسوب يسمح بمعالجة المعلومات؛ فهو المحتوى الذكيّ للحاسوب ينظر: عبد الكريم غريب، المرجع نفسه،ج2، ص 569. والفرق بين البرامج والبرمجيات أن الأولى: تطبيقية تسهّل على المستخدم كيفية التعامل مع أي برنامج كالبرنامج التعليميّة أما الثانية: خاصة بالنظام (نظام الحاسوب) تقوم بدمج الإمكانيات المختلفة للحاسوب، ولكنها لا تستخدم لأداء مهام المستخدم.

(4) عبد الكريم غريب، المرجـــــع السّابق، ص: 856. وللاستزادة: يحي محمد نبهان، استخدام الحاسوب في التّعليم، ص: 107.

(5) رقميّ: تعني أنّ االحاسوب له علاقة بالأرقام حيث تؤدّي الحواسيب الرّقميّة عملها بتغيير مجموعة من الأرقام إلى مجموعة أخرى، كما يترجم-الحاسوب- كل البيانات سواء كانت أرقامًا، أو صورًا، أو أصواتًا، أو علاماتً، أو كلماتًا، أو أرقاما بداخله. ينظر: الموسوعة العربيّة العالميّة، ج9 ص22، وقد انتشرت الحواسيب الرقميّة انتشارا واسعا حتى أصبحت كلمة حاسوب، بمفردها تعني في الغالب حاسوبا رقميًّا، وبالإضافة إلى الحاسوب الرّقمي هناك نوعان آخران من الحواسيب العامّة:

أ- الحواسيب القياسيّة: وتتعامل مباشرة مع قيمة ماديّة محسوسة كالوزن والسّرعة، بدلا من الأرقام الّتي تمثّل هذه القيمة، ويقوم هذا النوع من الحواسيب بحلّ المعضلات عن طريق قياس قيمة ما. مثل: درجة الحرارة والتّعبير عنها بقيمة أخرى مثل: طول خطّ رفيع من سائل في جهاز مقياس الحرارة (ترمومتر).

ب- الحواسيب الهجينة: وتجمع بين خصائص الحواسيب الرقميّة والقياسيّة. كما تحتوي

على العديد من الأجزاء كتلك الموجودة بالحواسيب القياسيّة ولكنّها مثل الحواسيب الرّقميّة تعالج البيانات عن طريق معالجة الأرقام. ينظر: الموسوعة العربيّة العالميّة ج9، ص: 23-22 وللاستزادة: عامر إبراهيم قنديلجي، المرجع السّابق، أسد الدّين التّميمي، معجم مصطلحات الانترنيت والحاسوب، يحي محمّد نبهان استخدام الحاسوب في التّعليم، ص: 108.

(6) ذاكرة الحاسوب: جهاز داخلي في الحاسوب، يشكّل مركزًا تتجمع فيه المعلومات الّتي ستخضع للمعالجة وفقا لبرنامج محدّد وتدعى هذه الذّاكرة بالذّاكرة الميّتة؛ لأنّها تشكّل مكوّنات لا يتجزّأ عن الحاسوب ككلّ، وهي ميّتة لكونها ى تقبل الإضافة أو الحذف، ونتحدّث عن الذّكارة الحيّة؛ للإشارة إلى ما يمكن أن يستوعبه ويستخدمه الحاسوب من برامج ملائمة لبنيته، ولا تدخل في مكوّناته الأصليّة. ينظر: عبد الكريم غريب، المرجع السّابق، ص: 589.

(7) ينظر:الموسوعـــــــة العربيّة العالميّة ج9، ص: 22 - 29، وعامر إبراهيم قنديلجي،المرجع السّابق،ص: 79.

(8) كارم السيّد غنيم. اللّغة العربيّة والصّحوة العلميّة الحديثة، ص: 154.

(9) عبد القادر الفاسي الفهري. اللّسانيّات واللّغة العربيّة. دار توبقال الدّار البيضاء منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1986م، ص: 391.

(10) حاسوب؛ من استعلامات عبد القادر الفاسي الفهري ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، التّوليد والنسقيّة والترجمة الآليّة. المجلد1 و2منشورات معهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب. الرباط، 2001، بالإضافة إلى : المعجم العربي المؤلد منشورات معهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب، بالرّباط، 2001م.

(11) كمبيوتر: من استعلامات نبيل علي، وأفنان نظري دروزه، وللاستزادة: نبيل علي، الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات، وأفنان نظير دروزه، النظريّة في التدريس وترجمتها عمليًا.

(12) الرتّاب: كثيرا ما يستعمله الدكتـــور عبد الرحمان الحاج صالح، في كتاباته ومؤلّفاته ومحاضراته للاستزادة: عبد الرحمان الحاج صالح بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ج1 +ج2.

(13) الحسّابة الآليّة: من استعمالات إبراهيم أنيس.

(14) الحاسب الإلكتروني: من استعمالات مازن الوعر. للاستزادة: مازن الوعر، قضايا أساسيّة في علم اللّسان الحديث-مدخل- دار طلاس للدراسات والترجمة والنّشر، دمشق، ط1، 1988 ودراسات لسانيّة تطبيقيّة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنّشر، دمشق ط1 1989.

(15) الحاسب الآلي: من استعمال محمد غزالي خيّاط، وآخرون. ينظر: محمد غزالي خيّاط، تمثيل الدّلالة الصرفية في النّظم الآليّة لفهم اللغة العربيّة. السّجل العلمي لندوة استخدام اللّغة العربيّة في تقنيّة المعلومات، الّتي نظّمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامّة-الرّياض- في الفترة من: 12-8 ذي القعدة 1412هـ، الموافق لـ: 14-10 مايو1992م، مكتبة الملك عبد العزيز

العامّة،1993، ص299.

(16) خالد اليعبودي، المصطلحية وواقع العمل المصطلحيّ في الوطن العربيّ، ص: 132.

(17) محمد حلمي هليّل، دراسة تقويميّة (حصيلة المصطلح اللّسانيّ في الوطن العربيّ)، تقدّم اللّسانيّات في الأقطار العربيَّة، وقائـــــــــــع ندوة جهويّة أبريل 1987م، الرّباط دار الغرب الإسلامي،ط1،بيروت-لبنان1991-م، ص: 287.

(18) ينظر : فداء ياسر الجندي، العرب والعربيّة في عصر الحاسوبيّة. ص: 117-116، ورجاء دويدري، المصطلح العلمي في اللّغة العربيّة- عمقه التّراثي بعده المعاصر- دار الفكر د.ط، د.ت، ص: 291.

(19) تجدر الإشارة إلى أنَّ كلمة كمبيوتر هي كلمة متداولة بشكل ملاحظ في بعض الأواسط الإعلاميّة وخاصّة منها الشرقيّة في الوطن العربيّ إلاَّ أنَّه بجهود العاملين والمخلصين في الحقل التعليمي والمصطلحي، « قد غيّرت في بعض البرامج الإعلاميّة- على اختلافها؛ مكتوبة ومسموعة ومسموعة ومرئية- من استعمالاتهم لكلمة كمبيوتر إلى الكلمة العربية حاسوب، وأصبحت هذه الكلمة هي المعتمدة في معظم المطبوعات ووسائل الإعلام العربيّة، ينظر: فداء ياسر الجندي، المرجع نفسه، ص ص: 123-117، فمن عيوب كلمة كمبيوتر أنّها ثقيلة على اللّسان- العربيّ- لغرابتها ولتلاقي السّاكنين فيها وهما الميم والباء وهو ما لا يستسيغه النّطق العربيّ لاسيَّما إذا كان الصّوتان متماثلان في المخرج كـ(الميم وَالباء) ومن عيوبها أيضا أنّها غير قابلة للاشتقاق قلا يمكن أن نعبر عن كلمة computereization أو computerized، فهل نستطيع أن نقول على الأولى كمبترة وعن الثّانية مكمبترا؟ أما كلمة حاسوب «اسم آلة على وزن فاعول (نحو: قادوم، وجاروف، وصاروخ وناسوخ-جهاز الفاكس-). وهي ترجمة حرفيّة للكلمة الفرنسيّة Ordina- teur الّتي تنتهي بالّلاحقة eur»وتدلّ على الأشياء القادرة على الفعل بذاتها أمّا كلمة «حاسب» على وزن «فاعل»، فهي ترجمة حرفيّة للكلمة الإنكليزيّة (computer) التي تنتهي بالّلاحقة «er» وتدل على التفاعل المنجز لعمل ما، ومن هذا المنطلق يسعى البحث إلى تبنّي مصطلح حاسوب، تجاوزًا لمصطلح كمبيوتر للاعتبارات السّابقة فضلاً على أنّه- أي حاسوب- الأكثر تداولاً.

(20) عبد الحسن الحسيني، معجم مصطلحـــــات علوم الكمبيوتر، ص: 12.

(21) محمد مراياتي، عماد الصّابوني، دور التّقانة (تكنولوجيا) الحديثة في توليد المصطلح وتوحيده، ونشره، مجلّة اللّسان العربيّ العدد 2003،56-55م، ص: 258.

(22) ينظر : نبيل علي، اللّغة العربيّة والحاسـوب- دراسة بحثيّة- تعريب، القاهرة، دط،1988، ص: 114. للاستزادة: Gilles Siouffi et Dans Van Raemdonck,100fiches pour com- prendre la linguistique, éditions Bréal, 2007, Paris, pp 64-65.

(23) ينظر: نهاد الموسى، العربيّة نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة، المؤسسة الوطنيّة للدّراسات والنّشر، الأردن،ط2000،1،ص: 53.

(24) غسّان مراد، الألسنـــــــة المعلوماتيّة: تطوير اللّغة في عصر التقنيات الحديثة، جريدة السّفير لبنان: في http://www.bintjbeil.com/article/2004/ar/0608 mourad.html

(25) بلقاسم اليوبي، اللّسانيّات الحاسوبيّة، مفهومها وتطوّرها ومجالات تطبيقاتها، استشراف آفاق جديدة لخدمة اللّغة العربيّة وثقافتها، مجلة مكناسة، المغرب ،العدد 12،1999، ص:46.

(26) الذّكاء الاصطناعي: هو إعادة تمثيل الذّكاء البشري عن طريق الحاسوب، وتوسيع مجالات استخدام الحاسوب عن طريق إعطاءه قدرات التّخمين والتّصرّف المستقلّ في مجالات معرفيّة مختلفة كالرّياضيّات والفيزياء والهندسة. ينظر: عامر إبراهيم قنديلجي، المعجم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والانترنت، ص51. وللاستزادة: عبد الكريم غريب، المنهل التّربوي،ج2،ص: 526.

(27) مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسانيّات الحديث، ص: 406. للاستزادة: كارول شابل، أسس الحاسب الآلي في اكتساب اللّغة الثانية ترجمة :سعد بن علي وهف القحطاني، جامعة الملك سعود،2007، ص: 60،ومازن الوعر، دراسات لسانيّة تطبيقيّة،ص: 315 وصالح بلعيد علم اللّغة النّفسي،ص: 207. وإسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون، والمناهج اللّغويّة- دارحنين-عمان-ط2، 1992. وجيب بن مصطفى زين العابدين، استعمال اللّغة العربيّة في المجالات العلميّة والتّقنيّة، العبيكان للطباعة والنّشر، الرّياض، د.ت، ونبيل علي الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات.

(28) نهاد الموسى، المرجع السّابق،ص: 54.

(29) عبد الرّحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللّسان الحديث: أثر اللّسانيّات في النّهوض بمستوى مدّرسي اللّغة العربيّة في: اللّسانيّات، مجلّة اللّسانيّات، جامعة الجزائر، العدد 4 ،1974 /1973، ص: 19.

(30) Blanche-Benveniste(Claire) « La linguistique descriptive au XX siècle » Le cerveau, le langage, le sens, Odile Jacob, Paris, 2002, p 217.

(31) نهاد الموسى، المرجع نفسه،ص: 53.

(32) اتّخذ بداية العمل في اللّسانيّات الحاسوبيّة طابع التّرجمة الآليّة من اللّغات الأخرى إلى الإنكليزيّة. ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسيّة في علم اللّسان الحديث، ص: 325.

(33) الرّياضيّات الخوارزميّة؛ مجموعة من القواعد الّتي إذا مارتّبت بشكل معيّن فإنّها ستعطي نتائج مماثلة للنّتائج الّتي يعطيها الإنسان. ينظر: مازن الوعر، دراسات لسانيّة تطبيقيّة، ص: 317، و318. للاستزادة: عبد الحسن الحسيني، معجم مصطلحات علوم الكومبيوتر، ص: 65. وأسد الدين التميمي، معجم مصطلحات الانترنيت والحاسوب، ص230. أصل كلمة خوارزم: نسبة إلى أبو عبد الله بن موسى الخوارزمي الملقّب بالخوارزمي نسبة لولادته في خوارزم (خيفا الحالية-Khieva- في ولاية أوزبكستان السوفياتية)، حيث قام بكتابة الجبر، الذي نقل

بواسطة ليونارد دوبيزي- Leonard de Pise – إلى اللاتينية في القرن السابع، وعُرف في أوربا بالترقيم الهندي. ينظر: عبد الحسن الحسيني، المرجـــــع نفسه، ص: 18.

(34) ينظر : مازن الوعر، دراســــــــات لسانيّة تطبيقيّة، ص: 317 - 319.

(35) ينظر: نبيل علي، اللغة العربيّة والحـــــــــــــــاسوب، ص: 113.

(36) مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسانيّات الحديث-مدخل-ص: 414.

(37) المرجع ،مازن الوعر، المرجع السّابق ص414. للاستزادة : ديدوح عمر، فعاليّة اللّسانيّات الحاسوبيّة العربيّة http://revues.univ-ouargla.dz

(38) ينظر:

Catherine Fuchs, LauranceDonlos, Anne Lachevet-Dujour, Daniel Lazzati, Bernard Victorri. Linguistique et traitement automatique des langues, Hachette, Edition n°= 1,1993,p13. «...les traitements automatiques des langues ont pour objet des données linguistiques (Textes) exprimées dans une langue (naturelle)et que pour pouvoir traiter automatiquement ces données ; il faut être capable d'expliciter les règles de la langues, de les représenter dans les formalismes opératoires et calculables et de les implémenter à l'aide de programmes.»

وللاستزادة: صباح رحيمة ومحمّد الخفاجي، قواعد المعلومات، دار زهران للطباعة والنّشر، عمّان، 2001، وأحمد بن محمّد الضّبيب، اللّغة العربيّة في عصر العولمة، مكتبة العبيكان، الرّياض،ط1، 2001. ووليد العناتي، العربيّة في اللّسانيّات التطبيقيّة، ص: 277.

(39) الهندسة اللّغوية: تتميّز الهندسة بقدرتها على تناول الموضوعات الّتي تفتقد الأساس النّظري المكتمل وذلك بفضل أساليبها التقريبيّة وأغراضها العمليّة، وفي ظّل هذا المفهوم؛ تصبح اللّغات عمومًا واللّغة العربيّة بصفة خاصّة، في حاجة إلى الهندسة من أجل سدّ النّقص النّظري والعمليّ. ينظر: نبيل علي، اللّغة العربيّة والحاسوب، ص: 257. للاستزادة:

-Karim Chibout, Josephe Mariani, Nicolas Masson et Françoise Néel(sous la direction de) Ressource et évaluation en ingénierie des langues, Préface de Michel Guillon de Boeck-Université, Edition Ducolot (AUPELF, UREF) Paris, Bruxelles, 2000, p.7.

(40) نبيل علي، المرجع نفسه، ص: 13.

(41) آثرنا استعمال مصطلح (هندسة) في هذه المرحلة من البحث؛ لأنّه الأقرب إلى العلاج الآلي منه إلى التّحليل اللّسانيّ. ومفهومه يتقاطع بل يكاد يكون نفسه ومصطلح (توصيف). فمصطلح (هندسة)؛ استعمله نبيل علي في كتاباته عن اللّغة العربيّة والحاسوب. والمرجعيّة الهندسيّة لتكوين الأستاذ الدكتور نبيل علي؛ كفيلة بأن تنعكس على أدائه في دراسة اللّغة

من منظور هندسيّ وتقني أكثر منه لساني. أما (التّوصيف) فقد شقَ طريقه نحو الدراسات اللّسانيّة، عند ولوجها عالم العلاج الآلي للغات، الّذي يتعيّن قبل الإبحار فيه إعادة وصف اللّغة والوقوف على تقعيد مداخلها، وموضوعاتها بكلّ دقّة، وأوّل من استعمل هذا المصطلح نهاد الموسى من خلال كتابه (العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة).

42 - معالجة : المقابل العربي للمصطلح الأعجمي Traitement؛لأنّه لغويّا يحمل إشعاعات مفهوميّة تنطبق على ما هو موجود بالمصطلح الأجنبيّ ، فـTraiter يحمل معنى إحداث عمل على شيء «...d'agir sur un objet»، ومعنى التناول، والمزاولة، والتّحويل» ... en le manipulant, en le transformant voir en le créant» وهو تماما ما نجده عند الغور في معنى كلمة معالجة في قاموس الوسيط، ينظر:

Catherine Fuchs et autres, linguistique et traitements automatique des langues,p12

(43) مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسانيّات الحديث- مدخل- ص: 416، ويذكر نبيل عليّ أنّ أوّل مؤسّسة عربيّة تقتني حاسوبًا هو؛ معهد التّخطيط القومي في مصر، وذلك عام 1962 أي بعد 14 سنة تقريبا من ظهور أوّل حاسوب. ينظر: نبيل عليّ، اللّغة العربيّة والحاسوب، ص: 179.

(44) ينظر : مازن الوعر، المرجع نفسه، ص: 416.

(45) ولد أحمد الأخضر غزال، الذي ينحدر من أصول أمازيغيّة من قبيلة آيت عيّاش، سنة 1918 بالرّباط. عايش في طفولته محاولات الاستعمار الفرنسي سلخ المغاربة عن لغتهم وقيمهم، فولّدت لديه قناعة بالنّضال من أجل إعادة الاعتبار للّغة العربيّة. قام بتنظيم أوّل مؤتمر دولي حول التّعريب سنة 1960. ويعدّ الأخضر غزال أوّل من أدخل إلى الجامعة المغربيّة. كما ساهم في إحداث مكتب تنسيق التّعريب بالمغرب الأقصى من قبل منظمة (الألسكو). ويعدّ أوّل من وضع معجما موحّدا لبلدان المغرب العربيّ في المصطلحات العلميّة (المعجم الموحّد). وخلال السّنوات الأولى للاستقلال، قام بتعريب العديد من المصطلحات نقلا عن اللّغة الفرنسيّة، وهو نفسه من كان وراء مصطلح حاسوب. توفي أحمد الأخضر غزال وعمره يناهز التّسعين. مساء يوم الخميس نوفمبر سنة 2008م.ينظر: الأخضر غزال...أمازيغي في معركة التّعريب، إدريس الكنبوري–جريدة المساء المغربيّة-الجمعيّة الدّوليّة لمترجمي العربيّة،21/11/2008 www.atinternational.org.

(46) ولد عبد الرحمن الحاج صالح بمدينة وهران سنة 1927م. درس في مصر وبوردو وباريس وتحصّل على التبريز في باريس وعلى دكتوراه الدّولة في اللّسانيّات من جامعة السربون. كان أستاذًا بجامعة الرباط بالمملكة المغربيّة من سنة 1961م إلى سنة 1962م، وبعد ذلك صار مديرًا لمعهد العلوم اللّسانيّة والصّوتيّة التّابع لجامعة الجزائر ثمّ مديرًا لمركز البحوث العلمية لترقية اللّغة العربيّة، قبل أن يعيّنه الرّئيس-» عبد العزيز بوتفليقة»- رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربيّة سنة 2000م، وهو عضو في المجامع العربيّة الآتية: دمشق، وبغداد، وعمّان، والقاهرة، ويشرف حاليا على مشروع»-الذّخيرة العربيّة»-، هدفه إنجاز بنك آلي للّغة

الفصحى، يخدم كل العلوم والفنون، ينطلق من التّراث اللّغوي العربيّ الأصيل ويواكب العصر بكلّ تطوّراته. وهو صاحب نظريّة لسانيّة عربيّة»- النظرية الخليليّة الحديثة»-. له العديد من البحوث العلميّة قدم معظمها في مؤتمرات علميّة دوليّة تمتدّ من سنة 1964م إلى أيمنا هذه، جُمعت وطبعت في ثلاث مجلّدات: اثنان منها بعنوان –» بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة»-ج+1ج2. والثالث بعنوان:»- بحوث في علوم اللّسان.»-، إضافة إلى كتاب آخر بعنوان: «- السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة»- وكلها صادرة عن منشورات المجمع الجزائري للّغة العربيّة – الجزائر ،2007م.

(47) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، والشريف بوشحدان الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلميّة في ترقيّة استعمال اللّغة العربيّة، مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع7، جوان 2010 الهوامش.

(48) نادية حجازي وآخرون، معالجـــــة اللّغة العربيّة الطبيعيّة آليا، معهد الكويت للأبحاث العلمية، 1985.

(49) ينظر: المرجع نفسه، صص: 78-59.

(50) نبيل علي، اللّغة العربيّة والحاسوب- دراسة بحثيّة-

(51) ولد نبيل علي سنة 1938، بالقاهرة-مصر- حصل على البكالوريوس في هندسة الطيران سنة 1960 ثمّ سنة 1971 نال درجة الدكتوراه في نفس التخصص. عمل في الفترة بين 1972-1961 ضابطا مهندسًا بالقوات الجوية المصرية. وابتداءً من 1972؛ شغل منصب مدير الحاسب الآلي بشركة مصر للطيران، وبحلول 1983 عمل في مشروع صخر للكمبيوتر بالكويت، ثمّ عين نائب رئيس مجلس إدارة شركة صخر للبحوث والتطوير. ينظر: نبيل علي، اللّغة العربيّة والحاسوب.

(52) عبد ذياب العجيلي، الحاسوب واللّغة العربيّة، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلـــــــــــي، 1996.

(53) نهاد الموسى، العربيّة نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة.

(54) نهاد الموسى: أستاذ في قسم اللّغة العربيّة وآدابها بكلية الآداب من الجامعة الأردنية. من مواليد العباسية في 9/5/1942م. من مؤلفاته: في تاريخ العربيّة (1976)، ونظريّة في النحّو العربيّ (1980)، وقضية التحوّل إلى الفصحى (1987)، والعربيّة نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيّات الحاسوبيّة (2000)، وقيم الثبوت وقوى التحوّل (2007).ينظر: وزارة الثّقافة، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، culture.gov.jo

(55) نهاد الموسى، المرجع نفسه، ص: 197.

(56) ينظر: رأفت الكمار، الحاســـــــــوب ومكينة اللّغة العربيّة، دار الكتب العلميّة للنشر

والتوزيع، ط1، 2007.

(57) سلوى السيّد حمادة؛ باحثة بمعهد بحوث الإلكترونيات، وحاملة لشهادة دكتوراه في الهندسة بعنوان»- نظام ذكي لتفهم اللّغات الطبيعيّة»- من كلية الهندسة الحاسب، جامعة عين شمس، 1998.عنوان الكتاب كاملا: سلوى السيّد حمادة، المعالجة الآليّة للّغة العربيّة: المشاكل والحلول، دار غريب للطباعة والنشر، ط1، 2009.

(58) سناء منعم، اللّسانيّات الحاسوبيّة والترجمة الآلية، بعض الثوابت النظريّة والإجرائية، ص ص: 1 و6.

(59) وردت بالبحث رسائل ماجستير ودكتوراه من خارج الجامعة الجزائرية؛ لشحّ مثل هذه الرسائل ذات العلاقة باللّسانيّات الحاسوبية من أقسام اللّغة العربيّة، فقمنا بعملية البحث في مكاتب الجامعات الرقمية بالجامعات الجزائرية عبر شبكة (SNDL)، فلم نعثر على رسالة واحدة لها علاقة بالعلاج الآلي للصّرف العربي.WWW.smdl.cerist.dz

(60) عبد العزيز بن عبد الله المهيوبي، جهود اللغويين العرب الحاسوبية لخدمة الدراسات العربية، المحلات الصرفية أنماط منتدى اللسانيات العربية، نوفمبر 2012 على الموقع: .www lissaniat.net

المكون غير اللغوي ودوره في إنتاج الخطاب عند ابن جني في كتابه «الخصائص»

Non-verbal component and its role in discourse production By Ibn Jeni,s book (Alkhasayis)

د. أيمن محمود محمد إبراهيم، جامعة الملك خالد، السعودية.

ملخّـــــص

يبرز هذا البحث أثر المكون غير اللّغوي (اللغة غير المنطوقة) في إنتاج الخطاب عند ابن جني في كتاب (الخصائص)، وبيان مدى إسهام لغة غير منطوقة في إنتاج لغة منطوقة، وقد تمثلت تلك المكونات في مبحثتن:

الأول: الخلفية الثقافية للمشاركتن في الخطاب.

الثاني: سياق الموقف والحركة الجسميـــــة.

الكلمات المفاتيح: المكون غير اللّغوي -الخطاب -ابن جنّي -الخصائص -سياق الموقف -الحركة الجسمية.

Abstract

This research highlights the effect of the non-verbal component in the production of Ibn Jinni's discourse in the book «Alkhasayis» and the extent to which unspoken language contributes to the production of spoken language.

The first: is the cultural background of the participants in the discourse.

The Second: the context of position and the physical signals.

Key words: non-verbal component, discourse, Ibn Jinni, Alkhasayis, context of position, physical signal.

تقديـــــم:

الخطاب بوصفه نشاطا لغويا منطوقا (كلاما)، تؤثر في إنتاجه عوامل لغوية، وهذه لا شأن للبحث بها، وأخرى غير لغوية، وهي ما تسمي: المكونات غير اللغوية، وهذه المكونات هي مناط هذا البحث. فالكلام عند دي سوسير وجه من أوجه النشاط الإنساني، أما اللغة فهي وعاء هذا النشاط وأداته؛ فاللغة هي أنظمة من الرموز التي يستدعيها حدوث الكلام الفعلي، ويشترك في هذه العملية كل من المتكلم والمخاطب، ويشترك فيها الأول بوصفه بادئًا، والثاني بوصفه مستقبلاً. أما الكلام- أي القيام بعملية التكلم- فيستدعي صور الكلمات والرموز الأخرى التي انطبعت في أذهان كل المتكلمين، ثم يتم ترجمتها إلى أصوات فعلية واضحة ذات معنى.[1]

ويُقصد بالمكونات غير اللغوية: تلك اللغة غير المنطوقة، والتي تؤثر بشكل كبير ومباشر في إنتاج الخطاب (اللغة المنطوقة) الموجه من المتكلم إلى المخاطب، كما أنها تؤثر أيضا بشكل كبير ومباشر في فهم دلالاته، وتتمثل المكونات غير اللغوية في فكر ابن جني من خلال كتابه(الخصائص) في الخلفية الثقافية للمشاركين في الخطاب، وسياق الموقف، والحركات الجسمية. وقد أولى ابن جني هذه المكونات عناية فائقة في كتابه(الخصائص)، وقد أثرت هذه المكونات لديه في إنتاج الخطاب، وفهم دلالاته، بحيث يمكن القول: إن ابن جني يعد رائدا من رواد العربية في استخدام هذه المكونات.

ويهدف هذا البحث إلى بيان أثر تلك المكونات-بالرغم من أنها عناصر غير لغوية- في إنتاج الخطاب-وهو منتج لغوي- عند ابن جني من خلال كتابه(الخصائص)، كما يهدف إلى إبراز جهود عالم من علماء العربية الكبار هو ابن جني في التأصيل لنظرية لسانية حديثة هي(تداولية الخطاب)، وأن علماءنا العرب القدامى- ومنهم ابن جني- قد أسهموا إسهامات جليلة في تلك النظريات، فقد فطنوا إلى دراسة اللغة في ضوء سياقاتها الاجتماعية والثقافية، وأنها ليست بمعزل عن تلك السياقات، مراعين ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات. كما فطنوا إلى ضرورة تكامل العناصر المكونة للخطاب؛ لتحقيق التواصل اللغوي الناجح، من متكلم ومخاطب ومنطوق وخلفية ثقافية وموقف وحركات جسمية، وهو ما يلتقي فيه ابن جني مع التداوليين المعاصرين في أن التداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، يكتفي بمجرد وصف البنى اللغوية وتفسيرها، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، بل هي علم للتواصل يختص بدراسة اللغة في مجال استعمالها.[2] واستعمال اللغة عند التداوليين ليس مجرد إنجاز فعل مخصوص فقط، بل هي جزء كامل من التفاعل الاجتماعي.[3]

ويأتي هذا البحث مكونا من مبحثين رئيسين، وذلك على نحو ما هو وارد فيما يأتي:

المبحث الأول: الخلفية الثقافية للمشاركين في الخطاب:

تعد الخلفية الثقافية إحدى الافتراضات السابقة على إنتـــاج الخطاب، إذ يوجه المتكلم كلامه إلى مخاطبه على أساس مما يفترض سلفا أنه معلوم لديه[4]، فهي معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهما؛ فهي تمثل المعرفة المشتركة، أو القاعدة التي ينطلق منها المشاركون في الخطاب. ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، حيث تشكل تلك الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، بحيث تصبح تلك الخلفية الثقافية التواصلية مقدمة منطقية لإنتاج الخطاب[5]، فإذا قال شخص لآخر: أغلق النافذة. أو: لا تغلق النافذة. فالمفترض سلفا أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مسوغا يتطلب إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الآمر[6]، وبذلك يتحقق نجاح عملية التواصل اللغوي بينهما استنادا إلى تلك الخلفية الثقافية التي انطلقا منها، فهي معروفة لديهما، ومتعارف عليها بينهما، بالرغم من عدم التصريح بها، وقد أشار مالينوفسكي إلى أن أي نوع من التفاعل اللغوي أو التبادل الحواري لا يمثله فقط مجموع الرؤى أو الأصوات المحيطة بالحدث، ولكن أيضا كل التاريخ الثقافي الكامن في عقول المشاركين في الخطاب.[7]

وقد تمثلت الخلفية الثقافية عند ابن جني في كتابه (الخصائص) فيما يسمى بـ(كثرة الاستعمال)، و(العرف والعادة)، إذ يتأثر الخطاب (التركيب المنطوق) في إنتاجه أو في بنيته التركيبية اعتمادا على مسألة كثرة الاستعمال، أو العرف والعادة، وكلا الأمرين متفق عليه، ومعروف سلفا لدى كل من المتكلم والمخاطب. وتعد مسألة (كثرة الاستعمال أو العرف والعادة) من المكونات غير اللغوية التي تؤثر في إنتاج الخطاب، حيث ينطلق المشاركون في الخطاب من تلك الخلفية الثقافية المعروفة لديهم، والمتفق عليها فيما بينهم.

وبالرغم من أن كثرة الاستعمال والعرف والعادة في أصلهما مكونان كلاميان، فإنهما لحظة إنتاج الخطاب ليستا مكونين كلاميين؛ لأنهما ليستا من بنية الخطاب المنطوق.

وقد عُني ابن جني في كتابه (الخصائص) عناية فائقة بتلك الخلفية الثقافية للمشاركين في الخطاب، حيث أسهمت لديه في إنتاج الخطاب، وفهم دلالاته، وذلك

على نحو ما هو وارد فيما يأتي:

أولا: كثرة الاستعمال:

حيث يجعل ابن جني من كثرة الاستعمال موجها أصيلا في أن يُجعل الخطاب المنطوق على سبيل المجاز مساويا للخطاب المنطوق على سبيل الحقيقة، فيصير المجاز أصلا كما أن الحقيقة أصل، كما يجعل من كثرة الاستعمال أصلا في تحديد البنية التركيبية للخطاب، ويضرب ابن جني في هذا الشأن المثال تلو المثال، فالمتكلم إذا وجه منطوقه لمخاطبه في نحو قوله» أنت الأسدُ وكفُّك البحرُ»[8]، فإن ابن جني يرى أن هذا الخطاب مجازي المعنى لفظي الحقيقة، وقد تأثر هذا الخطاب في بنيته بحذف أداة التشبيه؛ لأن المتكلم يريد: أنت كالأسد وكفُّك مثل البحر[9]، ولكن هذا الخطاب المجازي المعنى قد تحول إلى معنى حقيقي بفعل كثرة استعماله وشيوعه على ألسنة المتكلمين، وإدراك المخاطبين لهذا الشيوع، بحيث صار الفرع متمكنا تمكن الأصل، فيشير ابن جني إلى أن» سبب تمكن هذه الفروع عندي أنها في حال استعمالها على فرعيتها تأتى مأْتَى الأصل الحقيقيّ لا الفرع التشبيهيّ»[10]، ويسوق ابن جني بيتين من الشعر مدللا على ما ذهب إليه، فيقول «وعليه جاء قوله:

ليلَى قضيـــــــــــبٌ تحته كَثِيبُ

وإنما يريد : نصف ليلى الأعلى كالقضيب، وتحته رِدف مثل الكثيب. وقول طَرَفة:

جازت القومَ إلى أرحُلنا ❖ آخرَ الليلِ بيَعْفُورٍ خَدِرْ

أي بشخص أو بإنسان مثل اليعفور، وهو واسع كثير. فلمَّا كثر استعمالهم إيَّاه- وهو مجاز- استعمالَ الحقيقة واستمرَّ واتلأبَّ، تجاوزوا بهِ ذاك إلى أن أصاروه كأنه هو الأصل والحقيقة.»[11] حيث يشير ابن جني إلى أن بنية الخطاب قد تأثرت بحذف أداتي التشبيه(الكاف، ومثل) اعتمادا على كثرة الاستعمال الوارد في مثل هذه التراكيب، بحذف أداتي التشبيه، حتى صارت هذه التراكيب بهذا الحذف أصلا وحقيقة لا فرعا ومجازا.

كذلك يرى ابن جني أن تقديم المفعول به على الفاعل أصبح يمثل ثقافة لغوية لدى المشاركين في الخطاب، وأنه قد كثر وشاع على الألسنة «واطَّرد من مذاهبهم كثرةُ تقدمه على الفاعل، حتى دعا ذاك أبا عليٍّ إلى أن قال: إن تقدُّم المفعول على الفاعل قِسْم قائم برأسه، كما أن تقدُّم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه»[12]، ويستشهد ابن جني بشواهد متعددة من القرآن والشعر، منها: قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عبادِهِ**

العُلَماءُ﴾[13]، وقول ذي الرمة[14]:

أستحدثَ الركبُ من أشياعِهم خبرا ❖ أم عاود القلبَ من أطرابِه طَرَبُ

وقول لَبِيد[15]:

فمَدافعُ الريَّانِ عُـــــرِّيَ رسْمُهَا ❖ خَلَقاً كما ضَمِــنَ الوُحِيَّ سِلامُها

«ومن أبيات الكتاب :

اعتاد قلبَك من سَلْمَى عوائــدُهُ ❖ وهاج أهواءَك المكنونــةَ الطَلَلُ

فقدَّم المفعول في المصراعين جميعا.»[16]

ثم يعلق ابن جني على تلك الشواهد بقوله «والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالَم غير مستنكَر، فلمَّا كَثُر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له، حتى إنه إذا أخِّر فموضعه التقديم.»[17] ومن ثم تصبح مسألة تقديم المفعول به على الفاعل-من منظور ابن جني- خلفية ثقافية وعرفا لغويا، وقاعدة عامة ينطلق منها المتكلم والمخاطب في إنتاج الخطاب.

ويتخذ ابن جني من الخلفية الثقافية المتعارف عليها بين المتكلم والمخاطب بـ(كثرة الاستعمال) موجها في تحديد بنية الخطاب، والتوسع في تجاور أحواله وأزمنته، وذلك» نحو قولهم : أحسنتُ إليه إذْ أطاعني، وأنت لم تحسن إليه في أوَّل وقت الطاعة، وإنما أحسنتَ إليه في ثاني ذلك؛ ألا ترى أن الإحسان مسبَّب عن الطاعة، وهي كالعِلَّة له، ولابدَّ من تقدُّم وقت السبب على وقت المسبَّب، كما لابدَّ من ذلك مع العِلَّة . لكنه لمَّا تقارب الزمانان، وتجاورت الحالان، في الطاعة والإحسان، أو الطاعة واستحقاق الإحسان، صارا كأنهما إنما وقعا في زمان واحد»[18]، ويذكر أمثلة أخرى متنوعة لخطابات متعددة، يحتوي كل خطاب منها على فعلين لم يقعا في زمان واحد، بل إن الثاني يتبع الأول منهما في التعقيب الزمني، فيقول «ومثله: لمَّا شَكرني زرتُه، ولمَّا استكفاني كفيتُه، وزرتُه إذ استزارني، وأثنيتُ عليه حين أعطاني، وإذا أتيتُه رحَّب بي، وكلما اسْتنصرتُه نصرني (أي كلّ وقت استنصرُه فيه يَنصرني) وإنما ينصرك فيما بعد زمان الاستنصار. ويؤكّد عندك حالَ إتباع الثاني للأوَّل، وأنه ليس معه في وقته، دخولُ الفاء في هذا النحو من الكلام، كقولك: إذا سألتُه فإنَّه يُعطيني، وإذا لقِيته فإنه يَبشُّ بي . فدخول الفاء هنا أوَّل دليل على التعقيب، وأن الفعلين لم يقعا معا في زمان واحد»[19]، ثم يشير ابن جني إلى أنه لما كثر هذا في الكلام، وشاع على ألسنة المتكلمين، توسع فيه إلى ما بَعُد فيه الحال والزمان بين الفعلين، حيث يقول: «ولمَّا اطَّرد هذا في كلامهم، وكثر على ألسنتهم وفي استعمالهم،

تجاوزوه واتَّسعوا فيه إلى ما تناءت حالاه، وتفاوت زماناه. وذلك كأن يقول رجل بمصر في رجل آخر بخراسان: لمَّا ساءت حاله حسَّنتُها، ولمَّا اختلَّت معيشته عمرتها. ولعله أن يكون بين هاتين الحالين السَّنة والسنتان.»[20]

ومن ثم فإن كثرة الاستعمال-وهي خلفية ثقافية يدركها المشاركون في الخطاب- قد أثرت في البنية التركيبية للخطاب، وذلك باستخدام أفعال غير متجاورة في الأحوال والأزمنة.

- ثانيا: العرف والعادة:

يرى ابن جني حذف حرف الجر من بنية الخطاب اعتمادا على جريان العرف والعادة بحذفه من التركيب، فيقول» وكذلك قوله:

رَسِم داروقفتُ في طلَله ❖ كدتُ أقضي الغداة من جَلَله

أي ربَّ رسم دار. وكان رُؤبة إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: خيرٍ عافاك الله- أي بخير- يحذف الباء لدلالة الحال عليها بجرى العادة والعرف بها»[21]، فقد انطلق المتكلم في إنتاج خطابه بحذف حرف الجر من بنية الخطاب استنادا إلى العرف السائد بين مستخدمي اللغة في حذف حرف الجر، ولا شك أن المخاطب على وعي بهذا الحذف من خلال إدراكه لمسألة العرف والعادة التي تبيح حذف حرف الجر في مثل هذه التراكيب.

ومما يبدو فيه أثر العرف والعادة في تحديد بنية الخطاب، ما ذكره ابن جني من إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول، بحيث يتقدم المضمر على مظهره لفظا ومعنى، حيث يشير إلى أنهم « قالوا في قول النابغة:

جزى ربُّه عنِّي عديَّ بن حاتم ❖ جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقد فعل

إن الهاء عائدة على مذكور متقدِّم، كلُّ ذلك لئلا يتقدم ضميرُ المفعول عليه مضافا إلى الفاعل فيكونَ مقدَّما عليه لفظا ومعنى. وأمَّا أنا فأجيز أن تكون الهاء في قوله (جزى ربُّه عنِّي عديَّ بن حاتم ...) عائدةً على عديّ خلافا على الجماعة»[22]، حيث يرى أن الهاء في(ربه) عائدة على عدي من جهة المعنى «ويؤكِّد أن الهاء في ربه لعديّ بن حاتم من جهة المعنى عادةُ العرب في الدعاء، ألا تراك لا تكاد تقول: جزى ربُّ زيدٍ عمرًا، وإنما يقال: جزاك ربُّك خيرًا أو شرًّا، وذلك أوفق؛ لأنه إذا كان مجازيه ربّه كان أقدر على جزائه وأملأ به؛ ولذلك جرى العرفُ بذلك فاعرفه»[23]، لقد كان عرف العرب وعادتهم منطلق ابن جني في إنتاج خطاب يجيز فيه أن يتقدم ضمير الاسم الظاهر عليه.

المبحث الثاني: سياق الموقف والحركة الجسمية:

سياق الموقف «هو وجود مكون لا كلامي مصاحب للمكون الكلامي في كل وحدة كلامية محكية»[24]، وبعبارة أخرى: هو مجموعة من العناصر غير اللغوية المصاحبة للأداء اللغوي، والتي تؤثر- بشكل كبير- في بنية الخطاب وتحديد دلالاته، وذلك مثل: شخصية كل من المتكلم والمخاطب، والأشياء أو الموضوعات المتصلة بموضوع الكلام، وما يحيط بالكلام من ظـــــــروف وملابسات متصلة به، كالبيئة والزمن والأحداث المعاصرة له.[25]

ويعد ابن جني من أبرز علماء العربية عناية بالموقف، حيث يلعب دورا بارزا في البنية التركيبية للخطاب؛ وذلك لأن «الكلام والسياق عنصران متلازمان يكمل بعضهما بعضا، ولا انفصام بينهما، فقد يبقى التركيب على حاله، أو يزيد، أو ينقص، لكن السياق هو الذي يقتضي هذا الإبقاء أو الامتداد، أو يكمل هذا الحذف.»[26] كما أدرك أن عزل الخطاب عن سياقه هو موت له، فالكلام مجردا من سياقه تتعدد أوجهه ودلالاته، ولا يتعين واحد منها إلا بتعيين السياق، فالأصل في القول الطبيعي أن تتعدد معانيه إلى أن يثبت خلاف ذلك بالدليل[27]، فالمواقف هي الأسباب التي تدفع المتكلم والمخاطب إلى إنتاج خطاب ما، وهي التي تحدد طريقة هذا الخطاب، ويكون منطوق المتكلم استجابة لتلك المواقف.[28]

أما الحركة الجسمية: فاللغة بوصفها نظاما من العلامات- على حد قول دي سوسير- أو ضربا من السلوك-على حد قول بلومفيلد- فإنها ليست الوسيلة الوحيدة التي يستعملها الإنسان في التواصل، بل إن هناك وسائل أخرى تتخذ من جسم الإنسان سلوكا أو علامات للتواصل مع غيره، فيستخدم «أعضاء جسمه بل جسمه كله في التواصل مع الآخرين، إنه يتكلم بجسمه كما يتكلم بلسانه، وتحمل حركاته وإشاراته دلالات مفهومة مثل كلمات اللغة تماما»[29]، فلولا تلك الإشارات والإيماءات المصاحبة للكلام» وهي موضوع عناية عند السيميائيين التداوليين وعلماء الإناسة، لما وجدنا إلى فهم الملفوظات سبيلا»[30]، فقد يستعاض بالإشارات والإيماءات، أو حركات الجسم كالعين أو الكتف أو اليد في التعبير عن المنطوق، وقد تكون أبلغ من الكلام في كثير من الأحيان.[31]

وقد جاءت هذه الإشارات مصاحبة لسياق الموقف عند ابن جني في كتابه(الخصائص)، لا تنفصم عنه بحال من الأحوال، وقد أسهما معا في إنتاج الخطاب لديه، والتأثير في بنيته التركيبية، وفهم دلالاته، وذلك على نحو ما هو وارد فيما يأتي:

1 - **الإيماءة مع سياق الموقف:** وذلك في قول ابن جني «وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس، فقلت: كلَّم هذا هذا، فلم يجبه، لجعلت الفاعل والمفعول أيَّهما شئت؛ لأن في الحال بيانا لما تعنِي.»[32] فالخطاب هنا تمثل في المنطوق(كلَّم هذا هذا)، وقد كانت الإشارة الجسمية المتمثلة في الإيماءة دافعا لإنتاج هذا الخطاب، أما سياق الموقف، فقد تمثل في أن حال الرجل من الفرس معلوم، حيث الخطاب موجه من العاقل إلى من لا يعقل، وقد اعتمد ابن جني على الإيماءة السابقة كدافع لإنتاج الخطاب، كما اعتمد على سياق الموقف لفهمه، وما يمكن أن يعتري الخطاب من تقديم أو تأخير استنادا إلى هذا السياق، فيقول: «وكذلك قولك: ولدَتْ هذه هذه، من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة، غير منكورة.»[33]

2 - **العين والأذن مع سياق الموقف:** حيث تضافرت حاسة البصر مع حاسة السمع- وهما مكونان لاكلاميان- لإنتاج الخطاب عند ابن جني، كما كان سياق الموقف وسيلة لفهمه، فيسوق قول سيبويه «لعلَّ الأوَّل وصل إليه علم لم يصل إلى الآخِر، يعنى أن يكون الأوَّل الحاضر شاهَد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية، والآخِر- لبعده عن الحال- لم يعرف السبب للتسمية»[34]، فقد أولى ابن جني عنايته برؤية العين، ومشاهدة الحال، ومعرفة الموقف، وجعلها سببا في إنتاج الخطاب، فمن رأى بعينه وعرف الموقف، ليس كمن بَعُد عنه ولم يره، ويستشهد ابن جني في هذا الشأن بحكاية حال، فيقول: «ألا ترى إلى قولهم للإنسان إذا رفع صوته: قد رفع عقيرته، فلو ذهبت تشتق هذا بأن تجمع بين معنى الصوت وبين معنى(ع ق ر) لبعد عنك وتعسَّفت. وأصله أن رجلا قطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضَعها على الأخرى، ثم صرخ بأرفع صوته، فقال الناس: رفع عقيرته»[35]، فالخطاب المنطوق: قد رفع عقيرته، كان نتاج موقف معين تمثل في رجل قطعت إحدى رجليه، على حين تمثلت الإشارة الجسمية في رؤية الرجل وقد قطعت إحدى رجليه، وسماعه يصرخ بأعلى صوته.

إن ابن جني في كلامه يشير إلى أن الخطاب(قد رفع عقيرته)، لا يفهم حق الفهم إلا من خلال ربطه بالموقف؛ لأنه بمعزل عن الموقف لا يؤدي دلالة رفع الصوت، بل يفهم منه أنه رفع رجله المعقورة، فدلالته على رفع الصوت قد فهمت من خلال الموقف الذي قيل فيه، كما كانت العين والأذن دافعا لإنتاج هذا الخطاب.

ومما يبدو فيه دور العين والأذن مع سياق الموقف في إنتاج الخطاب وفهم دلالاته، ما ذكره ابن جني في قوله: «ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعالِ الناصبِة، نحو قولك إذا رأيت قادمًا: خيرَ مَقْدمٍ، أي قدمتَ خير مقدم، فنابت

الحال المشاهدَة منابَ الفعل الناصب، وكذلك قولك للرجل يُهوِي بالسيف ليضرب بهِ: عمرًا، وللرامي للهَدَفِ إذا أرسل النزع فسمعت صوتا: القرطاسَ والله، أي اضِربْ عمرًا، وأصاب القرطاس. فهذا ونحوه لم يُرفَض ناصبه لثقله، بل لأن ما ناب عنه جارٍ عندهم مجراه، ومؤدٍّ تأديته»[36]، لقد تأثر الخطاب المنطوق من قبل المتكلم بحذف أحد عناصره اعتمادا على سياق الموقف والحركة الجسمية، فالخطاب: خيرَ مقدم، وعمرًا، قد حذف منهما الفعل: قدمتَ، واضرب، اعتمادا على سياق الموقف المتمثل في حالة رجل قادم، ورجل مهو بسيفه ليضرب، وتمثلت الإشارة الجسمية في رؤية كليهما بالعين، وكذلك الخطاب: القرطاسَ، حذف منه الفعل الناصب له استنادا إلى الموقف المتمثل في رام يرسل السهم نحو القرطاس، والتقدير: أصاب القرطاسَ، وقد جمع ابن جني بين سلوكين حركيين صاحبا الخطاب، هما رؤية العين المتمثلة في مشاهدة رام يسدد السهم نحو القرطاس، والسمع بالأذن المتمثل في سماع صوت السهم في القرطاس. ويؤكد ابن جني على أن سبب حذف الفعل من بنية الخطاب ليست راجعة لثقل، وإنما ناب المكون غير اللغوي(سياق الموقف، والإشارة الجسمية) عن المكون الكلامي(الفعل)، وقام بالوظيفـــــــة ذاتها التي يقوم بها الفعل؛ لأنه يجري مجراه، ويؤدي تأديته.

3 - **الأذن واليد والوجه مع سياق الموقف:** لقد بلغ من اعتداد ابن جني بالموقف والإشارة الجسمية، أنه يشير إلى أن الخطاب بمعزل عنهما لا يمكن فهمه، فيحكي قصة الموقف، معتدا بالإشارة الجسمية كوسيلة لفهم المنطوق، فيقول: «ألا ترى إلى قوله :

تقول وصكَّت وجهَها بِيمِينها ❖ أَبَعْلِيَ هذا بالرحَى المتقاعِسُ

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس- من غير أن يذكر صكَّ الوجه- لأعلمَنا بذلك أنها كانت متعجّبة منكِرة، لكنه لمَّا حكى الحال، فقال: وصكَّت وجهها، عُلِم بذلك قوَّة إنكارها، وتعاظُم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غيرُ مشاهِد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولِعظم الحال في نَفْس تلك المرأة أبين، وقد قيل: ليس المخبَر كالمعاين»[37]، فالشاعر يسوق كلامه على لسان زوجته، وكانت قد مرت به في نسوة وهو يطحن بالرحى لضيف نزلوا به، فقالت: أبعلي هذا؟ تعجبا واحتقارا له، فأنشد هذا البيت.[38] إن الخطاب الجاري على لسان المرأة: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس، قد ارتبط بموقف لا يمكن فصله عن المنطوق، وهو مرور المرأة بزوجها في نسوة وهو يطحن بالرحى، وقد كان هذا الموقف دافعا لإنتاج هذا الخطاب من قبل المرأة. كذلك أشار ابن جني إلى السلوك الحركي المصاحب للخطاب، وهو صك

المرأة وجهها بيمينها، هذا السلوك الذي جعلنا نفهم دلالة الخطاب، ولو خلا الخطاب منه لعلمنا أنها متعجبة ومنكرة لحال زوجها، ولكن صكها وجهها بيمينها أعلمنا بقوة هذا الإنكار، وتعاظم الصورة لديها «ولو لم يَنقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكَّت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاظُم الأمر لها، وليست كلُّ حكاية تُروَى لنا، ولا كلُّ خبرٍ يُنقل إلينا يُشْفع بهِ شرحُ الأحوال التابعة له، المقترنة –كانت- بهِ. نعم ولو نُقلت إلينا لم نُفِد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها.»[39]

إن ابن جني يشير في النص السابق إلى قاعدة تداولية، حين يفرق بين الاقتصار على قناة اتصالية واحدة، كسماع حكاية الحال فقط، والجمع بين قناتي اتصال في آن واحد، كسماع حكاية الحال ومشاهدتها» فسماع حكاية الحال تجعلك عارفا بالمقصد، ولكن مشاهدتها تجعلك بالمقصد أعرف، ولحقيقته أبين.»[40]

4 - **العين وسياق الموقف:** حيث يرى ابن جني أن المكون الكلامي لا يكفي وحده لتحقيق التواصل اللغوي الكامل وفهم المنطوق، بل يحتاج المتكلم إلى أمور أخرى مصاحبة لخطابه، منها حضور مخاطبه، ورؤيته له، إذ لا يستوي حضوره وغيابه، أو توجيه الخطاب إليه في الظلمة، فحضوره يجعله على إدراك تام بالموقف، كما أن رؤية الإشارات الجسمية المصاحبة للكلام تلعب دورا بارزا في فهم الخطاب، فيقول: «أَوَلا تعلم أن الانسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطِب بهِ صاحبه، ويُنْعِم تصويره له في نفسه، استعطفه ليُقبل عليه، فيقول له: يا فلان أين أنت؟ أرِني وجهك، أقبِل عليَّ أُحدِّثك، أمَا أنت حاضر يا هناهْ، فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدِّثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك، فلو كان استماع الأُذُن مغنِيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه، لما تكلَّف القائل ولا كلَّف صاحبَه الإقبالَ عليهِ، والإصغاء إليهِ، وعلى ذلك قال:

العينُ تبدِى الذي في نفسِ صاحِبها ❖ من العـــــــداوة أو ودٍّ إذا كانا

وقال الهُذَليُّ:

رَفَوْني وقالوا يا خُويلـــــدُ لا تُرَعْ ❖ فقلت و أنكرتُ الوجـــوه هم هم

أفلا ترى إلى اعتبارِه بمشاهدة الوجوه، وجعلِها دليلا على ما في النفوس، وعلى ذلك قالوا: رب إشارةٍ أبلغُ من عبارة، وحكاية الكتاب من هذا الحديث وهي قوله: ألا تا، وبلى فا، وقال لي بعض مشايخنا -رحمه الله- أنا لا أحسِـــــن أن أكلِّم إنسانا في الظلمة.»[41] إن ابن جني في هذا النص يؤسس لقاعدة تداولية، فهو لا يكتفي بحضور مخاطبه ورؤيته له فقط لتوجيه الخطاب إليه، بل يشترط في مخاطبه استعداده التام

لتلقي الخطاب، وهذا ما يتضح من قوله: فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدِّثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك. ويلتقي ابن جني في هذا الشأن مع التداوليين المعاصرين في أن المخاطب حاضر دائما في الموقف الكلامي، فإن لم يكن حاضرا حضورا عينيا، استحضره المتكلم استحضارا ذهنيا.[42] كما أن توجيه الخطاب لإنسان في الظلمة يستوي وغيابه، فتعابير الوجه، والإشارات الجسمية للمتكلمين «هي في ذاتها لغة ومعان تكميلية دقيقة للعملية التواصلية.»[43] ويؤكد ابن جني على مسألة حضور الموقف الكلامي، ومشاهدة الأحوال والوجوه وما توحي به من تعبيرات لا تؤديها اللغة المنطوقة، فيقول» فليت شِعرِي إذا شاهد أبو عمرٍو، وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسى بن عُمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخَلَف الأحمر، والأصمعيُّ، ومَن في الطبقة والوقت من علماء البلدين، وجوهَ العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألاَ تستفِيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور مالا تؤدِّيه الحكايات، ولا تضبِطه الروايات.»[44] إن حضور الموقف الكلامي، ومشاهدة ما يرتبط به من أحداث وظروف مشاهدة عينية-في رأي ابن جني-تحقق الفهم الكامل والحقيقي للخطاب، دون أدنى شك في هذا الفهم.

4 - **الوجه وسياق الموقف:** مما يوحي بأثر الموقف، والإشارة الجسمية المتمثلة في حركات الوجه وتعبيراته-وهما مكونان لاكلاميان- في تغيير بنية المنطوق، ما ذكره ابن جني حين تكون في ذم إنسان ووصفه بما يقبح من الصفات» وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا! وتزوى وجهك وتقطبه، فيغنى ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لَجِزا أو مبخَّلا أو نحو ذلك»[45]، لقد اعتمد ابن جني في إنتاج الخطاب: سألناه وكان إنسانا، على الموقف المتمثل في الرغبة في ذم إنسان ووصفه بالضيق، كما اعتمد في حذف الصفة من بنية هذا الخطاب على الإشارة الجسمية المتمثلة في زيِّ الوجه وعبوسه، فقد أغنت مشاهدة الوجه وتعبيراته عن ذكر الصفات التي هي مكون كلامي، بل إن تعبيرات الوجه كانت أبلغ في الدلالة من ذكر المنطوق.

خاتمة البحث:

- أدرك ابن جني أهمية المكونات غير اللغوية في إنتاج الخطاب وفهم دلالاته، وأنها تعمل على تحقيق التواصل اللغوي الناجح بشكل قد لا تؤديه المكونات الكلامية في كثير من الأحيان.

- مثلت الخلفية الثقافية عند ابن جني قانونا أو قاعدة عامة ينطلق منها المشاركون في الخطاب لإنتاجه.

- اتكأ ابن جني على سياق الموقف وما صاحبه من إشارات جسمية- وهما مكونان لاكلاميان- في حذف عنصر من عناصر الخطاب، مؤكدا أن هذا العنصر لم يحذف لثقله، لكن الموقف وما صاحبه من سلوك حركي قد قاما بوظيفته.

- أكد ابن جني على ضرورة حضور المخاطب للموقف الكلامي، ورؤيته واستعداده لتلقي الخطاب؛ لأن المخاطب هو المقصود بالخطاب، ومن أجله أنشئ، وهذا ما أكد عليه التداوليون المعاصرون بأن المخاطب حاضر دائما، إما حضورا عينيا، وإما حضورا ذهنيا.

- فرق ابن جني بين سماع الموقف ومشاهدته؛ لأن مشاهدة الموقف وما صاحبه من ظروف وأحداث، ومشاهدة إشارات الجسم، تحقق الفهم الكامل والحقيقي للخطاب دون أدنى شك في هذا الفهم.

- أدرك ابن جني ضرورة تكامل العناصر المكونة للخطاب لتحقيق التواصل اللغوي الناجح، من متكلم ومخاطب ومنطوق وخلفية ثقافية وموقف وإشارات جسمية.

- اتخذ ابن جني من المكونات غير اللغوية المتمثلة في الخلفية الثقافية، وسياق الموقف، والإشارات الجسمية- وهي عناصر خارجة عن الخطاب المنطوق- أساسا في التقعيد وتحليل التراكيب.

- إن ابن جني بهذا الفهم، قد أسهم إسهامات جليلة في نظرية لسانية حديثة، هي نظرية(تداولية الخطاب).

هوامش البحث:

(1) انظر: فصول في علم اللغة العام. فيرديناند دي سوسير. ترجمة: أحمد نعيم الكراعين. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية1985م: 38، 39.

(2) انظر: التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. د/ مسعود صحراوي، دار الطليعة. بيروت. الطبعة الأولى2005م: 16.

(3) انظر: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. فان دايك. ترجمة: عبد القادر قنيني. دار أفريقيا الشرق. بيروت 2000م: 227.

(4) The study Of Language.Yule,G. Cambridge University 1987:100.

(5) انظر: التداولية عند العلماء العرب: 30، 31.

(6) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د/ محمود أحمد نحلة. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية 2002م: 26، التداولية عند العلماء العرب:32.

(7) انظر: علم لغة النص. النظرية والتطبيق. د/عزة شبل محمد. مكتبة الآداب. القاهرة.

الطبعة الثانية1430هـ2009-م: 3.

(8) الخصائص. لابن جني. تحقيـــق: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية بالقاهرة:2/177.

(9) انظر:السابـق: 2 /177.

(10) السابـــق: 2/ 177.

(11) السابـــق: 2/ 177.

(12) الخصائص: 1/ 295.

(13) سورة فاطـــر: 28.

(14) البيت في ديوان ذي الرمة. بشرح أبي نصر الباهلي. وروايـة أبي العباس ثعلب. تحقيق: الدكتور/ عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الإيمان. بيروت1982م1402-هـ:1/13، الخصائص: 295/1.

(15) ديوان لبيد بن ربيعة العامري. تحقيق: الدكتور/ إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت 1962م: 297، الخصائص: 1/ 296.

(16) الخصائـــص: 1/ 296.

(17) الخصائـــص: 1/ 297.

(18) السابـــــق: 3/ 222.

(19) السابـــــق: 3/ 223.

(20) الخصائـص: 3/ 223.

(21) السابـــــق: 1/ 285.

(22) السابـــــق: 1/ 294.

(23) الخصائص: 1/ 298.

(24) السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي. د/ عرفة عبد المقصود عامر حسن. كتاب المؤتمر الدولي السادس(سيبويه إمام العربية) قسم النحو والصرف والعروض. كلية دار العلوم-جامعة القاهرة 2010م: 79.

(25) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. د/ محمود السعران. دار المعارف بالقاهرة 1962م: 339 وما بعدها، السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي: 79.

(26) السياق في فكر سيبويه وعلاقتـــــــــــه بالمكون التركيبي: 80.

(27) انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. د/ طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. المغرب. الطبعة الأولى 1998م: 45.

(28) انظر: مقالات في تحليل الخطاب. تقديم: حمادي صمود. منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات. جامعة منوبة. وحدة البحث في تحليل الخطاب 2008م: 32.

(29) الإشارات الجسمية. دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل. د/ كريم زكي حسام الدين. دار غريب بالقاهرة. الطبعة الثانية2001م:27، وانظر: العبارة والإشارة. دراسة في نظرية الاتصال: 155.

(30) الأفق التداولي. نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية. د/ إدريس مقبول. عالم الكتب الحديث. الأردن. الطبعة الأولى 2011م: 80.

(31) انظر: المعنى خارج النص. أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب. فاطمة الشيدي. دار نينوي. دمشـــــق 2011م: 41.

(32) الخصائـــــــص: 1/ 35.

(33) السابـــــــــق: 1/ 35.

(34) السابـــــــــق: 1/ 66.

(35) السابـــــــــق: 1/ 66.

(36) الخصائـــــــص: 1/ 264.

(37) الخصائـص: 1/ 245، 246.

(38) انظر: العبارة والإشارة: 149.

(39) الخصـــــــائص: 1/ 246.

(40) العبارة والإشـــــارة:151.

(41) الخصائص: 1/ 246، 247.

(42) انظر: استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار الكتاب الجديدة المتحدة. الطبعة الأولى2004م: 48.

(43) الأفق التـــداولي: 87.

(44) الخصائص: 1/ 248.

(45) السابـــق: 2/ 371.

شروح الآجرّومية وأثرها في تعليميّة النّحو

The explanation of the «adjurumia» and its impact on the teaching of grammar

محجوب تيلولي، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر.

ملخّـــص

يبحث هذا المقال في طريقة من طرق تعليم النّحو وتبسيطه، وهي طريقة شروح المتون النّحوية. فسلط المقال الضوء على شروح الآجروميّة التي تناولت هذا المتن المختصر شرحا وتبسيطا وتحشية وإعرابا، لما له من كبير فائدة في تعليميّة النّحو بالنّسبة للمبتدئين؛ ليدخلوا من خلاله عالم المتون والمنظومات النحوية المطوّلة؛ لأنّ المراد من كلّ هذا ضبط القاعدة النّحوية وتطبيقها، ثمّ الاستشهاد لها وعليها، ليصل متعلّم النّحو في الأخير إلى إتقان الكلام المستعمل الفصيح؛ وضبط لسانه على أساليب العرب الجارية.

الكلمات المفاتيح: النّحو، الشّـــــــروح النّحوية، التّعليمية، الآجُرُّوميّة، الشرّاح، التّدريبات النّحوية.

Abstract

This article researches a methode ammong the methods of teaching grammar and simplifying it. It is the méthode of explaining grammatical corpuses. It sheded light on the adjurumian explanation which tackled the summurized corpus explicatively and simply and syntactically with great importance in teaching grammar for beginners, to go through the world of corpuses and grammatical long systems. The objective is therefore the precision of grammatical rule and its pratice, the nits examplification. The learner of grammar with then reach mastering pure language and accordance to current arabs style.

key words: grammar, grammaticle explanation, teaching, adjurumia,explainers, grammar pratices.

مقدمـــــــة:

كان الدّافع الأساسي للنّحويين القدماء عند وضع قواعد النحو وتأصيل تعليميّته هو صون اللسان عن الخطأ واللّحن خدمة للقرآن الكريم، ومحاولة فهمه والاستنباط منه، ثمّ الاستشهاد به على اللّغة العربيّة و قواعدها، ومن هنا كان النّحو أشرف علوم اللّغة وأوسطها مقاما، إذ المراد منه حسن التكلم وعدم اللّحن،وليس مجّرد حفظ القواعد ولهذا قال ابن خلدون (ت 808هـ)في المقدمة:» ...فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، وليس هو نفس العمل، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النّحاة، والمهرة في صناعة العربيّة، المحيطين علما بتلك القوانين، إذا سئل في كتابة شطرين إلى أخيه أوذي مودّة أو شكوى ظلامة أو قصد من قصدوه أخطأ فيه عن الصّواب و أكثر من اللّحن، ولم يُجِد تأليف الكلام لذلك ... ولهذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنّين من المنظوم و المنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية»[1]

وجمعا بين الطّريقتين أي بين حصول ملكة الكلام باللّسان العربيّ والوقوف على القواعد النّحوية واستيعابها، حاول النّحويون المتأخّرون التّخفيف عن المتعلّمين بالبعد عن المطوّلات، والخلافات النّحويّة، والجنوح إلى المختصرات النّحوية، سعيا منهم أن يلمّ المبتدئ ببعض القواعد النّحوية ثمّ يتدرّب على الكلام العربيّ شعرا ونثرا، حتى يتحكّم أكثر في اللّغة السّليمة.

فمن هذه المختصرات المختصر النّحوي المعروف: «بالمقدّمة الآجُرُّوميّة» والتي سنقف عليها؛ معرّفين بها وبمؤلّفها، كما نقف على جانب خدمتها شرحًا وتتمّةً ونظمًا وإعراباً،وكذا معرفة أثرها المباشر في تعليميّة النّحو العربي.

1) التعريـــــف بالمؤلف:

أ) اسمه، مولده، ووفاته:

قال السّيوطي(ت911هـ) في بغية الوعاة: «محمّد بن محمّد بن داود الصّنهاجي أبو عبد الله النّحوي المشهور بابن آجُرُّوم، بفتح الهمزة الممدودة وضمّ الجيم والرّاء المشدّدة، ومعناه بلغة البربر «الفقير الصّوفي.»[2]

وأما عن تاريخ مولده ووفاته فيقول السّيوطيّ أيضا:» قال الحلاّوي في شرحه للآجرّومية: وكان مولد مؤلف الجُرُّوميّة عام اثنتين وسبعين وستمائة، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرين وسبعمائة، في شهر صفر الخير...»[3]

وينسب ابن آجُرُّوم إلى قبيلة صَنهاجة المغربيّة، قال المحقّق حايف النّهان

في تحقيقه للآجُرُّوميّة: «والصّنهاجي قيل نسبه للبلدة المشهورة، وقيل نسبة لقبيلةٍ مغربيّةٍ، قال الإبياريّ» الصّنهاجي–بفتح الصّاد، المهملة وكسرها- نسبة إلى صنهاجة، بلدة مشهورة وقال البيجوري « نسبة إلى صنهاجة وهي قبيلة بالمغرب «والصّواب ماذكره البيجوري، فإن ابن آجرّوم من أهل فاس مولداً وإقامةً ووفاةً.»[4]

وأمّا اسمه الذي عرف به هو «ابن آجرّوم» فقد قال السّيوطي: «المشهور بابن آجرّوم بالفتحة الممدودة، وضـــــمّ الجيم والرّاء المشددة، ومعناه بلغة البربر» الفقير الصّـــــوفي.»[5]

ثم ذكر السّيوطي ضبطاً آخر فقـــال : ثم رأيت بخط ابن مكتوم في تذكرته فقال: محمّد بن محمّد الصّنهاجي أبو عبد الله من أهل فاس، يعرف بأكروم...»[6]

وقال ابن الحاج في حاشيته على شرح الآجروميّة لخالد الأزهري:» ووجد بخطّ المؤلّف آجروم بهمزة غير ممدودة ومعنى آجرّوم بلغة البربر الفقير الصوفي.»[7]

وقال صاحب مقدّمة تحقيق الآجرّومية حايف النهان: «وقال الرّشيدي ثم جيم بربرية بين الجيم والقاف، وبعضهم يقول بالقاف، وبعضم بالجيم وبها كان يكتب بخطه» ونص أكثر من ترجم له أنّها تعني بلغة البربـــــر «الفقير الصّوفي» وزاد الرّشيدي فقال: «ومعناه بلسان البربريّة : الفقير أو الشّيخ أو الفقيه الصّوفي.»[8]

ب) شيوخه ومذهبه النّحوي:

قال ابن الحاج أحمد بن محمد حمدون السّلمي في حاشيته على شرح الأزهري للآجرّومية: «له تآليف و أشياخ منهم: أبو حيّان... كان كثيرا ما يتبع الكوفيّين في التّعبير كقوله بالخفض، وفيمـــــــا زاده على البصريّين ككيفما ، فإنها لاتجزم إلاّ عندهم. كان الله للجميـــــع.»[9]

وقال السّيوطيّ في بغية الوعاة: «وهنا شيء آخر، وهو أنّا استفدنا من مقدّمته أنّه كان على مذهب الكوفيّين في النّحو لانّه عبّر بالخفض وهو عبارتهم وقال: الأمر مجزوم وهو ظاهر في أنّه معرب وهو رأيهم، وذكر في الجوازم كيفما والجزم بها رأيهم وأنكره البصريّون فتفطّن.»[10]

وأمّا تلاميذه فقد قال حايف النّبهان: «وأمّا تلاميذه فما من شكٍّ أنّه قد تلقّى العلم على يديه عدد كبير من الطّلبة لاسيّما من أهل فاس، إضافة إلى الطّلبة الذين يرتحلون إليها ومن هؤلاء:

- ابنه أبو محمّد عبـــــــد الله بن محمّد.

- محمّد بن عليّ بن عمر الغسّـــــــــاني النّحوي.
- القاضي أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم الحضرمي.»[11]

ج) مكانته و تآليفه:

قال السّيوطي : «وصفه شرّاح مقدّمته المكوديّ والرّاعي وغيرهما بالإمامة في النّحو والبركة والصّلاح، ويشهد بصلاحه عموم نفع المبتدئيين بمقدّمته... ثم رأيت بخط ابن مكتوم في تذكرته، فقال: نحويٌّ مقرئ وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز في القراءات وغيرها وهو مقيم بفاس ويفيد من أهلها من معلوماته المذكورة والغالب عليه النّحو والقراءات... وَوُصف بالأستاذ.»[12]

وقال المعلّمي: «ومن مؤلّفاته كتـــاب فرائد المعاني في شرح حرز الأماني» شرح الشاطبية.[13]

وقال حايف النبهـــــان: «ومن مصنّفاته: البارع في قراءة نافع، الاستدراك على هداية المرتاب نظم.»[14]

02) التعريف بالمقدّمة الآجرومية:

أ/ اسمـــها:

قال خالد بن عبد الله باحميـــــد الأنصاري: «أما عنوان الكتاب فهو المقدمة الآجرومية» وسمّي الكتاب بالمقّدمة، لأنّه يتقدّم على غيره من الكتب المطولة تسهيلا على المبتدئين، ووصفت المقدّمة بالآجرّومية نسبة إلى مؤّلفها المشهور بابن آجّروم.»[15]

وقال حايف الّنبهان: «لا يعرف إن كان ابن آجرّوم قد وضع اسما لمقدّمته أم لا، ومهما يكن من أمر فإنّها قد اشتهرت بالنّسبة إلى صاحبها فيقال: الآجرّومية وتارة: الجرّومية، بحذف الألف، وتارة يضاف إليها كلمة المقدّمة، فتصير: المقدّمة الآجرّومية أوالمقدّمة الجرّومية.»[16]

ب) مكانتها بين المصنّفات النّحوية وفائدتها:

لمتن الآجرومية مكانةٌ كبيرةً بين المتون النّحوية التّعليميّة المختصرة كالمُلحة للحريري وغيرها، وقد أعطيت القَبول عند النّاس ببركة صاحبها و إخلاصه، كما يدلّ على هذا القبول الكبير والانتشار الواسع كثرة الشّروح عليها، والحواشي المتعدّدة والتّعليقات الثريّة، نظراً لتعليميّتها وسهولتها للمبتدئيين.

ويقول محمد بن أحمـــــــــد بن يعلى الحسني أبو عبد الله الشّريف التلمساني(ت771هـ) : «... إذ هي مقدّمة مباركة من أجلّ ما أُلّف في علم النّحو، وهي

قريبة المرام سهلة الحفظ والفهم، كثيرة النّفع لمن هو مبتدئ مثلي، وضعها –رحمه الله تعالى- برسم ولده أبي محمّد المذكور بمدينة فاس المحروسة، وجدت لها بركةً عظيمةً...»[17]

وقال عبد العزيز بن علي الحربي: «لا يعرف متن من المتون النّثرية أشهر من المتن المعروف «بالمقدّمة الآجرّومية» لأبي عبـــد الله محمّد بن داود الصّنهاجي المعروف «بابن آجرّوم» الذي وضعه للمبتدئين، بعبارات سهلة ميسّرة، وأحسن تقسيمه و أكثر فيه من الأمثلة وجمع فيه مهمّات مسائل النّحو، وجعله مختصراً ليكون سلّمًا لطالب النّحو المبتدئ، ليرقى به إلى سماء الإعراب وصحيح الخطاب..»[18]

وقال اسماعيل بن موسى الحامدي في حاشيته على شرح الكفراوي: «...حكي أنّه ألّف هذا المتن تجاه البيت الشّريف، وحكي أيضا أنه لمّا ألّفه ألقاه في البحر وقال: إن كان خالصا لله فلا يُبَلُّ و كان الأمر كذلك.»[19]

فكان لهذا المتن المختصر مكانةٌ كبيرةٌ، ومن أوّل المقرّرات على طلاّب المدارس والزّوايا والكتاتيب في بداية طلبهم لعلم النّحو، بعد الظّفر بالقرآن الكريم، فلقد عمد صاحبه إلى الاختصار والعدول عن المطوّلات التي لا يستطيعها الطلاّب المحصّلون، لضعف هممهم عن خوض التآليف النّحوية الطويلة. فلقد «أوجز ابن آجرّوم في مقدمته كتاب 'الجمل في انحو' لأبي القاسم الزجّاجي في خمسة وأربعين ومئة باباً. فكانت أساس الدّراسات النّحوية في زمنه، وتأخذ مبدأ الاختيار من المدرستين البصريّة والكوفيّة، مع أنّ ابن آجروم كان أقرب إلى مذهب الكوفيّين على خلاف الزجّاج الذي كان ميّالاً إلى البصريّين... فعلى الرّغم من قصر حجمها الذي لايتجاوز العشرين صفحة في الأصل وبهذا حلت محلّ المقدّمات التّي في مستواها مثل 'النّموذج للزّمخشري' و'ملحة الحريري' و 'لمع' ابن جنّي.»[20]

ومن هنا كانت هذه المقدّمة الآجرّومية مقدّمة بحقّ لولوج باب النّحو، إذ وفّى صاحبها المراد والمقصود من تأليفه هذا فقد «شبّهت بمقدّمة الجيش التي تتقدّم أمامه لتهيئ له في المحلّ الذي ينزله مايحتاج فيه، وهذه المقدّمة كذلك المشتغل بها قد يتوصّل إلى مطوّلات كتب الأعاريب ويدرك بها من مصطلح علم النّحو ما يرشده إلى إعراب مشكل و إيضاح معنى غريب.»[21]

ج) بناؤها وخصائصها:

من خلال إلقاء نظرةٍ بسيطةٍ على فهرس الآجرّوميّة نرى أنّ المؤلّف قد ابتدأ مقدّمته بقسم الكلام ثمّ الإعراب ثمّ قسم الأفعال ثمّ قسم الأسماء: «فابتدأ المؤلّف

بالقسم الذي يتعلّق بالكلام لأنّ علم النّحو يتعلّق بالكلام، وثنّى بالقسم الذي يتعلّق بالأفعال والأسماء لأنّ قواعد الإعراب إنّما تطبّق في الأفعال والأسماء، وعلى هذا فيكون القسم الأوّل تمهيداً للقسم الثاني، والقسم الثاني تمهيدًا للقسم الثالث.»[22]

وتقول زهور شتوح بعد ذكر أبواب الآجرّومية: «وبهذا يتّضح أن مقدّمة 'ابن آجرّوم' تعليميّة بامتياز تميل إلى التّسهيل والتّبسيط النّحوي التي ييسّر على متعلّم النّحو التمكّن من الإعراب النّحوي، ومن هنا تميّزت المقدمة بخصائص جعلتها تتفردّ عن غيرها من المتون ومن هذه الخصائص نذكر:

1 - الاختصار الشّديد في الأبواب مع إغفال بعضها.
2 - الاهتمام بالتّقسيم وذكر الأنواع.
3 - عدم ذكر الخلافات النّحوية بين النّحاة.
4 - ذكر الرّاجح عنده دون التقيّد بأحد المذاهب النّحوية.
5 - الخلوّ من الاستشهاد بالقرآن أو الحديث أو الأمثال والأشعار.
6 - الخلوّ من التّعليلات النّحوية.
7 - استحضار الكلمات السّهلة المتداولة بين طلبة العلم.
8 - الاقتصار في الاستشهاد على التّمثيل بكلمات مفردة أو جمل قصيرا جدّا.»[23]

ثم من خصائص الآجروميّة أنّها نحويّة بحتة، لم تخلط بالمادّة الصّرفية، لحاجة المبتدئين إلى تعلّم قواعد الكلام وإتقان النحو قبل إدراك تقليبات الأفعال والأسماء.

3 - شروح الآجرّومية:

يقول السّعيد بنفرحي: «ظاهرةٌ لافتةٌ للانتباه، تلك التّي تتمثّل في إجراء شروح متعدّدة لنّص واحد. 'فالآجرّومية' مثلا حظيت بعناية فائقة سواء من المغاربة أو المشارقة القدامى والمحدثين، فهل هذا التعدّد هو إمكانيّة يتيحها النصّ ذاته، أم هو شعورٌ بالقصور فيما بين الشّروح؟ في العمق الشّرح قراءة وتعدّد قراءة النصّ الواحد، الآجّرومية في حالتنا يبرز في نفس الوقت تنوّع مشارب القرّاء والشرّاح، وتعدّد مناهجهم وتبيان ثقافتهم وإختلاف اهتماماتهم.»[24]

فكان متن الآجرّوميّة مثالًا رائعًا ومادّةً خِصبةً تعددت حولها الشّروح، وعلّقت عليها الحواشي والتّعليقات، بل الأكثر من ذلك أنّها تمّمت بتتمّات، بل ونظمت شعرا، وأعربت إعراباً كاملاً، ووضعت عليها الأسئلة والأجوبة، وأجريت حولها التّمارين كي يسهل فهمها ويتّضح مرادها أكثر للمبتدئين، لتساهم في العملية الّتعليميّة للنّحو

العربيّ، وتحدِّث هذه الّشروح مناهج تعليم النّحو وتقريبه إلى المبتدئين.

وسنحاول ذكر وجمع الشّروح التي وقفنا عليها، مع عدم قدرتنا على حصرها، ونعرّج على من نظمها أو تمّمها، ثم نشير إلى أثر هذه الخدمة في تعليميّة النّحو العربيّ.

قال حايف النبهان: «شروح المقدمة الآجرّومية كثيرة جدا جاوزت المئة بكثير.»[25] ولعلّ أوّل شرح هو شرح أبي عبد الله الشّريف التّلمساني(ت771ه)المسمّى 'الدرّة النّحوية في شرح الآجرّومية' وهو نصٌّ محقّقٌ ضمن رسالة ماجستير بجامعة وهران.

- الكواكب الدّريّة لمحمّد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (1298ه)وهو شرح على متمّمة الآجرّومية للشيخ محمد بن محمد الرعيني الشّهير بالحطّاب (954).

- النّفحة العطريّة على المقدّمـــــة الآجرّوميّة للأهدل (ت1298ه).

- شرح الآجرّومية في علم العربيّة لعلي بن عبد اللّه بن علي نور الدين السّنهـوري(889ه).

- التّحفة السّنيّة بشرح المقدّمة الآجرّوميـــة: محمد محي الدين عبد الحميد(1972ه).

- مفاتيح العربيّة على متن الآجرّوميـــــــة فيصل بن عبد العزيز آل مبارك(1376ه).

-شرح المقدّمة الآجرّومية خالد بن عبد الله باحميـد الأنصاري.

-أيسر الشّروح على متن الآجرّوميّة عبد العزيز بن علي الحربي.

-التّحفة البهيّة بشرح المقدّمة الآجرّوميّة عبد الحميد هنداوي.

وممّا أضافه حايف النبهان في مقدّمة تحقيقـــــه على متن الآجرّومية «شرح الآجرّومية لأبي زيد عبد الرحمان بن علي بن صالح المكّودي(807ه).

- شرح الشّيخ زين الدّين خالد بن عبد الله بن أبي بكر محمد الجرجاوي الأزهري ويعرف أيضا بالوقّاد(ت905ه) وهو أشهر شروحـــــــها.

- شرح فايد بن مبارك الإبياري المتوفّى بعد(1063ه).

- الكلمات الجليّة في بيان المراد من الآجرّومية لأبي الحسين علي بن عبد البر الوتائي الشافعي(1212ه).»[27]

ومما ذكره كذلك السعيد بنفرحي في مقالـــــــه المنشور في مجلة دعوة الحق المغربيّ: «شرحها لعلي بن ميمون الشّريف الحسني ت917ه.

- الفتوحات القدسيّة في شرح المقّدمة الآجرّومية لأحمد بن محمّد بن عجيبة الحسني، ت: 1224ه.

- الكواكب الجليّة في شروح مقدّمة الآجرّومية لعبد السّلام بن مجاهد الّنبراوي لم يذكر صاحب 'إيضاح المكنون' تاريخ وفاته.»[28]

ولقد تنوّع الاهتمام بهذا المتن حتّى أنه قد نظم وأعرب. وسنقتصر على ذكر مثال لكلّ نوع من أنواع الاهتمام:

- شرح العلاّمة الكفراوي (ت1202ه) مع حاشية إسماعيل بن موسى الحامدي على الآجرّوميّة ولقد أعربها الكفراوي من بدايتها إلى نهايتها.»[29]

- السّمط المنظوم من جوهرة ابن آجّروم لأبي المحاسن محمد العربي بن يوسف أبي المحاسن الفاسي ت1052ه.»[30]

4) أثر شروح الآجرّومية في تعليميّة النّحو:

لقد ساهمت الآجرّومية نفسُها في تعليمية النّحو تبسيطا وتسهيلا للمبتدئين، لاختصارها مسائل النّحو وأبوابه بعيداً عن المطوّلات والتّفريع الكثير، والنّأي عن الخلافات النّحويّة التي هي من شأن المتخصّصين في النّحو العربي، ثم كان للشّروح التّي وضعت على الآجرّومية أثر كبير في تقريب النّحو للمبتدئين، بفكّ رموزها وحشر الأمثلة والشّواهد على أبوابها وأقسامها، فكان لهذه الشّروح مساهمة كبيرة في تعليمية النحو من عدة جوانب نذكر منها:

*جانب التّبسيط وحلّ الألفاظ وشرحها للمبتدئين وفكّ رموز المصطلحات النّحوية بذكر المصطلح النّحوي وتعريفه اصطلاحا، وجه مناسبة التعريف اللغوي للتعريف الاصطلاحي، فمثلا يعرّف الشراح أثناء شرحهم المصطلح النّحوي كالخفض مثلاً في اللّغة بأنه: التسفّل، وفي الاصطلاح بأنّه: الكسرة التي يحدها عامل الجر، فتظهر مناسبة التسفل مع الخفض الذي علامته الكسرة.

- وقد أبان الشّراح عن مقصودهم التّعليميّ للنّحو بذكره في مقدّمات شروحهم فقد قال خالد بن عبد الله الأزهري(ت905ه) في شرحه على الآجرّومية: «فهذا شرح لطيف لألفاظ الآجرّومية في أصول علم العربية، ينتفع به المبتدئ إن شاء الله تعالى، ولا يحتاج إليه المنتهي. عملته للصغار في الفن والأطفـــــال، لا للممارسين للعلـــم من فحول الرّجـــال...»[31]

فقد كان يريد من شرحِه توجيهه للمبتدئين في تعلّم النّحو، ولهذا قال المحشّي ابن الحاج: «واعلم أن المبتدئ هو من شرع في الفنّ ولم يسْتَقلَّ بتصوير المسائل، والمتوسّط من أحاط بجملة من الفن واستقلّ بتصوير المسائل ولم يقدر على إقامة

الدّليل والمنتهي من أحاط بغالب الفنّ واستحضر غالب مسائله وقدر على إقامة الدّليل، ولما كان نفع هذا الشّرح للمبتدئ أعمّ لأنّه ينقله من العلم إلى الجهل خصّه به، و إلاّ فهو نافع لغيره أيضاً... فالمراد بالمبتدئ لا فرق بين كونه صغيرا في السنّ أو كبيرا ، ولذلك زاد في الفنّ، وعطفُ الأطفال عليه من عطف الخاصّ على العام نكتتان غالب من يقرأ هذه المقدّمة هم الأطفال.»[32]

*كما يظهر الأثر التّعليميّ لشروح الآجرّومية عند استفتاح الشرّاح مقدّمات شرحهم بالمصطلحات النّحويّة، تحضيرا لذهن السّامـــــع، وتهيئة لفكره بتعوّده على هذه المصطلحات. يقول خالد الأزهري في شرحه: «الحمد لله رافع مقام المنتصبين لنفع العبيد، الخافضين جناحهم للمستفيد، الجازمين بأن تسهيل النحو إلى العلوم من الله من غير شكّ ولا ترديد.»[33]

فعبارته 'المنتصبين' من النّصب، و 'الخافضين' من الخفض. قال المحشّي ابن الحاج: «....وفي قوله النّحو مع قوله رافع المنتصبين والخافضين والجازمين براعة الاستهلال، وهي أن يأتي المتكلّم في أوّل كلامه بما يشعر بمقصوده؛ إشارة إلى أنّه سيتكلّم عن علم النّحو المتضمّن الرّفع والنّصب والخفض والجزم...»[34]

وكذلك هو صنيع الكفراويّ في شرحه للآجرّومية فقد قال في مقدّمة الشّرح: «..والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد المرفوع الرّتبة فوق سائر المخلوقات وعلى آله و صحبه المنصوبين لإزالة شبه الضّلالات ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم تخفض فيه أهل الزّيغ وتجزم وتنقطع فيه التعلقات.»[35]

قال المحشّي على شرح الكفـــــــراوي: «...وفيه براعة الاستهلال، وهي أن يذكر المؤلّف أوّل كتابه مايشعر بالمشروع فيه من نحو أو غيره...»[36]

*ويظهر الأثر التّعليمي في الشّروح التّي جاءت على شكل إعرابٍ للآجرّومية لأنّ المشتغلين بهذا النّوع من الشّرح جنحوا إلى هذه الطّريقة لسببين:

- كثرة الشروح على متن الآجرّومية، ممّا يجعل الكثرة سببا في تكرار وإعادة ماقيل.

- إدراكهم بأن الغاية من النّحو بعد إتقان الكلام وجري اللّسان على أساليب العرب، هو معرفة الإعراب وضبط أواخر الكلم معرفة محلّ الكلمات و الألفاظ من الجمل، والجمل من النّصوص.

- ولقد كان هذا مراد الكفراوي وقبله الأزهري في عملهما لمّا شرحا الآجرّومية بإعرابها إعراباً كاملاً. فقد قال المعلّمي في مقدّمة تحقيق الآجرّومية بشرح الأزهري : «إنّ الطالب لفنّ الإعراب حين يدرس ويقرأ هذه الرّسالة يجتمع فهمه في بوتقة واحدة بين الآجرّومية

وإعرابها، ولا يتفرّق فهمه، وذلك لِما قام به الأزهري في هذه الرّسالة من مزج بين ألفاظ الآجرّومية وبين ألفاظ هذه الرّسالة، وقد دلّ ذلك على مهارة العلامة الأزهريّ وبراعته الفائقة.»[37]

ولعّل هذا المنحى التّعليميّ للنّحو من خلال الشّرح بواسطة الإعراب هو ما فطن له حسن الكفراوي لمّا طلب منه أن يعمل شرحاً لهذا المتن المختصر، فقد قال في مقدّمة شرحه: «... فقد سألني بعض المحبّين إليّ المتردّدين عليّ المرة بعد المرة، أن أشرح متن الآجرّوميّة للإمام الصّنهاجي شرحاً لطيفاً مشتملاً على بيان المعنى و إعراب الكلمات وأن أكثر من الأمثلة لما أنّه لم يقع لها شرح على هذه الصّفات، فتوقّفت مدّة من الزّمان، لعلمي بأنّها كثيرة الشّراح حتى سألني عن ذلك من لا تسعني مخالفته، ووجدت كثيرا من المبتدئين يسألون عن ذلك، فعنّ لي أن أشرحها على هذا الوجه المذكور.»[38]

ويظهر كذلك الأثر التّعليميّ من خلا ل الشّروح التي حاولت أن تضع تمارين وأسئلة تبسّط من خلالها الآجرّومية، وتستعمل كطريقة لتبسيط النّحو وتقريبه للمبتدئين كما هو صنيع صاحب كتاب 'النّبذة النّحوية في أسئلة الآجرّومية' «حيث نهج فيها أسهل المناهج المدرسيّة بالتّرتيب الاستنتاجي المفيد لكلّ طالب مجتهد مستفيد.»[39] ولقد أبان عن مقصوده فقال: «هذه أسئلة وأجوبة رتّبناها من متن الآجرّومية وشرحه (التحفة السنيّة).»[40]

وهناك من اعتمد طريقة التّشجير والتّرتيب كطريقة تعليميّة بسيطة للنّحو من خلال الآجرّومية كما هو حال صاحب 'بداية النّحوي' الذي رتّب الآجرّومية وشجّرها ووضع تمارين عليها، وقد أبان عن طريقة تعليمه للنّحو من خلال اعتماد الآجرّومية فقال: «لخّصت معلومات كل باب على طريقة التشجير ليسهل تصورها قبل الولوج إلى الباب:

- رتّبت النص الأصلي -بعد أن كان مرصوصاً- ورقّمته مع تغيير ما يلزم ووضعت عناوين جانبيّة عند الحاجة.
- أتيت لكلّ قاعدة بمثال من القرآن، وأعقبتها بأمثلة وتمارين كثيرة من القرآن والسنّة في آخر الكتاب في فصل مستقلّ للدّربة والمران.
- ختمت كّل باب بأبيات تنظم ما ورد في الباب من معلومات ليسهل للرّاغب حفظها.
- حرصت على الإبداع في الكتاب إخراجا وتصميماً وفكرةً.»[41]

ولا يخفى ما للتّدريبات النّحوية من أثر تعليميّ في النّحو وذلك من خلال عرض الأمثلة والشّواهد ثمّ مناقشتها وفهمها،ثم استخلاص القاعدة تمهيدا لفهم الباب

المقصود. وفي هذا الشأن يقـــــول صبيح التميمي في مقدمة شرحه للألفية متحدثا عن طريقة شرحه: «إلحاق كل باب بتريبات نحويّة حتّى يتمّ عرض المادّة بجانبين: قواعد وتطبيق؛ فالنّحو –كما هو معلوم- ليس مجّرد معلومات نظريّة يجب أن تفهم، بل هو وسيلة لتقويم اللّسان على تلك الأساليب الفصيحة، ولا يتمّ هذا التّقويم إلاّ بالّتدريب النّحوي الذي ينعش تلك الأفكار النظرية ويحييها...»[42]

ومن هنا كان لشروح الآجرّومية ونظمها شعراً الأثر التّعليميّ الواضح في تقريب النّحو للمبتدئين بفكّ ألفاظها، وحلّها ثم استخراج قواعدها وتنويع نماذج إعرابها، وصياغتها على شكل أسئلة و أجوبة مرتّبة منظّمة تكون عونا للمتدرّبين و المبتدئين، ومدخلاً يدخل بهم إلى أبواب النّحو المختلفة وعويص المسائل المتفرّقة.

وهناك أمر آخر يجب أن يشار إليه، لأنّه مساهم في الجانب التّعليمي للنّحو؛ وهو الجمع بين الطّريقة التّقليدية الموجودة في الزّوايا والكتاتيب؛ وهو حفظ المتون كمتن الآجروميّة أو الملحة للحريري بالنّسبة للمبتدئين، حتّى يُحَصِّل الطّالب عنصر الاستحضار للقاعدة، ثم يُعتمد شرح معاصر مبسّط يفكّ الأستاذ رموزه، معتمداً فيه على الشّواهد القرآنية والحديثيّة ومنثور العرب ومنظومهم،ومن هنا يجمع الطّالب بين الحسنين، لأنّك كثيرا ماتجد الطّالب التّقليدي يحفظ المتن النّحوي ببراعة لكن يخونه اللّسان حين الخطابة والكلام، وهذا الذي نبّه إليه ابن خلدون في مقدّمته كما ذكرنا في بداية المقال.

وفي الختام قد تكون هذه الشروح خطوة في مجال تحديث النحو أو بالأحرى تيسيره وتبسيطه خاصة والدّرس اللّغوي عامّة، وخدمة اللّغة العربية التي تحتاج إلى تظافر جهود اللّغويّين باستعمال أساليب التّعليم المتطوّرة.

هوامـــش المقال:

(1) المقدمة، ولي الدين عبد الرحمـــــــــن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش،ط1،دار يعـــــــــــــــرب، دمشق،2004، ص: 385.

(2) بغية الوعاة في طبقات اللّغوين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عين البابي الحلبي وشركاؤه، 1964م،ج1، ص: 238.

(3) نفسه، ص: 238.

(4) مقدمة التحقيق على متن الآجرّومية ، حايف النبهان، ط2، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويـــــــــــت،2011، ص: 12-11.

(5) بغية الوعاة، السيوطي، ج1، ص: 238.

(6) نفســــــــــه، ص: 238.
(7) حاشية العلامة ابن الحـــــاج على شرح متن الآجرومية، خالد الأزهري، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2009، ص: 12.
(8) مقدمة التحقيق على متن الآجرّوميـــــــــــة، حايف النبهان، ص: 13-12.
(9) حاشية العلامة ابن الحاج على شرح متن الآجرومية، خالد الأزهري، ص: 12.
(10) بغية الوعـــــــــــــــــــــــاة، السيوطي، ج1، ص: 238.
(11) مقدمة التحقيق على متن الآجرّوميـــــــــــة، حايف النبهان، ص: 14-13.
(12) ينظر: بغية الوعـــــــــــــــــاة، السيوطي، ج1، ص: 238 - 239.
(13) مقدمة كتاب بشرى طلّاب العربية بإعراب الآجرومية، خالد الأزهري، تح: عبد الرحمان بن عبد القادر المعلمي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2006، ص: 09.
(14) مقدمة التحقيق على متن الآجرّوميـــــــــــة، حايف النبهان، ص: 15.
(15) شرح المقدمة الآجرومية، خالد بن عبد اله باحميد الأنصاري، ط1، دار الاعتصام للنشر، الرياض، السعوديـــــــــــــــــــــــة، 1424هـ، ص: 07.
(16) مقدمة التحقيق على متن الآجرّومية، حايف النبهان، ص: 16.
(17) الدرة النحوية في شرح الآجرومية ، أبو عبد الله الشريف التلمساني، محقق في رسالة ماجستير للطالب: عبد القادر ياشي، إشرافد: مختار بوعناني ، كلية الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهـــــــران، 2010، ص: 14 - 15.
(18) أيسر الشروح على متن الآجرومية، عبد العزيز بن علي الحري، ط1، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، 2005م، المقدمة، ص: (أ).
(19) شرح الكفراوي مع حاشية إسماعيل بن موسى الحامدي المالكي على الآجرومية، دار المعرفة، دط، المغـــــرب، 2007، ص: 06.
(20) منهج الشيخ محمد باي بلعام في التعليل النحوي، قراءة تحليلية لشروحه، سبتمبر2017، باتنة01، ص: 80.
(21) الكواكب الدرية شرح على متممة الآجرومية، محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، ط1، مؤسسة الكتب الثقافيـــــــــــة، بيروت، لبنان، 1990، ص: 24.
(22) شرح المقدمة الآجرومية ، خالد بن عبد اله باحميد الأنصاري، ص: 07.
(23) منهج الشيخ محمد باي بلعام في التعليـــــــــــل النحوي، ص: 81.
(24) حسن الكفراوي والاتجاه العربي في شرح الآجرومية، مقال: للسعيد بنفرجي ، مجلة دعوة الحق، العـــــدد 330، ربيع 02 ، 1418هـ، سبتمبر1997م، المغرب، ص: 99.
(25) مقدمة التحقيق على متن الآجرّوميـــــــــــة، حايف النبهان، ص: 21.
(26) ينظر: الهامش رقم 17.
(27) ينظر: مقدمة التحقيق على متن الآجرّومية، حايف النبهان، ص: 22 ومابعدها.
(28) العناية الفائقة للمغاربة والمشارقة بمتن الآجرومية، مقال: للسعيد بنفرجي، مجلة دعوة

الحق، العدد301 السنة34، جمادى1و2، نوفمبر، المحمديـــــــــة، المغرب، ص: 116-115.
(29) ينظر الهامش رقم 19و24.
(30) العناية الفائقة للمغاربة والمشارقة بمتن الآجرومية، مقـــال: للسعيد بنفرجي، ص: 117.
(31) حاشية ابن الحاج مع شرح الأزهري للآجّرومية، ص: 12.
(32) نفسـه، ص: 13-12.
(33) نفسـه، ص: 09-08.
(34) نفسه، ص: 09-08.
(35) شرح الكفراوي للآجرومية مع حاشية المالكي، ص: 05-04.
(36) نفســـه، ص: 05.
(37) مقدمة تحقيـــــــــــق المعلّمي لشرح الأزهري، ص: 14.
(38) شرح الكفراوي للآجرّومية مع حاشية المالكي، ص: 06-05.
(39) النبذة النحوية في أسئلة الآجرّومية، إسماعيل بن محمد الأنصاري، دط، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1426هـ، ص: 03.
(40) نفســـــــــــــــــه، ص: 05.
(41) بداية النّحوي (ترتيب وتشجير ونظم متن المقدمة الآجروميـــة لمحمد بن آجروم، مع تمارين من القرآن والسنة)، ياسر عجيل الشمي، طبعة مصححة و منقحة، شركة كت كويت، الكويت، 2017م، ص: 14.

لفظ الجلالة بين التداول الأسلوبي والاستعمال المجازي

The word Allah between Deliberative stylistic And metaphorical use

د. شعيب يحيى، جامعة الدّكتور طاهر مولاي بسعيدة، الجزائر.

ملخّـــــص

فكرةُ هذا المقال تتمحوَرُ حول استعمال بعض الشعراء المحدَثتن للفظ الجلالة استعمالا مجازيا، مما أثار حولهم جدَلا واسعا جعلهم يتعرَّضون لاتهامات في دينهم. وقد رأينا أنْ ندرس هذه الظاهرة عبر مراحل أسلوبية مُتوالية، لنجدَ أنّ القدماء كانوا محافظتن في توظيفهم الشعريّ للفظ الجلالة، ولكن المحدثتن ظهَرَ فيهم مَنْ تجاوَزَ كلّ الحدود المتداولة والمتعارف عليها، وَوَلَجَ بآلياته التصويرية كلّ المعاني المقدّسة، ورأينا أنّ أُسسَ الاستعمال المجازيّ تتنافى وتعجَزُ إزاءَ لفظ الجلالة، لأنّ أسماءَ اللّه وصفاته تُتمنّع عن خيالِ المبدع.

الكلمات المفاتيح: لفظ الجلالة، التّداول الأسلوبي، المجاز، الصّورة.

Abstract

The idea of this article revolves around the metaphorical use of the Word of God by some contemporary poets, which has aroused wide controversy and made them subject to accusations in their religion. And we saw that we study this phenomenon through successive stylistic stages, and we found that the ancients were conservative in their poetic employment for the word of God, but two contemporaries that appeared in them to transcend all the accepted limits, and entered his pictorial mechanisms on all sacred meanings, and we saw that Metaphorical use is beyond the word of majesty, because the names and qualities of God are forbidden from the poet's imagination.

Key words: word of majesty; stylistic deliberation; metaphor; Figure.

مقدمـــــة:

دَأَبَ الشعراءُ والكُتَّاب من قديمٍ على التفنُّن في الأساليب الأدبية واستعمال كل الطاقات الممكنة من الخيال الأدبي؛ ولكنهم وإنْ سبحوا بحُـرّية في تعبيراتهم الفنية فقد التزموا حدودا لم يتجاوزها، وكانت بالنسبة إليهم المحظورَ الذي لا يليقُ بالأديب الخَوْضُ فيه. وأوَّل المجالات التي راعَوْها قيمُهُم الدينيةُ وكلّ ما يمسُّ هذا الجانب من قريب أو بعيد، وعلى رأسِها التعامُل مع اسم الله لفظِ الجلالة وكلّ أسمائه الأخرى وصفاته، فلم تكن تُذكر في أدبهم إلا بهالة من التنزيه والتقديس، ولا يجرؤ الأديب -مهما كان- أن يُعمِل خياله في هذا الجانب المقدّس. ولعلّ أهمّ ما يوضّح هذا المعنى عند القدماء هو الصراع الذي كان دائرا بين المتكلمين مُعتزلةً وأشاعرةً وغيرهم بخصوص تفسير أسماء الله وصفاته؛ فبعضُهم اختار التشبيه، وبعضهم التأويل، والبعض الآخر لجأ إلى التفويض، وآخرون فصّلوا أكثر في المسألة. هذا في الجانب التفسيري للقرآن الكريم، لكن الأدباء كانوا متفقين على استعمال أسماء الله وصفاته مثلما وردت في الوحي، بدلالتها المتداولة، ولم يُعطوا لأنفسهم حقَّ التصرُّف المجازي فيها. وخاصة لفظ الجلالة، لما يحمله اسم الله من قداسة وتعظيم في النفوس، ليس عنـــد الشعراء المسلمين فقط، بل حتى عند الشعراء غير المسلمـــــين.

ولكن قد ظهر في العصر الحديث بعضُ الشعراء الذين تجاوَزوا هذه الخطوطَ الحمراءَ مع لفظِ الجلالة، فلم يجدوا حرجًا في مُعاملته كغيره من الأسماء، فوظفوه في تعبيراتهم الأدبية توظيفا مجازيا، كاسِرين بذلك كل محظور حول هذا الاسم، ورافعين عنه كل قداسة تخصُّه.

ومن هُنا كان علينا أنْ نطرحَ إشكاليـــــــة لفظ الجلالة في الاستعمال المجازي، هل يصِحُّ هذا بلاغةً وأسلوبا؟، وهل تُجيزه الإجراءاتُ الأسلوبية والآلياتُ الصحيحة للمجاز؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات وجب تقسيمُ هذا البحث إلى قسمين: الأول يدرس لفظ الجلالة عند القدماء والمحدثين، والثاني يدرسه في حدود المجاز التي أقرَّتها البلاغة العربية.

أوَّلا: لفظ الجلالة في الأدب العربي:

1 - تعريف لفظ الجلالة:

أ- لغة: اختُلف فيه من ناحية الاشتقاق، فهو عند البعض مُشتقّ، وعند آخرين غير

مُشتقّ. وأصحابُ عدم الاشتقاق يرَوْنه بمثابة اسم عَلَم غير مُشتقّ من شيء، والذين يرَوْن أنه مُشتقّ اختلفوا في أصله، فسيبويه يرى في أحد أقواله أنّ أصله (إلَه) مثل (فِعَال)، فأدخل الألف واللام بدلاً من الهمزة؛ «وكأنّ الاسم -والله أعلمُ- إله، فلما أُدخل فيه الألف واللام حذفوا الألف وصارت الألف واللام خلَفاً منها... ومثل ذلك أُناسٌ فإذا أدخلت الألف واللام قلت الناس.»[1]

وقال غيرُهُ أنَّ أصله إِلَهٌ مشتقٌّ مِنْ أَلَهَ الرَّجُلُ يَأْلَهُ إِلَيْهِ إذا فزِعَ إليه من أَمَرٍ نَزَلَ بِهِ، فَآلَهَهُ أَيْ أجارَهُ وآمنَهُ. وقال بَعْضُهُمْ أصله وَلاهُ فَأُبْدِلَتِ الوَاوُ همزَةً. وحكى بعضُ أهلِ اللّغةِ أنّه من أَلَهَ يَأْلَهُ إِلاهَةً بِمعنى عَبدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً.[2]

ب- اصطلاحا: قال ابنُ كثير في تفسيره: «الله: عَلَمٌ على الرب تبارك وتعالى، يقال إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات.»[3]

وقال ابن القيّم مُعرّفا لفظ الجلالة: «الله اسم لرب العالمين خالق السموات والأرض الذي يحيي ويُميت، وهو رب كل شيء ومليكه، فهم لا يختلفون في أن هذا الاسم يُرادُ به هذا المسمّى، وهو أظهر عندهم وأعرف وأشهر من كل اسم وُضع لكل مُسمّى، وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع منهم في معناه.»[4]

2 - لفظ الجلالة في الأدب القديم:

إنَّ البحثَ عن استعمال لفظ الجلالة في الأدب القديم ليس بالأمر السهل الذي تُوفيه هذه السطور، لكننا نستطيع أنْ نكتفي بنمُوذج من الشعر الجاهلي، وآخر من الشعر الإسلامي، لتتَّضح لنا من خلالهما معالمُ استعمال لفظ الجلالة في تلك الفترة الزمنية.

أ. قبل الإسلام: إذا بحثنا في المعلَّقات -باعتبارها ممثِّلةً لهذه الفترة- سنعثُر على استعمال اسم الله فيها بدرجات قليلة، وسنجد كل خطاب منها يوافق ما وضعته العادات الكلامية، فلم يُسنَد لفظ الجلالة إلا لأفعال وأسماء تحترم المقام السامي لاسم الله في قلوب السامعين، وتحفظ آذانهم من كل ما قد يسيء لها من صور مجازية تجرح موروثهم الديني. ومن أمثلة ذلك: قال امرؤ القيس:

فقالتْ: يَمينَ الله ما لكَ حيلَةٌ ❖ وَما إنْ أرى عنكَ الغَوايةَ تَنْجلي[5]

وقال زهير:

فَلا تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نفوسِكُم ❖ لِيَخْفى ومَهما يُكتمِ اللهُ يَعْلَمِ[6]

وقال لبيد:

فَاقْنَع بِما قَسَمَ المَليكُ فَإِنَّما ❖ قَسَـــــمَ الخَلائِقَ بَينَنا عَلَّامُها[7]

وقال الحارث:

فَهَدَاهُمْ بِالأَسْوَدَينِ وَأَمْرُ ❖ الله بِلْغٌ تَشْقَى بِهِ الأَشْقِيَـــاءُ[8]

وغيرها كثير من الشعر الجاهلي الذي كان ينأى في تعامُله مع لفظ الجلالة عن الاستعمال المجازي الغريب، فيُسند إليه ما هو مُتعارف عليه من الأسماء والأفعال التي استُعمِلَت بمعناها الحقيقي: (يمين الله) (تكتمنّ الله) (الله يعلم) (أمر الله) وغيرها.

ب. بعد الإسلام: في هذه المدة الطويلة جدا سنقتصر على فترة معينة منها كنموذج يمثل الفترات الأخرى، وسيقع اختيارنا على ثلاثة شعراء جَمَعَتْهم ظاهرةٌ شعرية فريدة تُسمى شعر النقائض، وهم جرير والفرزدق والأخطل، فرغم أنهم عاشوا تقريبا بين الفترة الأموية والعباسية فكوّنوا رصيدا شعريا متنوّعا وضخما، ورغم امتلاكهم المَلَكَةَ الشعرية وابتكارهم العديد من الصور البيانية الفَذَّة إلا أنهم لم يقربوا أبدا جانبهم العَقَدي بأيّ تصوير شعري جديد، فكان ذكرهم للفظ الجلالة ضمن الإطار المتعارف عليه لكلامهم، حفاظا على عقيدتهم، وطلبا لقبول المتلقّي وإعجابه، وتجنّب رفضه واستهجانه. ومن بين الأشعار التي سنمثّل بها اخترنا أبياتا قليلة تكفي للدلالة على ما نحن بصدده، من ذلك: قال جرير:

لئن سَلَّمَ الله المراسيلَ بالضحى ❖ وَمرُّ القَوَافي يهتـدي ويجور[9]

وقال الفرزدق:

أتعدلُ أحســـــاباً لئاماً أدقّة ❖ بأحسابِنا إني إلى الله راجِعُ[10]

وقال أيضا:

فإنّ التي يومَ الحَمامةِ قد صَبا ❖ لها قلبُ تَوّابٍ إلى اللهِ ساجدِ[11]

وقال الأخطل:

وقد جعلَ اللهُ الخلافةَ فيكُمُ ❖ بأبْيضَ، لا عاري الخِوَانِ، ولا جَدْبِ

ولكِنْ رآهُ اللَّهُ مَوْضِـــعَ حَقّها ❖ على رغمِ أعـــداءٍ وصـدّادةٍ كـذب[12]

نجد أن اختيارات الشعراء لا تخرُج عن كلامهم المألوف في التعامل مع لفظ الجلالة، مثلها مثل كل الفترات التي سبقتها أو تلتها، كـ: (سلّم الله) (إلى الله راجع) (إلى الله ساجد) (جعل الله) (رآه الله) وغيرها. وحتى عند الأخطل رغم كونه شاعرا غير مسلم الديانة، إلا أنه التزم في شعره المعايير نفسها التي كانت سائدة في وقته؛ فكلّ أشعار هذه الفترة لا تخرج عن مثل هذه الاستعمالات التي تحوم حول التعبيرات الأدبية المعهودة

والمتعارف عليها في أوساط العامَّة بَلْهَ المثقَّفين.

3 - لفظ الجلالة في الأدب الحديث:

لقد شهد القَرنُ العِشرون مَوْجاتِ تجديـــــــدٍ في كل شيء شملت حتى الشعر والأدب، وقد ظهر شعراءُ مجدِّدون حاولوا الخروج على كل مألوف ومعهود في الشعر العربي القديم، من ذلك الوزنُ والقافية ونظامُ الأشطر والصورُ المجازية.

ومن هنا بدأ بعضُ الأدباء الولوجَ في دائرة المحظور الديني، إذ وظَّفوا كثيرا من الألفاظ الدينية في تعبيراتهم الفنّية بطريقة جريئة لم تكُن معهودة من قبل.

وسنقتَصِر على ثلاثة نماذج من الشعراء لتوضيح هذه الظاهرة مع لفظ الجلالة، الشاعر الأول هو بدر شاكر السياب، الشاعر الثاني محمود درويش، والشاعر الثالث وديع سعادة.

أ. بدر شاكر السّياب: (1964-1926م)، شاعر عراقي، هو واحد من الشعراء المشهورين في الوطن العربي، ويُعدُّ أحَدَ مُؤسّسي الشعر الحرّ. لديه جرأة على بعض المعاني المقدّسة، إذ عاملها معاملة غيرها فأوقع عليها خياله الشعري ووسائله المجازية. وقد عرفت هذه الجراءة اختلافا بين قُرّائه، فمنهم من تقبَّلها بقبول حسن، ورأى أن تناول الشاعر لهذه المقدسات لا يعني التطاول عليها، ولا يمكن اعتبار الأمر إساءة للمقدسات لأن المذاهب الفلسفية تُجيز استعمال الأساليب المجازية دون حدود؛ ومنهم من رفضها ألبتَّةَ، وشدَّدَ النكيرَ على أصحابها، بل وصَلَ الأمرُ إلى اتهامهم في دينهم. ومن شعر السياب في هذا المعنى قوله:

«فنحن جميعا أمـــــــــــــــــــــوات: أنا ومحمّد والله
وهذا قبرنا: أنقاض مئذنةٍ مُعفَّرة، عليها يُكتـــــــــب اسمُ محمّد والله
... إله محمَّد وإله آبائي من العرب، تراءى في جِبالَ الريف يحمِل راية الثّوار
وفي يافا رآه القوم يبكي في بقايا دار.»[13]

يتَّضح جليًّا من خلال هذا النصّ الفَرقُ الهائلُ بينه وبين النصوص القديمة التي تسبقه، ومقدارُ المسافة التي خطاها السياب بعيدا في هدم كل الثوابت الدينية الراسخة بآلاته الفنية وقواه السحرية الشعرية.

ب. محمود درويش: (2008-1941م) هو شاعر فلسطيني، كرَّس حياته وشعره في طلب الحرية لوطنه، لُقِّبَ شاعر المقاومة، ولديه الكثير من الدواوين الشعرية التي لم تخرُج عن نُصرة أرضه فلسطين. وهو أيضا لديه الكثير من المواضع التي شكَّلَت خروجا جديدا على الاستعمالات المعهودة للفظ الجلالة. مما جَعَلَ الكَثيرين يعدُّونها

إساءةً للذات الإلهية، فَوُصِمَ هذا الشعرُ بأنه مَرَضٌ نفسي، أو مُعاناةٌ من نقصٍ، أو حيلةٌ لطلب الشُّهرة. وسنسُوقُ بعضَ الأمثلة في هذا المعنى.

قال محمُود درويش في قصيدة «الموت في الغابة»:

«**نامي**
فعين الله نائمة عنّا ... وأسرابُ الشّحارير.»[14]

وقال في قصيدة أخرى:
«**فلا تقتُلُوا الكائنـــــــــــاتِ التي صادقَتْنا، ولا تقتُلوا أمسَنا**
... لتبدو الجريمةُ أقلَّ احتفالاً على شاشة السّينما، فَخُذُوا وقتكم
لكي تقتُلوا الله.»[15]

هذا النّمطُ من التعبير الأدبي عند السياب ودرويش لم يكُن معروفا من قبل، ولم يحدُث فيه تدرُّجٌ نلمَسُهُ في الفترات التي تسبقه، بل يكاد يكون قفزاتٍ صارخةً في وجه كل مُقدّس.

ج. وديع سعادة: (ولد سنة 1948) شاعر لبنانيّ، لديه الكثير من الدواوين الشعرية، امتاز في شعره أيضا بجُرأته الفنية التي اجتازت كلّ الحدود للثوابت الدينية، فقد كان يُقحِم لفظَ الجلالة في كثيرٍ من عباراته الشعرية النابية عن المسار المألوف، مثل قوله:
«**شربتُ قنينةَ خمر، وخرجتُ برأسٍ سِكّير**
مُتصوّرا أنَّ الله كانَ في الأصـــل عُصفورا
يزقزق للشعوب.»[16]

وقال أيضا في قصيدة أخرى:
«**أننا تعاركنا مع صاحب مقهى، تعاركنا مع سائق الصهريج،**
تعاركنا مع الله، وخرجنا.»[17]

وقال أيضا:
«**من الدّخـــــــــان تولدُ الطريق**
تولدُ العناوينُ والبيوتُ .. وأصحابُها
من الدخان يُولدُ الله. هاتِ.»[18]

وله تعبيراتٌ أخرى مَزَجَ فيها لفظ الجلالة بمعان فاضحة، تركناها حفاظا على ذوق القارئ.

ومن خلال ما سبق يظهر لنا مدى ما بلغه التعبيرُ الفني في كسرِ كل الموروثات

المقدسة، باستخدام كل الأساليب التصويرية الحادة التي شكَّلَت خَرْقاً وفجوة بينها وبين سابقـــــاتها.

وسنُحاول في المبحث الموالي أنْ نعرف ما هي الحدود المجازية المسموحة في البلاغة العربية لتناول المعاني المقدّسة.

ثانيا: الحدود المجازية للمعنى المقدّس:

1 - تعريف المجاز:

أ. لغة: ورد في لسان العرب جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ جوزاً وجُؤوزاً وجَوازًا ومَجازاً. وجازَ به وجاوَزه جِوازاً وأَجازَه وأجازَ غيرَه وجازَه: سارَ فيه وسلكه، وأجازهُ: خلّفه وقطَعَه، وأجازهُ: أنفذهُ ... والمجازُ والمجازةُ: الموضع.[19]

وقال عبد القاهر الجرجاني: «المجاز مَفْعَلٌ من جازَ الشيءَ يَجُوزه، إذا تعدَّاه، وإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعَه الأصليَّ، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أوَّلاً.»[20]

فالمجاز اسم للمكان الذي يُجاز فيه، وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى آخر، وأُخِذَ هذا المعنى واستُعمِلَ للدلالة على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر.

ب. اصطلاحا: عرَّفَهُ السكاكيّ بقوله: «وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة على نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع.»[21]

فهو اللَّفظ المستعمل في غير مَا وُضِع له في التخاطب، على وجْهٍ يَصِحُّ ضمْن الأصول الفكرية واللّغويّة العامّة، بقرينة صارفة عن إرادة ما وُضِع له اللّفظ؛ فالقرينةُ هي الصارف عن الحقيقة إلى المجاز، إذِ اللّفظ لا يَدُلُّ على المعنى المجازيّ بنفسه دون قرينة.[22]

2 - العلاقة بين المعاني المعلومة وكيفياتها المجهولة:

قبل الحديثِ عن الحدود المجازية لأسماء الله وصفاته ينبغي أنْ نضَع توطئةً حول ما عَرَفَتْهُ معانيها من تضارُبٍ في فهمها وتفسيرها.

فأوَّلُ مَن أثار هذه القضيةَ هم المتكلِّمُون في حديثهم عن معاني صفات الله، إذ ظهر في بادئ الأمر من فَهِم هذه الصفات أنها شبيهة بالصفات البشرية، فقالوا أن الله سميعٌ وسمْعُه مثل سمع الإنسان فله أذُنٌ، وهكذا باقي الصفات، فكلُّ صفةٍ لله وردت في القرآن من يدٍ أو عينٍ أو سمعٍ وغيرها تُشبه ما هو عند الإنسان. وقد سبَّبَ هذا

التفسير ظُهور مَوجة استنكار شديدة، فهُوجم كل من يقول بالتشبيه واتُّهم في عقله ودينه، ووضَعَ المعارضون تفسيراً جديداً لصفاتِ الله مبنيًّا على قانون التأويل؛ إذْ لجأوا إلى تأويل كلِّ الصفات التي تحتَمِلُ التشبيه إلى معانٍ ثانيةٍ تليق بجلال الله. ولم يَسلَم هؤلاء أيضا من المعارضة، فقد ظهر علماء آخرون أنكروا رأي الفريقَيْن، ورأوا أنَّ التأويل في الفريق الثاني يماثل التشبيه في الفريق الأول من حيثُ قباحتُه وتطاولُه على ذات الله. واعتمد هذا الفريق الثالث في التفسير على مقولة مشهورة عندهم هي «معاني صفات الله معلومة وكيفياتها مجهولة» أو مقولة «أمِرُّوها كما جاءت بلا كَيْف»، واستندوا في ذلك على ما ورد في الأثر من إجابة مالك بن أنس لأحد السائلين، إذ قال السائل: يا أبا عبد الله ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:5] كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، وفي لفظ: استواؤه معلوم أو معقول، والكَيْف غير مَعقول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فقد أخبر مالك بأنَّ نفسَ الاستواءِ معلوم وأن كيفية الاستواء مجهولة.[23]

وهكذا في قوله تعالى: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة: 64]، بَسْطُ اليد في حقّ الله معلوم المعنى والكيفية، أما في حقِّنا فمعلوم المعنى مجهول الكيفية. فالآية أثبتَتْ يَدَيْن اثنتيْن لله تعالى لكنهما -كما يقول البيهقي- صفتان لا من حيثُ الجارحةُ لورود الخبر الصادق به.[24]

ولِشَرْحِ تلك المقولة أكثر نقول أنَّ اللُّغة العربية يُوجد فيها كثيرٌ من المعاني، وهذه المعاني لها كَيْفيات مختلفة؛ فالنافذة مثلاً لها معنى معلومٌ في الذهن، لكن معنى النافذة هذا له أشكالٌ وكيفياتٌ مُتنوّعة في الواقع، وكلّ هذه الكيفيات معلومة لأنها مُشاهدة مُدركة. وأيضا (الأكل) له معنى معروف، وهذا المعنى له كيفياتٌ تختلف بين الإنسان والنبات والأسماك والطيور وغيرها، وهذه الكيفيات معلومة. هذا كلُّه يخصُّ المعاني المشاهَدَة المُدرَكَة التي نُعايشها في الحياة، والتي اعْتَدْنا أنْ نَصُوغَ لها كلامَنا فلا يخرُجُ عنها.

ولكن الأمر يختلف بالنسبة للمعاني المتعلّقة بالغيب، كالأكل بالنسبة للجنّ مثلاً؛ فمع أنّ الأكلَ معروفُ المعنى إلا أنّ كيفيته مجهولةٌ بالنسبة لنا، إذن فأكل الجنّ معلوم المعنى لأن الفعل أَكَلَ له معنى في المعجم، ومجهول الكيفية لأنّه لا أحدَ شاهد الجنّ بخِلْقَتِهم الحقيقيّة.

ولله المثل الأعلى: فَمِنْ باب أَوْلى إذن أنْ تكون كلُّ الصفات التي ذكرها الله لنفسه هي معلومة المعنى مجهولة الكيفية. فالله أخبرنا عن نفسه أنّه سميع: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:11] والسمعُ معلومُ المعنى في اللُّغة العربية،

لكن كيفيتَهُ في الله مجهولةٌ لنا. والله أخبرنا أنّ له يـدًا في القرآن ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:10]: فـ(يد الله) معلومة المعنى مجهولة الكيفية. وهكذا باقي صفات الله وأفعاله وأسمائه المذكورة في الوحي.[25]

فمن الخطأ عند الفريق الثالث أن نقول: سَمْعُ الله أو يدُ الله مجهولُ المعنى، والصحيح مجهولُ الكَيْفية، أمَّا المعنى فمعلومٌ بالرجوع إلى المعجم. لأنّ قولنا (مجهول المعنى) يقتضي أنَّ اللهَ خاطبنا بِعَرَبيةٍ تختَلِفُ عن اللُّغة العربية، والقرآن نَزَلَ رسالةً بِاللُّغة نفسِها التي كان العربُ يتحدَّث بها.

هذا شرحٌ مُبسَّط لما فَهِمَهُ الفريق الأخير حول أسماء الله وصفاته، وقد حاول أصحابُه أن يُميّزوا فيها ويَفصِلوا بين معانيها وكيفياتها، وقد أقرُّوا كلّ الصفات التي ذكرها الله لنفسه، دون تشبيه ودون تأويل، فالله تعالى له يدٌ لأنه صرّح في التنزيل بذلك، لكنها يد مجهولةُ الكيفية بالنسبة لنا، فنحن لا نشبّهها بيد الإنسان، ونحن لا نؤوّلها تأويلا ينفي وجود اليد التي أثبتها الله لنفسه؛ فهي يد تليق بالله عزّ وجلّ، معلومة المعنى مجهولة في الكَيْفية، وأيضا في قوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:22]: فمَجيء الله مجهول الكيفية وإن كان معنى المجيء معلوم. وهكذا قالوا في كلّ صفات الله وأفعاله وأسمائه. وهذا معنى ردّ الإمام مالك على السائل: كيف استوى الله؟ فقال: (الاستواءُ معلومٌ والكيْفُ مجهولٌ...)، فالصحيحُ أنَّ صفاتِ الله كلَّها معلومةُ المعنى مجهولةُ الكيفية. أيْ أنَّ معانيها مُحكمةٌ، وكيفيتُها مُتَشابهةٌ. والتفويضُ يكون في الكيفية لا في المعنى.[26]

3 - امتناع البنية المجازية في لفظ الجلالة:

المجاز في مَفْهُومه البسيط يدورُ بين معنَيَيْن اثنيْن، تذكُـر أحدَهُما وتقصِدُ الآخر.[27] فقولُكَ: (بعَثَ الملكُ أسُودَهُ لِخوْض المعارك، وأطْلَقَ عُيونَهُ لِرَصْد الأخبار، وبَنى حُصونَهُ للذَّوْد عن مملكته)؛ أنت تذكُرُ (أسُودَهُ) وتقصِدُ (فرسانه)، وتذكُرُ (عُيونَهُ) وتقْصِدُ (جواسيسـه)، وتذكُرُ (بَنى حُصونَهُ) وتقْصِدُ (أنّ عُمَّالَهُ هُمْ مَنْ قام بالبناء وليـس هو).

والمتكلِّمُ إذا أراد أنْ يَسْتَعِينَ بالمجاز في كلامِهِ فهو -بَديهياً- سيلجَأُ إلى نَوْعَين من المعاني:[28]

ـ **الأوَّل:** المعاني الحسّية أو العقلية التي يُعايشها والتي سبَقَ لذهنه معرفةُ كيفيتها، كالمثال السابق: (الأسود، الفرسان، العيون، الجواسيس...) وهذا النوعُ منطقياً مقبولٌ لأنَّ كِلا المعْنَيَيْن يُدْرِكُ المتكلِّمُ كيفيته.

ـ **الثاني:** المعاني الخيالية التي لم يُعايشها، والتي لم يَسْبِقْ لذهنه معرفةُ كيفيتها، مثل: الغول، والشياطين، والجنّ، والملائكة...، وهُنا إذا أراد المتكلّمُ أنْ يَضَعَ مجازاً فيه معنىً خياليٌّ لم يَسْبِقْ لذهنه إدراكُ كيفيته، سَيَضْطرُّ المتكلِّمُ أنْ يتَصَرَّفَ فيتصوَّر صورةً يبتكرها ذهنُهُ وبناءً عليها يصوغ تعبيراته؛ وهذا النوع من المجاز استعْمَلَهُ كثيرٌ من الشعراء، وهو مَقْبولٌ عُموماً إلاّ في المعاني المقدّسة مثل (لفظ الجلالة)، لأن الذهن يَعجَز كما نعلم عن الإحاطة بمعناه أو كيفيته[29]، وسيتكلَّف حينها صورةً مُتعسِّفة تَنزِل لا محالةَ بالذات الإلهية عن مقامها العالي ومرتبتها المقدسة، لذلك كان الأَحرى أن يمتنع المجاز مُطلقا.

إنَّ المجاز في لفظ الجلالة سيجعل المتكلّم يضطرُّ إلى ادّعاء معرفة ذات الله وإدراك كيفيتها، وبناءً على هذا التصوُّرِ يرسُمُ صورتَهُ الخيالية، وهذا لا يليقُ مُطلقاً تنزيهاً للذات العليّة. فالمجاز يُبْنى في أصله على رفض المعنى الحقيقي وتبنّي المعنى المجازي، كما يُبنى على صُورة مُشكّلة من أطرافٍ يتخيَّلُها الذهنُ فيأخذ من طرفٍ ليُعْطيَ طرفاً آخر، أو يُنشئ بين الأطراف علاقاتٍ تُحكِم الربْطَ بينها في ذهن المتكلّم[30]، ومن المحال أنْ يكون (الله) أحد هذه الأطراف التي تُشكِّل صورة المجاز؛ لأنّ الله يجِلُّ عن خيالِ كل مُتكلّم.

وعليه، كان الذي نجِدُه في شعر الشعراء من هذا القبيل يُعدُّ مرفوضا في القواعد المجازية، كقول القائل منهم (دم الله يهطل) (قتلوا الله في قلوبنا) (طفل الله يبكي) (رأيت الله في المقاومة) ... كلُّ هذه الصور المجازية يقول أصحابُها أنها تعبير أدبي يختلف عن التعبير الديني، وهذه حُجّة تَدحَضُها آلياتُ التعبير الفني نفسُها، فالتعبير المجازي يُبنى على صورة مُتخيَّلة، والذاتُ الإلهية تتأبَّى على التخييل، مما يجعل المجاز يتجاوز كل شيء إلا اسم الله جل جلاله. كما أنَّ الأدب لا ينبغي أن يسعى وراء قِيَمِه الفنية فقط مُتغاضيا عن موضوعاته التي قد تَحيد عن غاياته النبيلة، وإنّ إطلاقَ أيادي التعبيرِ الأدبيّ في كلّ المجالات وتحريرها مِنْ كُلّ قيدٍ سيجعل بعضَ الأقلامِ تَعِيثُ في الأدب فسادا.

خاتمـــــــة:

وفي ختام هذا البحث نقول أنَّ لفظَ الجلالة عَرَف عبر مراحل الأدب العربي فَترتَيْن من حيثُ توظيفُه في النصوص الأدبية، فترةٌ استُعمِلَ فيها بطريقة لم تخرُج عن مألوف القارئ العربي، مُسنَداً فيها إلى ما تقبَلُه أذُنُه ودِينُه من الأفعال والصفات، فلم يَقرَبْه على مدى عصور طويلة أي مجاز أو تصوير بياني غريب.

وفترةٌ أُخرى حديثة شهِدَتْ كثيرا من الصور المجازية التي اجترَأَتْ على كل

المقدَّسات، ومِنْ أبرزها لَفْظُ الجلالة، فقد ظهر كثير من الشعراء الذين خالفوا سابقيهم وعاملوا لفظ الجلالة معاملة غيره من كل موروث ديني عندهم، فلا يخرج -حَسْبَهُم- عن مجال إبداعاتهم الفنّية.

ورأينا أن المجاز يُبنى في الأصل على تخيُّل كلّ أطرافه التي تنسج علاقاتٍ تُتيح لها أن يحلّ طرف مكان طرف آخر، وأن لفظ الجلالة يستحيل فيه التخييل، فلا يصحُّ مُطلقا أن يكون طرفاً من أطرف المجاز. وهكذا فآليات المجاز تعجَزُ عند حضور لفظ الجلالة، وتتوقَّف عند حدود المعاني المقدّسة، فالمجاز يمتنع فيها.

الهوامـــــش:

(1) ينظر الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ، 1988م، ج2 ص: 196.

(2) ينظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ، ج1 ص37-36. – وينظر الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م، ج1 ص: 103-102.

(3) تفسير القرآن العظيـــــــــــــــــم: ابن كثير، ج1 ص: 36.

(4) الصواعق المرسلة: ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408هـ ج2 ص: 750.

(5) شرح المعلقات السبع: الزوزني، دار إحيـاء التراث العربي، ط1، 1423هـ - 2002م، ص: 49.

(6) نفسه ص: 142.

(7) نفسه ص: 200.

(8) نفسه ص: 279.

(9) شرح نقائض جرير والفرزدق: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط2، 1998م، ج1 ص: 196.

(10) نفســـــه ج3، ص: 827.

(11) نفسه ص: 3، ص: 1065.

(12) ديوان الأخطل: قدّم له وصنّف قوافيه: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1414هـ1994-م، ص: 27.

(13) ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، طبعة 1971م، ص: (395 – 400).

(14) الديوان الأعمال الأولى1 محمود درويش، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، ط1،

2005م، ص: 32.

(15) الديوان الأعمال الأولى3 محمود درويش، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص: 301.

(16) الأعمال الشعرية : وديع سعادة، دار أبابيل، 2016م، ص: 144.

(17) نفسه، ص: 172.

(18) نفسه، ص: 221.

(19) لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعـــــــة 3، 1414هـ، ج5، ص: 326.

(20) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ 2001م، ص: 278.

(21) مفتاح العلوم: السكاكي، ضبطــه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 2، 1407هـ - 1987م، ص: 360.

(22) يُنظر البلاغة العربية: عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ 1996م، ج2، ص: 218.

(23) يُنظر الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيميـــــــــة، تحقيق حمد التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط2، 1425هـ، 2004م، ص: 307-306.

(24) يُنظر الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جـــــــــــــــــدة، ط1، ج2، ص: 118.

(25) ينظر الإكليل في المتشابه والتأويل، ابن تيمية، خرج أحاديثه: محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان، الإسكندرية، ص: 48.

(26) يُنظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، ج1، ص: 207.

(27) يُنظر دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميــة، بيروت، ط1، 1422هـ 2001م، ص: 51.

(28) يُنظر مفتاح العلوم: السكاكي، ص: 352-351.

(29) يُنظر ما قيل في تفسير آية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11] في التحرير والتنوير: الطاهـــــــر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ، ج25 ص: 45 - 48.

(30) يُنظر حاشية الدسوقي على شرح السعد: من كتاب شروح التلخيص الجزء الرابع دار الهادي، بيروت، ط4، ت 1412هـ1992-م، ص: 20.

قاموس الممتـــــــاز المدرسي
-دراسة في المنهج والتعريـــــف-

the school dictionary el momtaz

إيمان عاشور، جامعـــــــة قسنطينة، الجزائر.

ملخّـــص

ساعد في تفعيل الدرس المعجمي عدة وسائل تعليمية هامة تتمثل في كل من المعجم الذهني واللساني وكذلك القاموس ، فالدراسة القاموسية من أهم المنحنيات التي عرجت إليها الدراسة المعجمية اليوم ، إذ تعتمد أساسا على دراسة القاموس بأشكاله المعرفية المختلفة المنهجية منها والمتنية.

لذا يتجلى الهدف من خلال هذا العمل لتقديم حوصلة شاملة حول نموذج تعليمي يدرس بعض حيثيات القاموس و جل تعاريفه.

تم اختيار قاموس «الممتاز» كنموذج تطبيقي لتوضيح أطر تعريفية وأخرى منهجية للدارسة القاموسية في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: التعاريف المعجمية -القاموسية -قاموس الممتاز الدّرس المعجمي.

Abstract

Various instructional aids contributed to the study of lexicon such as mental lexicon and linguistic dictionary. The study of lexicon is one of the aspects that lexicology embarked on investigating. The latter focuses on studying dictionary in its diffèrent forms. Therefore, the aim of the present study is to provide a comprehensive overview of an instructional model that examines all aspects of the dictionary and its definition

The «el- momtaz» dictionary was selected as an applied model to illustrate the conceptual and methodological frameworks of dictionary study in Algeria.

Key words: reference, linguistic studies of texts, Arabic literary heritage.

مقدمـــــة:

تُعد المدرسة الجزائرية المؤسسة التربوية التي يُؤمل منها المجتمع تحقيق أهدافه والحفاظ على هويته وأصالته عبر طرائق تربوية واضحة المعالم، ولذا كان من الضروري وضع هذه المرحلة التعليمية في إطار الدراسة وإخضاعها للمراقبة والتحليل العلمي الدقيق بطريقة مستمرة و لتطويرها وتمكينها من مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل، وجعلها مؤسسة حيّة فاعلة تحقق التميّز ،ولما لهذا الموضوع من أهمية وقيمة علمية كان ولابّد من التّعرف على واقع التعليم في المدرسة الجزائرية.

ولمّا كان القاموس المدرسي موضوعا هاما شغل شغل الباحثين والقاموسيين، وفي ظل الاصلاحات الراهنة في المنظومة التربوية الجزائرية صدر عدد لابأس به من المؤلفات القاموسية وفقا لما يواكب المستجدات اللّغوية، ورغم كل هذا مازلنا لم نرق بعد إلى القاموس النموذجي الذي يساعد على بناء الرصيد اللّغوي في الذهنية المعجمية لتلميذ المرحلة الأولية بغيّة التواصل الفعّال مع محيط هذا التلميذ.

لذا فإنّ التطرق لدراسة القاموس المطـــروح في الواقع كفيل بتسليط الضوء على متن هذا القاموس والترقية قصـــــــد الوصول إلى وسيلة من الوسائل التعليمية بطريقة مواكبة التعليم الراهن.

لذا ارتأى البحث أن يطرح السؤال التّالي:

ما هو القاموس؟ ماهو المنهج المتبع في تأليفه؟ وماهي أهمّ آليات التّعريف فيه؟

1 - ماهية القاموس:

إن القاموس المدرسي هو «الكتاب الذي يوظّفه المتعلـــم للوقوف على شرح كلمة وتفسيرها وتحديد معانيها اللّغويّة فهو أداة ذات مداخل عموميّة مرتّبة ترتيبا معيّنا خاصة الترتيب الألفبائي»[1]، يعمل القامـــــــوس على شرح الكلمات وتفسيرها، وإعطاء حوصلة عنها من حيث: (النطق والاشتقاق والتركيب)، كما أنه يعمل على تقديم معلومات أخرى عن مرادفاتها وأضدادها بالاستشهادات عليها، هذا المفهوم الحديث لما عرف سابقا بالمعجم؛ ويخرج مفهوم القاموس عن مفهوم المعجم، بأن القاموس يكون ذو بعد تعليمي أكثر من أن يكون جامعا لمفردات لغة قوم ما.

2 - 1 القاموس المدرسي وتعليمية المعجم:

إن بناء المعارف اللّسانية يساهـــم إسهاما كبيرا في الحفاظ على اللّغة العربية داخل المدرســــــــة الجزائرية ذلك بإكسابها لتلميذ هذه المرحلة التعليمية، ويُستغل القاموس المدرسي كوسيلة تعليمية في بناء الرصيـــد اللّغوي لدى التلاميذ والتي تمكنهم

من التواصل مع العالم الخارجي، وقد عرفـــت المدرسة الجزائرية كغيرها من المدارس العربية تنوع ملحوظ في التأليـف القاموسي إلاّ أن مايلاحظ «أنّ أكثر ما ألّف إلى الآن لم يخضع بعد للمقاييس التي يجب أن تعتمد عليها في هذا الميدان، إذ أن أكثر أنـــواع هذه القواميس اعتمدت على المعاجم القديمة مع التفات غير كاف إلى ما أحدث في أيّامنا من أسماء الآلات والمفاهيم العلمية والتقنية وماأبدع وغير ذلك.»[2]

3 - أشكال القاموس المدرسي:

عرف القاموس المدرسي أنواعا عدّة منها ماهو ورقي ومنها ماهو إلكتروني.

3 - 1 القاموس المدرسي الورقي:

يمكن القول أن القاموس الورقي ، هو ذلك القاموس الذي يحمل بين طياته مجموع الألفاظ قصد شرحها وفقا لما يناسب المتعلم ، يتميّز عن غيره من القواميس بالمادة الصناعية الورقة المطبوعة بشكل معيّن تمكّن مستعمله من اقتنائها بسهولة، إضافة إلى أن «حجمه الخارجي والظاهر يمكن أن يعطيك فكرة عن كمية المعلومات المتوفرة داخله، كذلك المعجم الورقي سهل التصفح وقراءته سلسة ولاتتعب النظر عكس قراءة الشاشة، كما لايحتاج تصفح المعجم الورقي إلى تشغيل معدات خاصة مثل الحاسوب.»[3]

3 - 2 القاموس المدرسي الالكتروني:

عرفت التكنولوجيا اليوم تطبيقات حديثة نظرا للتطور الملموس لها، وعرفت اللّغة العربية كغيرها من اللّغات الحيّة طرائق تعليميـــة حديثة، وكان للمعجم نصيب منها إذ أسهم إسهاما كبيرا في التغذية الراجعة للتلميذ ، فشكل منحنى جديا في رســـم الرصيد اللغوي للطفل وتحصيله بطرائق بحثية سهلة.

4 - أهمية القاموس المدرسي في التعليم الجزائري:

لاشك أن للقاموس المدرسي أهمية بالغة في المحيط الذي يدرس فيـه التلميذ، فلاينفك هذا المتمدرس سعيا في البحـــــث والتنقيب وتصفح مفردات القاموس مع التمحيص في محتواه ، وكذلك التطلع إلى معـــرفة دلالاته وأهدافه التعليمية، وبما أن القاموس أداة تربوية دائمة التجدد المفرادتي فيمكن إدراجه كحصيلـــة لغوية جامعة لرصيد مفرداتي كائن في الذهن البشري لجماعة من الناس.

- يعد القاموس المدرسي الوسيلة التعليمية المكملة للكتاب المدرسي وللعمـــل التربوي عموما فهو يمثل «العمود الفقري للعمليـــة التعليمية، إذ بدونه تظل المعرفة المقدمة للمتعلم مشوشة وملتبسة في أحيـــان كثيرة»[4]، هذا مايعكس اهتمام عـدد كبير من الدول به، ووضعه ضمن المخططات الأساس للنهوض بالمنظومة التربوية.

- إن القاموس المدرسي أداة بيداغوجية ذات أثر واضح في مردود الرصيد المفرداتي لدى التلاميذ، ذلك أنّها تلعب وظيفة رئيسة في سدّ الثغرات التعليمية القائمة بين المعارف وتحصيلها المفرداتي المراد تحصيله للمتعلم.

- التلميذ في مرحلة تعليمية الأولية له القدرة على البدء في تخزين المفردات في ذهنه، فهو في هذه الفترة بصدد بناء معجم ذهني يشكل له التصوّر اللّسني الذي يُعد القاعدة الركيزة لمجموع المفردات والقيّم المعجمية، لذا على القاموس «أن يكون ملما بأكبر عدد من المفردات يفي بحاجيات التلميذ المتزايدة يوميا، وأن لا يقتصر على مفردات اللغة العامة بل يتجاوزها إلى المصطلحات الخاصة يجمع المواد التي يدرسها.»[5]

- ترى (دو بوف) (de beuf) أن التلميذ في مرحلة التعليميه الأولى بحاجة إلى إظهار طبيعة ميكانيزمات مفردات اللغة من الحروف والأصوات والمعاني إلى غير ذلك، فأهمية القاموس المدرسي من وجهة نظرها تكمّن في «تسلّح التلميذ أمام المفردات وتمكنه من توقع المعنى من خلال الشكل، فعلى المدى البعيد يصير التلميذ قادرا على توقع الجذور والصيغة قبل العودة إلى المعجم.»[6]

5 - نموذج تحليلي للقاموس الممتاز الورقي:

5 - 1 ماهية قاموس (الممتاز):

قاموس الممتاز هو قاموس مدرسي (عربي- عربي) من سلسلة قواميس دار العلوم للنشر والتوزيع بالحجار- عنابة (الجزائر)، لايحوي هذا المؤلَف تاريخ نشر، ولا رقم طبعة.

بالنسبة لحجمه يبدو هذا القاموس متوسط الحجم نسبيا، مدعم بالصور الملونة ، يحتوي على 408 من الصفحات مرتبة ترتيبا ألفبائيا، ويلاحظ أنه في نهاية كل حرف مايقارب صفحة من المعلومات التثقيفية تحت عنوان (أضف إلى معلوماتك). إضافة إلى ملحق من خاص بالصور قسم إلى عدة مواضيع هي: (الخضر والفواكه والحشرات والحيوانات وأدوات العمل وإشارات المرور).

حجم كتابة الكلمات فيه صغير لايتجاوز مقياس رقم ثمانية (8) من مقاييس الكتابة بالورد ، مكتوب بلونين أحمر وأسود.

مؤلف هذا العمل هو(عيسى مومني) أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة منتوري- قسنطينة، لكن في فترة تأليفه هذا القاموس كان لايزال يشغل منصب أستاذ ثانوي بمتقن وادي زناتي –قالمة.[7]

5 - 2 منهج قاموس الممتاز:

تميّز قاموس الممتاز المدرسي عن غيره مـــــن القواميس المدرسية الرائجة في السوق الجزائرية بعدة نقاط لعلّ أهمها:

- مراعاة الأصول الاشتقاقية للمفردات الواردة فيه.

- مراعاته لخصائص اللّغة العربيّة وفلسفة تكوينها « فجاء غنيا بالمفردات والشروح وماستحدث من الألفاظ والمصطلحات، وجعل هذه اللغة يتصل حاضرها بماضيها فهي لغة ذات حضارة عريقة وتراث ضخم يتعامل بها مئات الملايين من البشر في عالم اليوم.»[8]

- انتهج صاحب القاموس منهج المؤلفين القدامى في ترتيبهم للمعاجم، ومن مثال ذلك الزمخشري (1074-1143م) في مؤلفه أساس البلاغة القائم على الترتيب الألفبائي.

5 - 2 - 1 طريقة البحث في قاموس الممتاز:

- راعى هذا العمل القاموسي نقاط توجيهية عدة وهي:

- البحث عن الكلمة لما يطابق ترتيب المعاجم العربية.

- إذا تعذر إيجاد الكلمة المراد البحث عنها كان لابد على مستعمل القاموس اللجوء إلى الدليل الرمزي الموجود في بداية القاموس، والذي يهدف إلى توجيه المستعمل لتسريع عملية البحـــــث وتسهيلها له ،وهذه الرموز جاءت في قاموس الممتاز كالآتي:

- (انظر:....) للإحالة إلى صفحة معينة لشرح الكلمة في القاموس.

- تجنبا لتكرار استخدم صاحـــــب القاموس الرمز التالي (_:) ليقوم مقام الكلمة التي فوقه.

- مراعاة لخصائص اللغة العربية وضع رمز (*) أمام مشتقـــات الكلمة، إذ بين (عيسى مومني) الطريقة الاشتقاقية بأمثلة منها: أن « الياء» في كلمة « ميعـاد» أصلها «واو» لأنّها من الفعل « وَعَدَ.»

- إذا تعذر وجود الأفعال التي أدخلت عليها حـــــروف الزيادة مثل (استفسر و أخرج)، فعلى مستعمل القاموس العودة إلى جذر المادة أو الصياغـــة الأصلية (فسّر و خرج)، وهذا المنهج انتهجه المفسر تبعا إلى ما دعا إليه العلماء وهو «دراسة المجرد والمزيد لوضع معاجم تحصي الكلمات المستعملة وتكشف عن معانيها.»(9)

- كل الأسماء المشتقة من الرباعي والخماسي والســـــــــداسي ترجع إلى أصل ثلاثي (مستوصف /وصف).

- الحروف مهما كان نوعها ترجـــــع إلى حرفها الأول فالثاني فالثالـــــــث، ومن أمثلتها

(إلى وعلى ونعم).

5 - 3 دراسة في متن القاموس:

ترتكز هذه الدراســـــة على مدى التجديد في هذا القاموس المدرسي، وإظهار المميزات اللغوية التي تحدث فارقا بينه وبين غيره من القواميـــس الجزائرية المتوفرة في الأسواق.

5 - 3 - 1 الشواهد القاموسية:

هذه الطبعة فيها عدد لايستهان به من الشواهد والتي حصرت بين آيات القرآن الكريم وما أُثر عن كلام العلماء القدامى ومن أمثلة ماجاء فيه:

5 - 3 - 1-1 الشواهد القاموسية من القرآن الكريم:

شرح كلمة أبدا[10] من القامـــوس أردفها بشاهدين من القرآن الكريم، كان الأول من سورة البينة الآية 08 ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾، وكان الشاهد الثاني من سورة المائدة الآية 24 وفقا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا**﴾.

يلاحظ أن الترميز للآيات القرآنية جاء باللون الأحمر ، وكتبت الآيات بخط واضح بين شولتين.

بعد القيام بإحصاء عدد الآيات القرآنية في هـذا القاموس تحصلت على ستة وخمسون آية (56آية).

5 - 3 - 1 - 2 الشواهد القاموسية من قول العلماء العرب:

جاء في شرح حـــرف الألف[11]، إذ بين أنه أول حـــــروف الهجاء وأردفه بقول (الجوهري ت 1003م) « الألف على ضربين: ليّنة ومتحركة، فاللينـــــــــــة تسمى ألفا والمتحركة تسمى همزة.»[12] هذا الشاهـــد هو شرح من كلام العرب بيّن فيه طبيعة معنى حرف الألف.

يلاحظ أن الترميز للشواهـــد التي جاءت بأقوال العلمـــاء كتبت باللون الأحمر للتميز كشواهد قرآنية.

بعد القيام بالعملية الإحصائية لأقوال العلماء التي جـــاءت على شكل شواهد وجد شاهد واحد فقط.

5-3-2 آليات التعريف في قاموس الممتاز:

5 - 3 - 2 - 1 مفهوم التعريف:

يبدو أن مصطلح (التعريـــــف) يشترك في عدّة علوم منها: الفلسفة واللّغة، هذا ماجعل (آلان راي) يعمل على توزيع المقاربة التعريفية إلى ثلاث أنـــواع (الفلّسفي واللّغوي والخطابّي)[13]، أما التعريف اللغوي لمفهـــوم التعريف هو الذي يبين أنّه المفهوم الشامل الذي تحتويه الكلمة في بنـــــــاء دلالتها فهو: «نوع من التعليق على اللفظ، أو العبارة، وهو كذلك شرح النص (اللفظ أو العبارة).»[14]، أي يكـــون لهذا التعليق عدة تصورات ذهنية ومنطقية كالمعانم مثلا.

ويذكر أن الباحثين في علم المعجم اتخـــذوا مجموعة من التعاريف قصد بناء قواميسهم الحديثة، منها ماورد في قاموس الممتاز المدرسي وهي:

5 - 3 - 2 - 1-1 التعريف بالصورة:

يشمل التعريف بالصورة مميزات وأهميتـــــه في هذا القاموس خاصة أنه ذو هدف تربوي جُعل في متناول التلميذ في مراحل التعليم العام ، وتكمـن فائدة الصورة في أنها «شيء عام ولا تعتبر علامة لغوية ذاتية . وهي كثيرا ما تستعمل في دوائر المعارف ، إلا أنّها مضمنة في العلامة اللّغويّة . وهي تقوم مقام التّعريف نفسـه، فالصورة تعتبر نصا في حد ذاته.»[15]، لكن مع ذلك فالمُلاحظ أنّه يوجد كثير من الكلمات التي يتعذر التعبير عنها بالصورة الموجودة تعبيرا دقيقا لاسيما المجردة منها، ومن مثل ذلك ماورد في ملحـق هذا القاموس ويُقصد بذلك الملحق المعنون (بالخضر والفواكه)[16] وبالضبـــــط الصورة التي تحمل اسم التوت وهي في حقيقة التعبير توت العليق أو توت بري.

5 - 3 -1-2- 2 التعريف الاسمي:

إنّ التّعريف الاسمي هو من أكثر التعاريـــف المستعملة في القاموس المدرسي يعتمد منهجه على «تعريف المدخل باسم المفردة أو بجملـــــــة تبدأ باسم لأن الحالة الاسمية تستعمل غالبا في التعريف، فقل أن يستعمل الفعـل لتعريف المدخل»[17]؛ لكن الملاحظ على هذا العمل انعدام من المدخل الاسمي فيـه وعُوض بالمدخل الفعلي الذي شمل كل فصول هذا العمل ، ومن أمثلة ذلك ماجاء في:

5 - 3 - 1-2 - 2 - 1 التّرادف:

يبين هنا التعريف بالمرادف أو مقابلـــــــة المفردة بما يناسبها، وهذا المثال من قاموس الممتاز يوضح هذا الوجه من أوجه التعريف:

دَنِسَ: يَدْنِسُ دَنَسًا، ودَناسَةً الثَّوبُ: اتَّسَخَ . و_ العِرْضُ: تَلَطَّخَ. فهـــو دَنِسٌ. (ج) أدْنَاسٌ

والاسم: الدَّنَسُ.

5 - 3 - 2 - 1 - 2 - 2 التّخالف:

دَرَكَةٌ: الدَّرَكَةُ هي المَنْزِلَةُ السُّفلى، و ضِدُّهَا الدَّرَجَـــــة وهيَ المَنْزِلَةُ العُلْيَا. (ج) دَرَكَاتٌ. والفضيلة درجات، والرذيلة دَرَكات.

5 - 3 - 2 - 1 - 2 - 3 التحديد الصعب:

الذَّرة: أَصْغَرُ جُزْءٍ في العنصر النقي والذي يدخـــــل في تفاعلاته الكيميائية. تتكون الذرّة من نواة موجَبة الشحنة تحتوي على البروتونـــات والنيوترونات، وتحيط بالنواة في مداراتها إلكترونات سالبة الشحنة.

5 - 3 - 2 - 1 - 3 التعريف المنطقي:

إن هذا النوع من التعريـــف يعتمد المنطقية واستخدام العقـــل من قبل المستعمل، ومن الأمثلة الواردة في التعاريف المنطقية التي تعتمد على الملموس أكثر شيء ماورد في هذا القاموس من تعريف العُنّاب إذ قـــدم المؤلف على هذه الشاكلة عُنَّابٌ: العُنَّاب هو شَجَرٌ شائكٌ من الفصيلة السّدريّة ، وهو أَحمر حلوٌ لذيذُ الطعم على شكل ثمرة النَّبِق.

5 - 3 - 2 - 1 - 4 التعريف بالشواهد:

إن الشواهد تشمل على عدة أشكـــال، فقد يأخذ المؤلف من القرآن الكريم، وقد يأخذ من الحديث الشريف ، وقد يأخذ من كلام العرب نثرا كان أم شعرا.[18] كقوله تعالى: ﴿**لاتَثْريبَ عَلَيْكُمْ اليَوْم**﴾[19] ، وقـــد جاء هذا الشاهد كمثال تعزيزي وتوضيحي لمفردة تثريب.

5 - 4 هفوات تعريفية من قاموس الممتاز:

رغم مايتميز به قاموس الممتاز الورقي من إلمام بعدة جوانب علمية تعليمية إلاّ أن الممحص في أجزائه يلاحظ وجود بعض الثغـرات التي تدحضها الصناعة القاموسية ولّعل أبرزها ماورد في التعاريف ومنها:

5 - 4 - 1 الدّقة في التعريف:

يترأى أن جلّ القواميس العربية المتداولة في الوســـــط التربوي والاجتماعي تشترك في نقص الدقة التعريفية التي جاء بها قاموس الممتاز، ونعني بقولنا هذا التحديد الدقيق للمفردة أو المادة المعجمية، إذ يتبين أنّ هذا الأمر «مشكـــل ناتج عن البناء أو الهندسة المعجمية وغياب مرجعيـــة هذا البناء»[20]، وإنّ هذا المثال المجدول يوضح

ماهية القول السابق ويثبته.

المادة المعجمية	الصفحة	تعريفها	تعليق ونقد
إملاق	36	الإملاق هو الفقر	إضافة إلى أن الإملاق قد يطلق على الفقر عامة، إلاّ أن معناه الدقيق مثل ماورد في لسان العرب: «إنّه لمملق مفسد، والإملاق: الإفساد»[21]، ويقصد بالاملاق من هذا القول الاسراف المؤدي إلى الإفلاس والفقر بعد الغنى.

5 - 4 - 2 ب-إطلاق الأحكام:

يطلق المؤلف في مواضع كثيرة الحكم بدل إعطاء التعريف وقد يجمع أحيانا بين الحكم والتعريف، فعدّ المعجميون هذا الأمر هفوة من الهفوات المعجمية التي يقوم بها صناع القاموس، إذ نلتمس مثالا لذلك في هذا الموضع.

5 - 4 - 2 -1 الجمع بين التعريف والحكم:

وهنا جاء الحكم دليل قوة للتعريف، فورد في تعريف السُّنَّةُ بأنّها: «الطَّرِيقَةُ والسِيرَةُ. و «سُنَّةُ (صلى الله عليه وسلم)»: ما يُنْسَبُ إلَيْهِ من قول أو فعل أو تقرير. (ج) سُنَنٌ.» [22]

5 - 4 - 2 -2 إطلاق الحكم مباشرة:

رغم أنّه يوضح المقصود غالبا إلا أنّه يحصره في زاوية معينة ، ونجد في قاموس الممتاز أمثلة عدّة على ذلك منها معنى كلمة صحابيّ، وجاءت دلالتها على النحو الآتي: «من عاشر النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به حتى مات على الاسلام 'ج' صحابة.»[23] وهذا الحكم قد يأخذ حكما خاصا دون العام فقد أطلقه المؤلف عوض أن يقدم تعريفا لغويا لهذا اللفظ، فلفظة الصحابي قد يحدها الحد اللّغوي فتأخذ منحى آخر «فالمعنى اللغوي لا فرق بين أن يكون الصاحب مسلما أو غير مسلم ، بين أن يكون عادلا أو فاسقا ، بين أن يكون برا أو فاجرا، يقال : فلان صاحب فلان»[24] ومثلها شيعي، وعلماني وكثير من المفردات التي تعكس مذهب المؤلف وميوله، فكلها أصدرت حكما عوضا عن تقديم التعريف اللغوي لها، وإن القاموس يجمع كل الفئات التعليمية وإن قل تشتت هذه الفئات في الجزائر، لكن ليس الموضع ملائما هنا لوروده.

5 - 4 - 3 الغموض في التعريف:

لاتستند التعريفات في هذا القاموس إلى أساس لساني واضح، وهذا يعني غياب رؤية ومنهجية لبناء هذا القاموس المنشود، وممّا يرد في الغموض التعريفي هو وجود لفظة أو مادة معجمية تعرّف بمادة أصعب منها وأكثر تعقيدا وذلك مثل: قول المؤلف في شرح قرمز:[25] (القرمز هو صبغ لونه أحمر قان)؛ يتعذر على مستعمل القاموس وهو صغير السن أو هو تلميذ في مرحلة ما فهم كلمة قان، فهي بدورها تحتاج لشرح ثاني، فالقان حسب تعريفات أخرى هو «أحمر كالدم، شديد الحمرة»[26]، كأن صاحب المؤلف يريد القول(أحمر كحمرة الدم) وهذا التعريف أوضح.

ولذا كان من عيوب هذا التعريف عدم مراعاة شروط المعجم العام، وهو مايتطلب الدقة حين وضع المصطلحات وإلزامية تحقيقها والتحقق منها. مما يقتضي المصطلح العلمي وضرورة توضيحه بمدلول علمي، ولذا فإن الشرح يأتي متفاوتا في صياغته متباينا في أسلوبه، لكن يبقى إدراج تلك المصطلحات في معجم عام يقوم على التمييز بين تعريف المصطلح علميا وتعريفه لغويا.

كما أن المصطلحات شهدت تعريفات علمية بعيدة كل البعد عن الطبيعة اللّغوية حينا وذات طابع موسوعي حينا آخر ، ومن مثلها ماجاء في التعريف المطول للقمر: «هو الكوكب السيار الذي يستمد نوره من الشمس ويدور حول الارض ويضيئها ليلا. (ج) أقمار وقمور. و'القمر الصناعي': جسم يطلق في الفضاء ليدور حول الأرض، ويستمد سرعته للدوران من صاروخ ذي مراحل ، ويحمل أجهزة تقوم برصد المعلومات وإرسالها إلى المراكز العلمية على الارض في أثناء دورانه في الفضاء، ويستخدم أيضا في الاتصالات الإذاعية المرئية والصوتية. وفي الأرصاد الفلكية. وغير ذلك. (ج) أقمار.»[27] هذا التعريف شامل نوعا ما مقارنة بالتعريف التالي الذي خص به المفهوم العلمي دون اللغوي: «الكربون هو عنصر لافلزي يوجد على أنواع مختلفة، عدده الذري (6)، ووزنه الذري12.01»[28]

خاتمة:

إن القاموس المدرسي الجزائري هو تجربة تعليمية مقبولة في الوسط التربوي، رغم الثغرات الموجودة فيه على مستوى التعريفات، إذ رغم صعوباتها أحيانا وفقدانها المنحى اللغوي أحيانا أخرى إلاّ أنّها تبقى الوسيلة اللغوية أكثر نجاعة في تثبيت الحصيلة اللغوية للطفل وتطويرها، وإن هذا النموذج واحد من النماذج القاموسية الورقية التي تقدم لنا كثيرا عن المصطلح والمفردة اللغوية الواردة في الوسط التربوي والمنهلة من الوسط الاجتماعي عامة؛ إلاّ أن التجربة القاموسية في الجزائر مازالت تفتقر إلى وجود قاموس مدرسي بأتم معنى الكلمة يجمع في ضفتيه

كل الكلمات التي يحتاجها التلميذ من السنة الأولى ابتدائي وحتى المرحلة الثانوية.

الإحـــــالات:

(1) أحمد برسيول، ثغرات التعريف في المعاجم العربيــة: (المعجم العربي العصري وإشكالاته)، يونيو 2009م، المغرب، ص: 52.

(2) ينظر :عبد الرحمن الحاج صالح، المعجـــــــم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، اللسانيات، 2003م، ص: 189.

(3) عبد المجيد حمّادو، المعجم العربي الإلكتروني: أهميتـــــه وطرق بنائه، صفاقص- تونس، 2011م، www.majma.org

(4) كنزة بنعمر، قراءة في معجم الرائد: (المعجـــم العربي العصري وإشكالاته)، يونيو 2007م، ص: 214.

(5) ينظر : صونيا بكال، مادة المعجم المدرسي بين الواقــع والمأمول: (اللّسانيّات)، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية، الجزائر، 2010م،ص ص: 78،77.

(6) ينظر: المرجع نفســـــــــــــــــــــــــه، ص ص: 78،77.

(7) ينظر: عيسى مومني، الممتاز (قاموس مدرسي) عربي- عربي، دار العلــوم، عنابة- الجزائر، دت ، دط. مقدمـــــــــــــــة.

(8) المرجع نفســـــــــه، ص: 4.

(9) المرجع نفسـه، ص ص: 4 ، 5.

(10) ينظر: المرجع نفسه، ص: 9.

(11) ينظر: المرجع نفسه، ص: 7.

(12) ينظر: المرجع نفسه، ص: 2.

(13) REY ,A : POLYSEMIE DU TERME DEFINTION , IN DEFINITION COLLECTIF ; ARIS, LAROUSSE, P. 13.

(14) محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجـــــــــــــــــم العربي، ص: 165.

(15) أحمد برسيول، ثغرات التعريف في المعاجم العربية، المرجع السابق، ص: 52.

(16) ينظر : عيسى مومني، الممتاز(قامـــــوس مدرسي)، المرجع السابق، ص: 409.

(17) محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجـــــــــــــــــم العربي، ص: 165.

(18) سبق التفصيل في الشواهد، إلا أنّه لابد من تنويــه القارئ إلى أن الشواهد ناهيك عن أنّها تدرس في متن القاموس، فهي أيضا تندرج ضمن التعاريف القاموسية.

(19) ينظر: عيسى مومني، قاموس (الممتاز)، المرجـــــــــــــع السابق، ص: 70.

(20) أحمد برسيول، ثغرات التعريف في المعاجم العربية، المرجـــع السابق، ص: 53.

(21) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، دط، 2003م، الجزء 14.

(22) ينظر: عيسى مومني، قامـــــــــــوس (الممتاز)، المرجع السابق، ص: 173.

(23) ينظر: المرجع نفســـــــــــــــــــــــــــــــــــــه، ص: 191.

(24) ينظر، السيد علي الميلاني، الصحابة، ط1، 1421هـ، ص ص: 12،11.

(25) ينظر: عيسى مومني، قامـــــوس (الممتاز)، المرجع السابق، ص: 256.

(26) معجم المعاني الجامـــــــع – المعجم الرائد- www.almaany.com .

(27) عيسى مومني، قامـــــــــوس (الممتاز)، المرجع السابق، ص: 286.

(28) المرجع نفسه، ص: 295.

الأصول اللغويّة للّهجة النّيارتيّة
-منطقة تخمارت أنموذجا-

The linguistic Origins of the Tiareti dialect
The Takhmaret area is a model

خديجة بن سعيد، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، الجزائر.

ملخّــص

يقوم هذا البحث على عدة نقاط ترتبط كلها بالدراسة اللهجية الجزائرية، بدأتها بالتعريف بمصطلح اللهجة لغة واصطلاحا والعلاقة بتن اللهجة واللغة، ثم عرجت على ذكر المنطوق اللهجي لسكان تخمارت من تجار للسلع المتنوعة إلي تجار للماشية إلي فلاحتن، وركزت على أهم المصطلحات المتداولة بينهم، ثم أشرت إلي التغييرات الصوتية التي طرأت عليها وسببها، وبينت كيفية الترميزلها «كتابتها» مع رد المصطلح إلي أصوله اللغوية.

الكلمات المفتاحية: لهجة؛ لغة؛ أصل؛ مصطلح؛ تيارت؛ تخمارت.

Abstract

This research focuses on four fundamental points that deal mainly with the study of a particular Algerian dialect. First, I have introduced the research by putting forward definitions of the term dialect both lexically and contextually, and explained the relationship between language and dialect. Then, I moved to listing the pronunciation of various utterances belonging to residents in Takhemaret. The speakers included merchants, cattle dealers, and peasants, and I focused on the main utterances used among them. Next, I identified the various phonetic sounds that occurred in them, the reasons behind their occurrences, and then I explained the way in which they are symbolised (written). Finally, I traced back the meanings of the terms to their linguistic origins.

Key words: Dialect; Language; Origin; Term; Tiaret; Takhemaret.

مقدمـــــة:

إن جهاز النطق عند جميع البشر واحد، إلا أن من عجيب صنع الله تعالى أن جعل ما ينتجه من أصوات يختلف من إنسان إلى آخر، ومن منطقة جغرافية إلى أخرى، وهذا يرجع إلى أسباب صوتية تعزى في الغالب إلى الناطق نفسه؛ من حيث التحكم في تنظيم النفس وتوزيعه عند النطق أو التسهيل أو التحويل الصوتي، كالنحت أو الإدغام أو الإبدال إلى غير ذلك، وتسمى هذه الظواهر الصوتية التي تنحو بالعربية نحوا مغايرا لما عرفت عليه: باللهجة، وهو ما سيتم الحديث عنه في هذا البحث الذي استأثرت فيه بلهجة ولاية تيارت، وبسبب تعدد اللهجات في هذه الولاية، خصصت الدراسة لسكان بلدية تخمارت، المعروفة بالزراعة والرعي، وهي تابعة إداريا لدائرة فرندة الواقعة غرب تيارت، وذلك في إطار المنطوق اللهجي للتعاملات التجارية بين سكانها، فما هي الأصول اللغوية للمصطلحات التي يتعامل بها سكان هذه المنطقة؟

الموقع الجغـــرافي:

بلدية «تخمارت» تابعة لدائرة فرندة ولاية تيارت، يحدها من الشمال الشرقي بلدية واد الأبطال، ومن الشمال الغربي بلدية هاشم «ولاية معسكر»، ومن الجنوب الشرقي بلدية الرّصفة وبلدية عين الحديد، ومن الجنوب الغربي بلدية عوف «ولاية معسكر»، وبلدية أولاد براهيم «ولاية سعيدة»، وموقعها الجغرافي يربطها بثلاثة ولايات»تيارت- معسكر- سعيدة»[1]، مما جعلها قطبا لمزاولة كافة الأنشطة المختلفة، ولهجتها هي مزيج من اللهجات الثلاث، إلا أن لها من الخصائص الصوتية ما تنفرد به عن البقية.

قيل إن اسم «تخمارت» جاء من ممارسة أهلها لزراعة العنب، وأن هذا الاسم بربري شأنه شأن الأسماء التي تبدأ بالتاء وتنتهي بالتاء وتعني «الأرض الصالحة للزراعة». قبل سنة 1926م كانت بلدية تخمارت عبارة عن بنايات قليلة وقرى مبعثرة، وفي سنة 1929م في العهد الاستعماري بدأ المستوطنون في التوافد إليها حيث كانت تابعة للبلدية المختلطة بفرندة، و كان يحكمها حاكم فرنسي حتى سنة 1947م أين تأسس المركز الإداري، وفي سنة 1956م أسست رسميا تحت اسم (Dominique luciani) في نطاق السياسة التي استعملتها فرنسا ضد القرى في زمن الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال عرفت باسم «العين الخضراء» إلى غاية 1969م غيّر اسمها إلى اسم تخمارت. وهي تتميز بموقع استراتيجي هام، وتتميز بخصوبة أراضيها مما يجعلها من أهم المناطق الفلاحية والرّعوية في الجزائر.[2]

مفهوم اللّهجة:

اللهجة في مفهومها اللغوي من: «لهج الفصيل يلهج أمه، إذا تناول ضرع أمه يمتصه، وأيضا إذا اعتاد رضاعها، ولهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج يعني أولع به واعتاده واللهج بالشيء، الولوع به.»[3] وهذه المعاني تحمل صلة وثيقة بلفظ لهجة التي تعني طريقة النطق التي يتبعها الإنسان، فهي لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها منذ النشأة.

أما من الناحية الاصطلاحية فهي: «العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة»[4] وبقولنا عادات ندرك أنها جاءت عن طريق التعود بالسماع والتقليد ولا تخضع لقواعد تضبط نحوها أو صرفها، وهي تنشأ في الغالب من تغيير تصويتي للّغة الأم، وتنماز بها مجموعة قليلة من البشر عن غيرهم «وهذه العادة الكلامية تكون صوتية، أو هي طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة.»[5] وهي تسري فيها عن طريق الاتفاق على المصطلحات ومواضع استخدامها حتى يسهل التواصل بين أفرادها.

وتختلف اللهجة من منطقة إلى أخرى لأنّ «اختلاف مظاهر الحياة الاجتماعية في البيئة يؤدي إلى التميز في اللهجة، ولا شك أن مظاهر الحياة الاجتماعية واسعة متشابكة متداخلة فمنها ما يرجع إلى البداوة والحضارة، وما يتصل بذلك من الأنظمة الاقتصادية، وشؤون الحياة المادية، ونظام السياسة والتشريع وحياة الأسرة، فجميع هذه الأمور وما يتوالد منها له أثر فعال في اختلاف اللهجات في البيئة»[6]، حيث أن كل هاته العوامل المذكورة وغيرها تخلق تمايزا طبقيا وعلميا وثقافيا، يؤدي بدوره إلى تمايز الأصوات المنطوقة واختلافها، فتنشأ لغات فرعية وليدة التجربة الشخصية، ثم تخضع بعد ذلك للتعميم الأسري فالمجتمعي ويطلق عليها اسم اللهجة.

واللهجة تعني أيضا: «مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفَهْم ما قد يدور بينهم من حديث، فَهْما على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. وتلك البيئة الشاملة تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة.»[7] فاللهجة تمتاز بخصوصية التصويت حيث تنفرد بها فئة بشرية معينة، على عكس اللغة التي تفرض الوحدة واشتراك المجتمع ككل.

ومن هنا تظهر العلاقة بين اللغة واللهجة إذ هي: «علاقة بين العام والخاص. فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.»[8] أي أن اشتراك أفراد البيئة الواحدة في طريقة التصويت بالكلمات ليسهل التواصل فيما بينهم دون أن يغير ذلك من معناها، هو المقياس الذي نستند عليه في معرفة اللهجات وتصنيفها، ولهجة تخمارت ما هي إلا جزء من مجموع اللهجات التيارتية التي تتألف منها اللغة الجزائرية، وتجمعها ظواهر صوتية لغوية خاصة، تيسر سبل التواصل بين الجزائريين، بقدر سعة الكلمات المشتركة.

ولا شك في أن معظم اللهجات العربية كان مصدرها اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم والقبائل العربية الأولى، ولكن اعتراها الكثير من اللحن والتحريف لعوامل كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، فتحولت الأصـــوات العربية من «الصعب إلى السهل، ومن الخشن إلى الناعم، ومن المعقد إلى الميسر، ومن المزخرف إلى البسيط، ولهذا فإن الفروق التي تشاهد بين الفصحى واللهجات العامية، إنما تنتج من حاجة الناس إلى التعبير عن أفكارهم بسهولة وبساطة ووضوح، ومن نزوعهم إلى الاقتصاد في الكلام.»[9] ومن هنا تبرز ملامح شخصية العربي التي خالطها الخمول بسبب العيش المترف، وسادها النزوح إلى بلوغ المنى بأيسر السبل.

وبالحديث عن التغيرات والانحرافات الصوتية التي تحدث من الفصحى إلى اللهجة فإننا نجدها تنشأ في «أغلب الأحيان من القصد إلى التخفيف في النطق، ويحدث التحريف:

1 - إما بزيادة حرف كما هو الحال في راجل بدل رجل، ودواية في دواة.

2 - وإما بتخفيف الهمـــــــــــــــــــزة مثل بير بدلا من بئر.

3 - وقد يكون بإتباع حركة أول الكلمة للحرف اللين الذي في وسطها مثل: بِيت بدلاً من بيْت ومُولد بدلا من مَولد.

4 - وإما بإبدال بعض الحروف بأخرى –أسهل في النطق مثل: «بحتر» في بعثر. اتّاوب بدلا من تثائـــــــــب.

5 - أو تخفيف النطق بإبدال الحـــــــرف المضعف – ياء مثل: مدّيت- حطّيت- فكّيت.

6 - أو يكون التخفيف ناشئا عن النحت مثل أيش بدك – أي شيء بودك. أو منين، وأصلها من أين.

7 - أو يكون التخفيف ناشئا عن القلب مثل: الزحالف للزلاحف- أي السلاحف والمعلقة

يعني الملعقة.

8 - أو من الإبدال: مثل: يلهط الطعام يعني يرهط. واشترت الدابة يعني اجترت. دِحك يعني ضِحك.

9 - أو من النقصان من عطوني – في أعطوني، ومثل: مرت فلان، أي امرأته، ونهار الحد، أي الأحد، وقولنا: ع الرف، م السوق.

10 - أو التصحيف: مثل احْدِف الشّيء: أي احذفه، واتنين في اثنين، أو تمر في ثَمر»[10]، وغير هذا كثير.

النّطق اللّهجي لتجّار تيارت:

1 - منطـوق تجار المحلات:

تعتبر بلدية «تخمارت» من أهم المناطق التيارتية المعروفة بالتجارة والزراعة على مستوى واسع، وإن اختلفت التسميات التي يتداولها سكانها عن بقية المناطق الأخرى خصوصا البعيدة منها، فمثلا عند الحديث عن الجانب التجاري نجدهم يقولون: «حانوت» بمعنى المحل أو المتجر أيا كانت السلعة المعروضة فيه، وهذه الكلمة من أصل عربي ولم يعتريها أي تغيير صوتي، وهي تطلق على محل بيع الخمور[11]، ثم عُمِّمت دلالتها لتشمل جميع أنواع المحلات التجارية التي تباع فيها السلع بالتجزئة.

وقد يسمى المحل أيضا «فيترينه» إذا كان ذا واجهة زجاجية تعرض فيها السلع، وهذا النوع من المحلات يغلب عليه بيع الملابس أو الأحذية أومواد التجميل أو الذهب والفضة، وهذه الكلمـــــة من أصل فرنسي «vitrine» وهي تعني الواجهة الزجاجية للدكان [12]، وعند تعريبها عممت على المحل بأكمله شرط أن يحوي واجهة زجاجية، مع جعل حركة النون آخرها مفتوحة بدل التسكين.

وسبب استعمال بعض الكلمات الأجنبية وخاصة الفرنسية منها في مجتمعنا دون مثيلتها العربية هو أن: «الشخص ليتعلم بعد البلوغ لغة أجنبية فيدخل في نطقه بها بعض عاداته النطقية التي اكتسبها من لغته الأصلية»[13] وهناك عاملان آخران وهما التجارة والاحتلال حيث أن: «الغزو أو التجارة مثلا تدعو أهل البلد المغزو أو الذي تحدث فيه التجارة إلى استعمال لغة الغزاة أو لغة التجار الوافدين، جريا وراء التقرب من هؤلاء الغزاة أو التجار، ثم ينسون لغتهم الأصلية، ولا يذكرونها»[14] مثل بعض الجزائريين الذين انبهروا أيام الثورة بالحضارة الغربية، وانساقوا في ذهول وراء المستعمر، فقلدوا لغته.

بالإضافة إلى ما يسمى بتسلل العناصـــــــر الأجنبية فعندما: «يتعلم السكان

الأصليون لغة غزاة وصلوا حديثا، فإنهم يتعلمون لغتهم الجديدة على نحو غير متقن، وتنتقل العيوب الخفية في استخدامهم إلى أطفالهم وإلى الناس المحيطين بهم الأمر الذي يؤدي إلى تغير اللغة»[15]، وهذا التغير قد يكون كليا أو جزئيا في أحسن الأحوال.

ويعزى تغير النطق في اللهجات إلى أن ثمة: «أسباب فجائية للتطور الصوتي، كأن يحدث التغير في صفة من صفات صوت من أصوات الفونيم، فتتبعه بقية أصوات الفونيم في هذا التغير، للرغبة في خلق انسجام في النطق، وظنًا من المتكلمين أن ذلك تصحيح طبيعي للنطق. ويبدأ ذلك في كلمة واحدة وعلى لسان واحد، أو في كلمات متفرقة على ألسنة متعددة ثم يعم المجتمع»[16]، أي أن التغير قد يمس أحد الألوفونات أو الصور النطقية لفونيم معين، ثم يتولى المجتمع تعميم هذا التغير الصوتي على بقية الألوفونات حتى يتغير نطق الفونيم بكل صوره، وبفعل التجاور الصوتي يتأثر نطق بقية الأصوات.

كلمة «تَّاجْرْ» في اللهجة التخمارتية تعني التَّاجِرْ وهي من أصل عربي، إذ أنها مشتقة من الفعل تَجَرَ بمعنى «باع وشرى»[17] على وزن اسم الفاعل تَاجِرَ، ولكن اعتراها تغيير صوتي يتمثل في: اختلاس فتحة الجيم مع تخفيف نطقه حتى يكاد يكون ساكنا و «أما اختلاس الحركات فهو إخفاؤها حتى تقرب من السكون»[18] و«الشَّارِي»[19] في العامية هو المشتري وهي أيضا كلمة فصحى جعلت على وزن فاعل، وهو الذي قام بفعل الشراء مع حذف «أل» التعريف إذا لحقها أحد الحروف الشمسية المشددة. لأفعال التبادل التجاري يستعملون: «شْرَى» بمعنى شَرَى واشترى وهو عربي الأصل[20]، مع تسكين فتحة الشين، والأمر نفسه مع عين «بَاعْ» وأصلها اللغوي بَاعَ معروف «إذ يقف المتكلمون بالعامية على أواخر الكلمات بالسكون»[21]، هذا في الزمن الماضي، أما في المضارع فيكسر حرف المضارعة لأن «جميع العرب إلا أهل الحجاز ومنهم قريش- يكسرون أحرف المضارعة»[22] فيقولون «يِشْرِي» وأصلها الفصيح «يَشْرِي».

وتسمى البضاعة «سْلْعَه» من كلمة «سِلْعَةٌ» العربية الأصل[23] اعتراها اختلاس لحركة الكسرة مع إهمال نطق التاء في الأخير، وعند دخول المشتري إلى المحل يبدأ بالتحية، ثم يسأل عن السلعة التي يريدها قائلا: «كَايِنْ عَنْدْكْ سْلْعَه لفْلاَنِيَّه؟»، وكلمة «كَايِنْ» عربية الأصل من «كائن» المشتقة من الفعل كان أي وُجِدَ[24]، لكنها خضعت لتغيير صوتي يتمثل في: تخفيف[25] أو تسهيل الهمز[26] قبل النون، فيصبح المعنى المقصود هو: أ يُوجَدُ عِنْدَكَ السِّلْعَةُ الفُلاَنِيَّة؟ أما «عَنْدْكْ» وأصلها «عِنْدَكَ» فتغيرت كل حركاتها ما بين إبدال للكسرة فتحة في أولها، واختلاس لفتحة الدال وتسكين للكاف آخرها.

فإن وجد المشتري حاجته يقول: «أشْحَالْ السُّومَة؟» أو «أشعال السُّومة» وتعني كم الثمن؟ وأصل كلمة شحال هي: أي شيء حال؟ أو تقلب الحاء إلى مثيلتها الحلقية وهي العين[27] فيقال: «شعال»، لكن يكثر استعمال الأولى لخفتها في النطق، أما كلمة «سُّومَة» فهي عربية الأصل من الفعل «سَوَمَ» ونقول: » سامني الرجل بسلعته سوما: وذلك حين يذكر لك هو ثمنها، والاسم من جميع ذلك السُّومَةُ والسِّيمَةُ»[28] مع إهمال التاء آخرها في العامية، وبعد أن يَعرِف المشتري ثمن السلعة «بِخَلَّصْهَا» أي يدفع ثمنها وهي عربية الأصل من: «خَلَّصَ إذا أعطى الخَلاَص وهو مِثْلُ الشيء»[29] إذا تم إفساده، وصارت تعني في اللهجة إعطاء مقابل الشيء مالا عند شرائه، وقد تعرضت لتغيير صوتي يتمثل في: تسكين الصاد لتصبح «خَلَّصْهَا» بدل «خَلَّصَهَا» و كسر الياء في المضارع بدل الضم.

ويتم شراء البضاعة بما يسمى بـ «دْرَاهْمْ» أي الدَّرَاهِمْ وهي فارسية معربة[30] وتعني النقود، والفرق بين الفارسية والعامية، هو تسكين صوت الدال واختلاس كسرة الهاء، وعلى البائع أن يأخذ ثمن البضاعة المباعة، ويرد للمشتري «صَّرْفْ» أي المال المتبقي من المبلغ الإجمالي المدفوع للبائع، وهي عربية الأصل «شيءٌ صُرِف إلى شيء»[31] أي رجع وتحول إليه، وإذا أسقطنا هذا الكلام على العامية، وجدنا أن الصَّرْفَ تعني تحويل المال ذو القيمة الكبيرة إلى آخر ذو قيمة صغيرة بعد خصم ثمن السلعة، كما أن لكلمة «صَّرْفْ» معنى آخر في العامية وهو مقايضة المبلغ الكبير بمبالغ صغيرة تعادل في مجموعها قيمة المبلغ الكبير، ولهذا المعنى نظير في العربية كقولنا: «الدِّينَار صُرِف إلى الدراهم، أي رُجِع إليها إذا أخذت بدله.»[32] ولطريقة الدفع حالتان:

1 - معجلة وهي أن يدفع النقود في ذات اللحظة وهو ما يسمى «حَاضَرْ»، والمعنى ذاته تحمله كلمة «حَاضِرْ» الفصيحة التي تعني: «نقيض المغيب»[33] أي أنَّ المال المطلوب موجود وحاضر في جيب المشتري، وتنطق في العامية باختلاس فتحة الضاد.

2 - مؤجلة وهذا في حالة لم يتوفر المشتري على المبلغ حاضرا، فإنه يَطْلُبُ تأجيل الدفع وهو ما يدعى «كريدي»، وأصل هذه الكلمة فرنسي معرب، وكلمة «credit» الفرنسية تعني مهلة لدفع[34] النقود المستحقة من السلعة.

ولتحديد نوع التجارة يقولون: «بِتَجَّرْ فْسُّلْعَه لفْلاَنِيَّه» أي يَتَّجِر[35] في السلعة الفُلانية، وإنما انتقلت الشدة من التاء في الفصحى إلى الجيم في العامية، مع كسر ياء المضارعة وفتح الجيم بدل كسرها، والتُجَّار نوعان: نوع يتاجر بالجُملة وآخر بالتجزئة، فأصحاب الجملة يُسمَّون «تُجَّارْ لجْمْلَه» بتسكين الراء وحذف ألف التعريف إذا تلاها حرف قمري، أو «قْروسيست» وهي كلمة فرنسية معربة[36] grossiste أما تجار التجزئة

فيُدعَون: «قَشَّارِينْ» وهي جمع «قَشَّارْ» من «قَشُّرْ» أي باع بالتجزئة، ولعلها مُقاسة من الفعل «قَشَرَ - يَقْشِرُ» بعد تسكين الشين وتشديدها وتسكين الراء، ويعني إزالة الغشاء سواء أكان خِلقة أم عرضا[37] ولتقريب المعنى نقول أن السلعة تكون مجملة في صندوق واحد يحوي قطعا متشابهة من نفس السلعة، بحيث يباع كما هو عند تجار الجملة، أما عند تجار التجزئة، فإنهم يبيعونها السلعة قطعة قطعة بعد فتح الصندوق أو الكيس الذي يجمعها.

أما المال الذي يشتري به التجار بضاعتهم، فيسمى «رَاسْ لمَالْ» استنادا إلى كلمة «رَأْسْ المَالْ» العربية الأصل «ورأس كل شيء أعلاه»[38] ورأس المالِ هو الذي يخصص للتجارة فقط، فيكون أعلى من بقية مال التاجرِ قيمةً، والتغيير الصوتي هنا هو تسهيل الهمز في كلمة «رَاسْ لمَالْ» وقلبها إلى جنس الحركة قبلها[39] مع تسكين السين واللام، وتذهب البضاعة بعد استلامها للتخزين في مكان يسمى ب «لمَخْزْنْ» نظير كلمة المَخْزَنْ الفصحى[40] مع اختلاس لحركة الفتحة فوق الزَّاي وحذف ألف التعريف.

2 - منطوق تجار الماشية:

إن لسكان تخمارت لمسات نطقية خاصة في مجال بيع الماشية والمنتجات الفلاحية، ففي الأولى نجد المشتري يتوجه إلى سوق الأغنام، أو ما يسمى في عرفهم «صُوفْ لمَالْ أو لغْلَمْ» أي الغَنَمْ، ونظيرة «صُوفْ» في الفصحى هي «سُوقْ»، فالسين قلبت إلى الصاد لأنه «إذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز قلبها صادا.»[41] وقلبت القاف إلى الڤاف، أما لفظة «المال» فذات أصل عربي «والمال في الأصل ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أُطلِق على كل ما يُقْتَنَى ويملَك من الأعيان، وأَكثر ما يُطلق المال عند العرب على الإبل لأَنها كانت أَكثر أَموالهم.»[42] وتطلق عند سكان تخمارت على الغنم لأنها أكثر أموالهم، وقد يسمون الغنم أيضا «غْلْمْ» بتسكين صوت الغين وإبدال النون لام[43] مع اختلاس حركة الفتحة فوق اللام.

ويسمى البائع ب»لمْوَّالْ» وجمعها «مُوَّالَه»، وهي مشتقة من كلمة المال العامية، على وزن فعَّال للدلالة على من يمتهن المتاجرة بالغنم، كما تطلق أيضا على غذاء الماشية، وبعد أن يختار المشتري ما يشاء من الماشية، يبدأ الحوار بينه وبين البائع: «شْحَالْ هَاذْ لمَاشِيَه؟» يعني «بكم هذه الماشية؟» واسم الإشارة هنا حصل فيه تغيير صوتي تمثل في مد فتحة الهاء في «هذه» حتى تصير ألفا، وحذف الهاء الثانية مع تسكين الذال، أما لماشية فهي عربية الأصل[44] مع إهمال تاء التأنيث وحذف الألف من أل التعريف.

فيرد التاجر: «صطاعش» أي «ستة عشر» وهي اختصار لمبلغ «مليون وستمئة

سنتيم»، والتغيير الصوتي هنا هو تفخيم صوت السين إلى صاد والتاء إلى طاء، مع حذف تاء التأنيث في كلمة «ستة»، ومد فتحة الطاء إلى ألف، وتسكين صوت الشين في كلمة «عشر» مع حذف صوت الراء، ومسألة ذكر النقود على هذه الصفة معروفة ومنتشرة في بلدية تخمارت وغيرها من المناطق المجاورة، كما نقول على «المليون ومئتي سنتيم»: «ثناعش» أي «اثنتا عشر».

وعندها يبدأ المشتري بالمساومة على سعرها، فيخفض من السعر قائلا على سبيل المثال: «نعطيك فيها ثلطاعش» أي «أعطيك فيها ثلاثة عشر» بمعنى «مليون وثلاثمئة سنتيم»، والتغيير الصوتي في الفعل أعطيك: هو إبدال ألف المضارعة نونا، فإن وافق البائع على هذا السعر يقول: «راني مصادقك» أي: إني أصادقك وأوافقك على هذا السعر، والفعل صادق عربي الأصل[45]، اعتراه تبدل صوتي يتمثل في إبدال الألف راءا ممدودة.

وإن لم يناسب هذا السعر المشتري فإنه يقول: «مَانِيشْ سَالْكْ زِيدْنِي» أي أن هذا المبلغ المعروض علي لا يناسبني عليك برفعه قليلا، وكلمة «مَانِيشْ» مكونة من عدة أجزاء أولها «ما» النافية، وبعدها «ني» وهي اختصار صوتي للضمير «إنِيّ»، ثم «الشين» التي تنطق في العامية آخرَ الأسماء والأفعال مع «ما» النافية للدلالة على النفي «ويظن أن العامية ... اختزلت الشين من كلمة «شيء» التي تلحقها بالماضي والمضارع»[46] مثل «ما أكلت شئ» - «ما كليتش»، «ما شربت شئ» – «ما شربتش» ومع الزمن أصبحت للدلالة على النفي.

أما «سَالْكْ» باختلاس الفتحة فوق اللام، فهي عربية من الفعل سلك الذي يدل على: «نفوذ شيء في شيء»[47] والمعنى المراد هنا أن البائع لن يدخل مع المشتري في عملية الشراء، ما لم يزده في السعر ، بدليل قوله: «زِيدْنِي» من الفعل زدني، مع مد حركة الكسرة في الدال حتى تصير ياءا. ويبقى النقاش على هذا الحال، حتى يستقر الطرفان على سعر يرضي كل منهما ويتم البيع.

ويتم الدفع بطريقتين: إما في الحين وهو الحاضر كما ذكرنا آنفا أو بالتقسيط وأول دفعة يدفعها المشتري تسمى «العَرْبُونْ» أي أن المشتري يعطي للبائع دفعة مسبقة من النقود، وهذه الكلمة عربية الأصل[48] وبعد فترة يسدد باقي المبلغ، وهذا النوع من البيع يكون أيضا بطريقتين: إما بـ«لجْمْلَه» أي «الجُمْلَة»، أو «بْرَّاسْ» أي «بِالرَّأْسْ» وهو رأس الغنم الواحد، وفي كلمة «بْرَّاسْ» اختصار صوتي يتمثل في: حذف «ال» التعريف مع تسكين باء الجر، وتسهيل الهمز.

وتختلف تسميات رؤوس الماشية بحسب نوعها من حيث الذكورة والأنوثة، ومن حيث السن، ومن حيث إذا كان جسمها مكسوا بالصوف أو الشعر، فعند ذوات الصوف هناك مثلا: الذكر الكبير مكتمل القرون ويسمى: «لْكَبْشْ» أي «الكَبْشْ»، وهي كلمة عربية معروفة حذفت منها الألف من «ال» التعريف، وهناك الذكر المتوسط السِّن الذي تجاوز الحول أي السنة ويسمى «لْحَوْلِي»[49] وهي أيضا عربية، أما الصغير منها فيسمى «لْخْرُوفْ» أي «الخَرُوفْ»، وهو الأقل من سنة والاسم عربي معروف، أما الأنثى ذات الصوف فتسمى «نَّعْجَه» وهي عربية معروفة مع إهمال تاء التأنيث آخرها، وحذف ال التعريف أولها، إلى غيرها من تسميات رؤوس الماشية.

أما الغنم ذوات الشعر: فالذكر يسمى «لعتروس» وهي ذات أصل عربي من العَتْرس وهو «الضَّخْمُ المَحَازِمِ من الدواب»[50] وأطلقت على ذكر الماعز لقوة مفاصله، وتنطق بضم حركة الراء ومدها حتى تصير إلى واو، أما الأنثى فتسمى»عَنْزَه»، والعنزة عربية معروفة مع إهمال تاء التأنيث آخرها، وصغيرها يسمى»لجْدِيُّ» وهو «الجَدْيُ» وهو أيضا عربي معروف، مع تغيير صوتي عند تسكين الجيم وكسر الدال وتشديد الياء الساكنة. وعند الكلام عن البقر فإن الذكر منها يسمى «لْفْرْدْ» وتعني «ثَوْرْ» وهي عربية، وتأتي مفتوحة الراء أي «الفَرَدْ»، والأنثى «بَقْرَه» أي «بَقَرَة» وهي عربية معروفة مع تفخيم القاف إلى قَاف، وصغيرها «وُكْرِيفْ» أي «عِجْلْ» وأصلها غير معروف عندي.

ويسمون من يرعى الغنم بـ «راعِي» وهي مثيلة الفصحى، ويقولون «رَاحْ يِصْرَحْ» أي ذهب يرعى الغنم، والفعل «صَرَحَ» أصله عربي من سرح الذي «يدل على الانطلاق ... والسارح الراعي»[51] فأبدلت السين صادا وكُسِرت ياء المضارعة[52]، ولتغذية الغنم يستعملون «تْبَنْ» وهو «التِّبْنْ» أصلها عربي معروف، فقط سُكِّنت التاء وفُتِحت الباء.

3 - منطوق الفلاحين:

أما في مجال بيع المنتجات الفلاحية؛ فإن الشراء يكون في البداية من عند الفلاح صاحب المحصول، والمشتري يكون في أغلب الأحوال خضارا، أو بقالا، أو بائع مواد غذائية، أو بائع جملة للتجار المذكورين، ويسمى «لفَلاَّحُ» عند التيارتيين «فْلاَّحْ» وهي ذات أصل عربي[53] سُكِّنت فاؤه، وتسمى قطعة «الأرض» التي تتم فيها الزراعة «لرض» وهي على قياس الفصحى، مع حذف صوتي الألف والهمزة تسهيلا للنطق، وتقاس مساحة الأرض «بلقْطَارْ» أي الهكتار وهي فرنسية معربة [54] hectare وترمز لعشرة آلاف متر مربع، وتنطق في العامية بحذف الهاء وتفخيم الكاف إلى قاف، والتاء إلى طاء، كما تقاس أيضا ب»لمِيطْرَا» أي «المتر» وهي فرنسية معربة[55] mètre وتنطق في العامية بمد حركة الكسرة إلى ياء، وتفخيم التاء إلى طاء، ومد فتحة الراء إلى ألف.

ويسمى المحصول الفِلاَحِي «فْلاَحَه» وهي عربية الأصل، إلا أنها تعني فعل الفِلاحة أي الحِراثة[56] وتحولت دلالتها لتطلق على المحصول ذاته، وتنطق بتسكين الفاء بدل كسرها، وإهمال نطق التاء آخره، ويسقى المحصول باستعمال مياه «البئر» والمسمى عندهم «بِيرْ» بتسهيل الهمز وهي عربية أيضا، أو«لحَاسِي» وأصلها عربي[57]وهو «الحِسْيْ» وما تغير في نطقها هو: مد حركة الحاء بالألف بدل الكسرة، وكسر السين بدل تسكينها.

أما الوحدة التي تستعمل لوزن المحصول فهي «لقُنْطَارْ» أي «القِنْطَارْ» وأصلها عربي[58] وترمز لمائة كيلو غرام، حيث ضُمَّ صوت القاف بدل كسره، وأقل منه «لكيلُو» وتعني «الكِيلُو غرام» وهي الوحدة الأساسية في قياس الأوزان وأصلها عربي[59]، وهناك أيضا «رْطَلْ» وتعني «الرِّطْلُ»، وأصلها أيضا عربي[60] وهي نصف الكيلو، تَغَيَّرَ نُطْقُ أصواتها بأن سُكِّنَتْ الراء المشددة، وسُكِّنَتْ اللام، ويتم تخزين المحصول في «المَخْزَنْ» المخصص لذلك والذي يسمى «مَخْزْنْ» باختلاس الفتحة، أما في القديم فقد كانوا يستعملون مصطلح «المطمورة» وهي عربية الأصل[61] وهي حفرة كبيرة تحت الأرض لخزن الحبوب. وأيضا الرحبة المكان الذي تجمع فيه الحبوب. والرحبة كلمة فصيحة مستعملة في مكانها الصحيـــــح، لأن المكان الذي تداس فيه الحبوب يكون عادة رحيبا فسيـــحا.

وسآتي على ذكر بعض المحاصيل المختلفة بين خضر وفواكه وحبوب وبقوليات على سبيل التمثيل لا الحصر:

ففي مجال الخضر هناك مثلا: «لْبَطَاطَا» وهي البَطَاطَا عربية معروفة وتنطق بحذف ألف التعريف، و«طُومَاطِيسْ» وهي الطماطم عربية معروفة، تنطق بمد ضمة الطاء الأولى إلى واو، وكسرة الطاء الثانية إلى ياء، وإبدال الميم سين، وفي مجال الفاكهة هناك «لْبانان» وهي فرنسية معربة [62] banane وتعني الموز، و«تْفَّاحْ» أو «تُّفَّاحْ» وهو «التُفَّاحْ» مع تسكين التاء، و«لْعْنَبْ» وهو العِنَبْ مع تسكين العين بدل كسرها. وفي مجال الحبوب هناك «لْقَمْحْ» وهو القمح الصلب عربي معروف حولت قافه إلى ڤاف وحذفت لام تعريفه، و«شْعِيرْ» وهو الشّعير معروف سُكِّنَتْ شِينُه، أما بالنسبة للبقوليات مثلا هنـــــاك: «لْحُمُّصْ» وهو الحِمَّصُ أو الحِمّصُ[63] و«لْعْدْسْ» وهو العَدَسْ، سُكِّنَتْ عينه ودالـــــه.

إذا فـ«المجتمع البدوي له من ظروفه في حياته ... وكذلك انعزاليته وتعصبه في خصائصه اللهجية وشدة احتفاظه بتلك السمات - كما أن دورانه حول مسايل المياه

ومواطن الكلأ، وتلك الحركات الدائبة - تجعله يتجه اتجاها خاصا في كيفية نطقه وتحدد مدى تأثر الأصوات بعضها ببعض من إدغام لميله إلى السرعة في الحديث، وإسقاطه بعض الحروف من الكلمة تخفيفا كي يصل إلى غرضه من أقرب طريق وأيسره»[64] وهو ما يشبه الكسل والتراخي في النطق إذ يقتصد في الجهد العضلي وفي التنفس ويميل إلى الاختصار في القول دون إخلال بفهم السامع «بعكس الحضري المستقر في كلامه وعيشه، المطمئن إلى بيته حيث يوفي الأصوات دون إسقاط حرف منها، وذلك لأن بيئته تتطلب منه حسن الأداء وتخير الألفاظ»[65] بالإضافة إلى النشاط في عمله وحياته وأن يبذل جهدا حتى في كلامه.

خاتمـــــة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى أن سكان تخمارت يمتازون بعادات نطقية خاصة، تتمثل في كثرة استعمالهم للمفردات العربية الفصيحة، ولعل هذا راجع إلى طبيعة البيئة الاجتماعية المحافظة على دينها، وعاداتها وتقاليدها وتمسكها باللغة العربية لغة القرآن الكريم، والفضل في هذا يعود إلى كثرة الزوايا المنتشرة في هذه المنطقة، وكثرة حفظة القرآن المعروفين «بالطُلبة»، على عكس المدن التي نزحت إلى استعمال الفرنسية كرمز للمَدَنِية والتحضر، واعتبار العربية رمزا للتخلف والرجعية وميولهم إلى التسكين، والاختلاس في الحركات، والتسهيل، والحذف في الأصوات، أو الإبدال بغرض تخفيف الكلام للوصول إلى الغرض المنشود بسهولة وسرعة، على عكس المدني المستقر في كلامه وعيشه، والذي يوفي الأصوات حقها انسجاما مع حضريته وحفاظا على لباقة حديثه.

الهوامـــــش:

(1) ينظر صفحة ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاخمرت/ https://ar.wikipedia.org/wiki.

(2) ينظر صفحـــــــــة ولاية تيارت، http://www.wilaya-tiaret.dz/wilaya/com-munes.php?commune=38.

(3) لسان العرب، ابن منظور، مج3، دار صادر، بيروت، ص: 183.

(4) اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد الهلالي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص: 27.

(5) نفســـــــه.

(6) اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ق1، 1983، ص: 88.

(7) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط9، 1995، ص: 15.

(8) نفسه.

(9) اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ص: 132.

(10) نفســــــــــــــــــــــــــــــه، ص: 131.

(11) ينظر لسان العرب، ابن منظـــــــــــــــــور، مج2، ص: 26.

(12) المنهل -قاموس فرنسي عربي-، جبور عبد النور-سهيل ادريس، دار الآداب، بيروت، ط5، 1979، ص: 1085.

(13) اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2001، ص: 95.

(14) نفسه.

(15) علل التغيير اللغوي، مصطفى زكي التوني، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ح 13، ر84، 1413هـ- 1993م، ص: 52.

(16) اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، ص: 96.

(17) لسان العـــــــــــرب، ابن منظور، مج4، ص: 89.

(18) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقيـــــــــــــــة، 1980، ص: 234.

(19) ينظر لسان العرب، ابن منظور ، مج14، ص: 429.

(20) نفسه، ص: 427.

(21) تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص: 11.

(22) نفســـــــه، ص: 27.

(23) لسان العرب، ابن منظور، مج8، ص: 160.

(24) نفســــــــــــــه، مج13، ص: 366.

(25) ينظر اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ص: 131.

(26) ينظر تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، ص: 83.

(27) ينظر الدراسات اللهجية والصوتيـة عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، ص-119 120.

(28) لسان العرب، ابن منظور، مج12، ص: 310.

(29) نفســــــــــــــــه، مج7، ص: 28.

(30) نفســــــــــــــــه، مج12، ص: 199.

(31) مقاييس اللغة ، ابن فارس، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ج3، ص: 343.

(32) نفسه.

(33) لسان العرب، ابن منظـــــــــــــــــــــــــــــور، مج12، ص: 199.

(34) المنهل -قاموس فرنسي عربي-، جبور عبد النور-سهيل ادريس، ص: 269.

(35) ينظر لسان العـــــــــــــــــــــــــــــرب، ابن منظور، مج5، ص: 89.

(36) المنهل -قاموس فرنسي عربي-، جبور عبد النور-سهيل ادريس، ص: 500.

(37) ينظر لسان العرب، ابن منظور، مج5، ص: 93.

(38) ينظر نفســـــــــــــــــــه، مج 6، ص: 91.

(39) ينظر تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، ص: 83.

(40) لسان العرب، ابن منظـــــــــــــــــــــــــــــور، مج13، ص: 139.

(41) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، ص: 130.

(42) لسان العـــــــــــــــــــــــــــــرب، ابن منظور، مج11، ص: 636.

(43) ينظر تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، ص: 162.

(44) ينظر لسان العرب، ابن منظور، مج5، ص: 93.

(45) ينظر نفســـــــــــــــــــه، مج10، ص: 194.

(46) تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، ص: 37، بتصرف.

(47) مقاييس اللغة ، ج3، ص: 97.

(48) ينظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تح محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنـــــــــــــــــــــــان، ط8، 2005، ص: 1215.

(49) ينظر لسان العرب، ابن منظور، مج11، ص: 185.

(50) ينظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص: 566.

(51) مقاييس اللغـــــــــة، ابن فارس، ج3، ص: 157.

(52) ينظر تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، شوقي ضيف، ص: 27.

(53) ينظر مقاييس اللغة ، ج4، ص: 450.

(54) المنهل -قاموس فرنسي عربي-، جبور عبد النور-سهيل ادريس، ص: 512.

(55) نفسـه، ص: 251.

(56) ينظر لسان العـرب، ابن منظور، مج2، ص: 548.

(57) ينظر نفسـه، مج14، ص: 177.

(58) القامـوس المحيط، الفيروز آبادي، ص: 466.

(59) ينظر لسان العرب، ابن منظور، مج11، ص: 604.

(60) ينظر نفسـه، ص: 285.

(61) مقاييس اللغـة، ابن فارس، ج3، ص: 424.

(62) المنهل -قاموس فرنسي عربي-، جبور عبد النور-سهيل ادريس، ص: 98.

(63) ينظر لسـان العرب، ابن منظور، مج7، ص: 17.

(64) اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجنـدي، الدار العربية للكتاب، ص: 90-91.

(65) نفسه.

التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ الهدف في ضوء نظرية الملاءمة

The interpretive resemblance between the source text and the target text On view of the Relevance Theory

قويدر يوسف، معهد الترجمة، جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة، الجزائر.

ملخّـــص

تهدف هذه الدّراسة إلى البحث في العملية التأويلية التي تعدّ الأساس الذي تقوم عليه الترجمة من خلال الاعتماد على نظرية الملاءمة و ذلك باستثمار مفهوم التماثل التأويلي حيث سنسعى إلى إيضاح الطريقة التي يتم من خلالها تحقيق التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ المترجم. يتحقق التماثل التأويلي بين قولتين أو نصّين في اللغة الواحدة عندما يتمكن المتلقي من التوصل بالافتراضات السيّاقية التي تحقق له الملاءمة بحيث تمكنه من فهم النصّ أو القول دون بذل جهد تحليلي كبير. سنورد في هذا البحث مجموعة من الأمثلة مع ترجمتها إلى اللغة العربية للوقوف على الطريقة التي يتم من خلالها تحقيق التماثل التأويلي، و مدى إسهامه في مدّ القارئ الهدف بنصّ مترجم يحقق له الملاءمة بحيث يمكنه من الفهم دون بذل جهد كبير في عملية التحليل والمعالجة.

الكلمات المفتاحية: نظرية الملاءمة، التمـــــــاثل التأويلي، الآثار السيّاقية، جهود المعالجة، الملاءمة المثلى.

Abstract

This study aims at understanding the importance of achieving interpretive resemblance between the source text and the target text during the process of translation. In fact, the concept of interpretive resemblance has its root in Relevance Theory which is developed by Dan Sperber and Deirdre Wilson (1986), and then introduced to the field of translation by Ernst Gutt (1991). According to Relevance Theory, to achieve a successful translation, the translator should produce a target text that its interpretation resembles the interpretation of the source text in those assumptions that make it relevant to the target reader. These assumptions should be conveyed without requiring the target reader to make unnecessary processing efforts.

Key words: relevance theory, context, contextual effect, optimal relevance, processing efforts, interpretive use of language.

مقدمـــــة:

لقد أسهم ظهور علم اللّسانيات في إرساء الأطر العلمية لدراسة الترجمة والبحث فيها.فقد اعتمدت اللّسانيات في بداياتها على الترجمة في مجال تعلم اللّغات وفقا للمنهج التحليلي التقابلي، و هو المنهج الذي يرصد أوجه التشابه و الاختلاف بين لغتين لا تنتميان إلى العائلة اللّغوية نفسها حيث يتم عقد مقارنات بين اللّغتين موضوع الدّراسة من خلال المستويات النحوية و الصرفية و الصوتية مع الأخذ في الحسبان الجملة وحدة للبحث والتحليل. ومع مرور الوقت تطور البحث في مجال اللّسانيات حيث تجاوز موضوع البحث الجملة إلى التركيز على النصّ. وهكذا تشعبت المدارس اللّسانية التي ركزت على دراسة النصّ من زوايا مختلفة؛ السوسيولسانيات مثلا يعنى فيها الدّرس اللّساني بالبحث في العلاقة بين اللّغة و مستعمليها من جهة، وبين اللّغة والبيئة الاجتماعية من جهة أخرى. كما ظهرت أيضا فروع أخرى من اللّسانيات مثل اللّسانيات الإدراكية واللّسانيات النفسية وغيرها.

تعد اللّسانيات التداولية من الفروع الحديثة في مجال اللّسانيات التي تهتم بدراسة اللّغة بوصفها أداة في العملية التواصلية و ذلك بربطها بعنصر السيّاق حيث لا يمكن إدراك المعنى الذي ينطوي عليه القول أو النصّ دون تأويله في حدود سيّاق محدد. لقد اهتم الباحثون في مجال الدّراسات الترجمية بتحليل العملية الترجمية بالاعتماد على أهم المفاهيم و المقاربات التي تقترحها الفروع المختلفة للّسانيات من ضمنها ما أتت به اللّسانيات التداولية التي يتم في نطاقها دراسة الترجمة بوصفها عملية تواصلية تتمثل أطرافها في كاتب النصّ الأصل و المترجم و القارئ الهدف. تشكل نتائج العملية التأويلية التي يقوم بها المترجم حجر الزاوية في العملية الترجمية ككلّ، و عليه فإن نجاح المترجم متوقف على مدى نجاحه في التوصل بالتأويل المقصود من قبل صاحب النصّ الأصل. سنسعى من خلال هذه الدّراسة البحث في إمكانية استثمار مفهوم التماثل التأويلي في مجال الترجمة على اعتبار أن هذا المفهوم قد تمّ طرحه في مجال تأويل الأقوال أو النصّوص في حدود اللّغة الواحدة، فهل من الممكن الاعتماد عليه في مجال التواصل بين لغتين مختلفتين تماما مثل الانجليزية والعربية؟

أمّا فيما يتعلق بالطريقة المنتهجة، فإننا سنتعرض لأهمّ المفاهيم التي أتت بها نظرية الملاءمة مع التركيز على مفهوم التماثل التأويلي في مجال الترجمة و ذلك بإدراج مجموعة من الأمثلة من اللّغة الانجليزية مع ترجمتها إلى اللّغة العربية. سيتم التركيز على العملية التأويلية بوصفها الأساس الذي تقوم عليه العملية الترجمية حيث لا بد أن يتحقق التماثل بين النصّ الأصل و النصّ الهدف على المستوى التأويلي و ذلك بالاعتماد

على السيّاق.

1. نظرية الملاءمة:

تعدّ نظرية الملاءمة نظرية تداولية معرفية، أرسى قواعدها كل من اللسانية البريطانيةDeirdre Wilson « ديردير ويلسون» و الفرنسي Dan Sperber «دان سبيربير». تبحث هذه النظرية في الظواهر البنيوية للملفوظات بالتركيز على عنصر السيّاق، كما أنها تعتبر في الوقت نفسه نظرية معرفية إدراكية ذلك أن المفاهيم الجوهرية التي تؤسس لها مستمدة من علم النفس المعرفي. تهتم نظرية الملاءمة بالبحث في الطريقة التي تتم من خلالها العملية التواصلية و الكيفية التي تكتسي بها العلامات اللّسانية معانيها ضن سيّاق معين. فعندما يصدر المرسل قولا أو نصا فإنه يقصد تمرير معلومة ما حيث تساعد الخصائص اللّسانية للقول أو الرسالة المتلقي على الاستدلال على قصد المتكلم وعلى رسم صورة دلالية في ذهنه حول ذلك القصد. يرى «ويلسن و سبيربير» أن هناك تباينا بين التمثيلات الدّلالية المكونة لجملة ما و الأفكار التي تحملها الملفوظات خلال العملية التواصلية؛ أي أن المعنى الذي ينطوي عليه ملفوظ ما ليس مماثلا للمعنى الذي تم ترميزه من خلال العلامات اللّسانية ذلك أن المكونات النحوية والمعجمية لجملة ما لا تنقل بالضرورة المعنى الكلي لهذه الجملة. يبرز عند هذا المستوى دور العوامل السيّاقية التي تضطلع بدور مهمّ في جسر الفجوة بين التمثيلات الدّلالية والأفكار المعبّر عنها في الجملة أو الملفوظ.[1]

تعتبر نظرية الملاءمـــة تفسيرا اظهاريا استدلاليا (ostensive-inferential) للطريقة التي يتواصل بها الأفراد فيما بينهم؛ فهي أنموذج استدلالي للتواصل لا يقتصر على مجرد عملية ترميز لعلامات لسانية يقوم بها المتكلم أو المرسل ليعمل من ثمّ المتلقي على فك ترميزها. يتحقق التواصل من خلال الأدلّة التي يمد بها المرسل المتلقي في إطار سعيه إلى بلوغ القصد الإخباري. يضطلع المرسل بدور إظهاري استدلالي من خلال المثيرات الاظهارية (النصّ أو الملفوظ) التي يطرحها و التي يستدل منها المتلقي على الرسالة التي يرمي المرسل إلى إيصالها:»تقوم عملية التواصل الاستدلالي على بناء وتقييم فرضيات حول مقاصد المرسل.»[2] يعدّ النصّ في حدود هذه النظرية مجموعة واسعة من الافتراضات التي يحملها المتلقي في ذهنه حول العالم و التي تضم كل ما يمكن للمتلقي أن يراه أو يشعر به أو يتذكره. يعتبر السيّاق مفهوما إدراكيا معرفيا يحيل على جزء من المحيط المعرفي الإدراكي الذي يتم الاعتماد عليه في تأويل أي نصّ. تهدف نظرية الملاءمة، التي ترتكز على مفهومي الجهد المبذول في عملية الفهم والآثار السيّاقية المحققة من جرّاء ذلك، في المقام الأول إلى تقديم إطار لوصف العملية التواصلية

والإسهام في عملية التأويل. وفيما يتعلق بتفسير الآلية التي يتحقق من خلالها الفعل التواصلي، فإن هذه النظرية تفيد بأن التواصل هو عملية ذهنية معرفية تعمل من خلالها أطراف التواصل على تحليل المعلومة ببذل أقل جهد ممكن، على أن يتحقق بالموازاة مع ذلك ربح معرفي أو بمعنى آخر تحقيق أثر تواصلي. وهذا المفهوم هو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها نظرية الملاءمة، و هو ما يطلق عليه «سبيربير و ويلسون» «مبدأ الملاءمة أو المناسبة»

2. مفاهيم في نظرية الملاءمة:

2.1 الجهد المعرفي Cognitive efforts والآثار السيّاقية Contextual effects:

أما الجهد المعرفي فنعبّر من خلاله على الجهد المبذول في تحليل الفعل التواصلي، في حين يحيل مفهوم الآثار السيّاقية على النتائج المترتبة على عملية التأويل التي يخضع لها الفعل التواصلي.

يرتبط الجهد المعرفي بعوامل مختلفة مثل طول الملفوظ أو النصّ و الوصول إلى المعلومات الموسوعية وعدد القواعد المنطقية التي تنطوي عليها الآلية الاستدلالية. أما الآثار المعرفية أو السيّاقية فهي ثلاثة أنواع:إضافة فرضية من خلال تضمين سيّاقي، وتغيير القوة التي يتم من خلالها الاحتفاظ بالفرضية، وإلغاء فرضية ما في حالة إثارتها للتناقض.[3]

وعليه يكون الملفوظ ملائما من خلال إضافة المعلومات، وزيادة من قوة الافتراض التي تؤدي إلى الاحتفاظ بالمعلومة أو استبعادها.

يمكن الاستشهاد بالمثال التالي لـ «جاك موشلير وأنطوان أوشلان» Jacques Moeschler et Antoine Auchlin: (ترجمتنا)[4]

1) Pierre : Où est Max?

بيير: أين هو ماكس؟

Marie: Max est chez lui. Il ya de la lumière dans son salon.

ماري: ماكس في بيته، هنالك ضوء في غرفة الضيوف.

2) Pierre: Je me demande si Max est chez lui ?

بيير: إنني أتساءل إذا كان ماكس في بيته.

Marie: Max est chez lui. Il ya de la lumière dans son salon.

ماري: ماكس في بيته، هناك ضوء في غرفة الضيوف.

3) Pierre: Inutile de vouloir appeler Max. Il est 8 heures, et il ne rentre pas

avant 9 heures.

بيير: من العبث الاتصال بماكس، إنها الساعة الثامنة، و هو لا يعود إلى بيته قبل التاسعة.

Marie : Non, il est chez lui. Il ya de la lumière dans son salon.

ماري: كلاّ، ماكس متواجد في بيته، هناك ضوء في غرفة الضيوف.

في المثال رقم1 يضيف جواب ماري خبرا جديدا حيث إن بيير لا يعرف مكان ماكس فجواب ماري يمنحه معلومة جديدة. أما في المثال رقم2 فيشير بيير إلى أنه لا يعلم إذا كانت جملة: ?Max est chez lui

تحتمل الصدق أو الكذب، ليأتي جواب ماري ليعزز قوة الافتراض بأن ماكس متواجد في بيته مما يدفع بتصديق بيير لهذا الافتراض. أما المثال رقم3 فإن جواب ماري: كلاّ إن ماكس متواجد في بيته يؤدي إلى استبعاد بيير للاعتقاد بأن ماكس غير متواجد في بيته. وعليه فإن تسليم بيير بصدق أجوبة ماري يؤدي به إلى تغيير اعتقاده و بالتالي التسليم بأن ماكس متواجد في بيته.[5] وهكذا فإنّ درجة الملاءمة التي يتضمنها الملفوظ أو النصّ تقاس بكمّ الآثار السيّاقية المنتجة والجهود المعرفية المبذولة؛ فكلما أنتج الملفوظ آثارا سيّاقية معتبرة و تطلّب جهودا معرفية قليلة كان على درجة كبيرة من الملاءمة. و تختلف الملاءمة من شخص إلى شخص آخر، فما يمكن لبيير مثلا، كما في المثال السابق، اعتباره ملائما يمكن لماري ألا تعتبره ملائما.

تكون المعلومة ملائمة لفرد ما عندما يؤدي تحليلها في سيّاق الافتراضات المتوفرة إلى إنتاج أثر معرفي إيجابي (positive cognitive effect) على غرار الاستنتاجات الصحيحة التي قد يتوصل إليها الفرد، على عكس الاستنتاجات الخاطئة و التي تنتج بدورها آثار سيّاقيا إلاّ أنها لا تتسم بالايجابية.[6]

ما يجعل الإنسان، وفقا لنظرية الملاءمة، يختار معلومة بعينها من ضمن مجموعة واسعة من المعلومات لا يتوقف فقط على أنها ملائمة، و إنّما لأنها الأكثر ملاءمة قياسا إلى غيرها من المعلومات المتاحة في الوقت نفسه؛ متى تساوت معلومتان مثلا فإن تلك التي يؤدي تحليلها إلى نتائج مهمة هي التي تكون أكثر ملاءمة. فالمعلومة التي يؤدي تحليلها إلى إنتاج كم كبير من الآثار السيّاقية الإيجابية، هي المعلومة التي تتوفر على درجة كبيرة من الملاءمة.

2.2 جهود التحليل أو المعالجة: Processing efforts:

لا يتوقف اختيار المعلومة من ضمن مجموعة واسعة من المعلومات فقط على الأثر المعرفي أو السيّاقي الذي تنتجه، ففي ظروف يمكن أن يكون ذات المثير الاظهاري(الملفوظ أو النصّ) بارزا بدرجة كبيرة أو بدرجة بسيطة، كما يمكن الوصول للافتراضات السيّاقية نفسها بسهولة أو بصعوبة، و يمكن الحصول على الآثار السيّاقية بكل سهولة أو العكس. فعندما تتساوى عدّة مدخلات، وفقط لنظرية الملاءمة، فإن تلك التي تتطلب جهدا كبيرا في تحليلها تكون أقل ملاءمة بالنسبة للمتلقي. و عليه فإن الملاءمة تقاس من خلال الآثار المعرفية أو السيّاقية المحققة (Cognitive effects) والجهود التحليلية المبذولة (Processing efforts):

أ. عندما تتساوى عدّة معلومات في الوقت نفسه فإن تلك التي تنتج أكبر كم ممكن من الآثار المعرفية تكون الأكثر ملاءمة بالنسبة للمتلقي.

ب. عندما تتساوى عدّة معلومات في الوقت نفسه فإن تلك التي تتطلب جهدا تحليليا كبيرا تكون الأقل ملاءمة بالنسبة للمتلقي.[7]

2.3 الملاءمة المثلى Optimal Relevance:

يقترح سبيربير و ويلسون مفهومين أساسيين للتواصل. أما المفهوم الأول فيتمثل في الملاءمة المثلى حيث إن كل فعل تواصلي يمكن أن يبلغ الملاءمة المثلى عندما يحقق مجموعة كافية من الآثار السيّاقية ببذل أقل جهد لمعالجة الأقوال و الرسائل و تحليلها. ليقترحا من بعد ذلك ووفقا لمفهوم الملاءمة المثلى «مبدأ الملاءمة» حيث إن: كل فعل تواصلي إظهاري استدلالي يسعى إلى أن يحقق الملاءمة المثلى، و في المحصلة إن نجاح العملية التواصلية مرهون بالتحكم في مبدأ الملاءمة.[8]

ومن هذا المنطلق فإن أطراف العملية التواصلية تتواصل فيما بينها وفقا لهذا المبدأ حيث ينبغي على المتكلم أو المرسل بعث الأقوال و الرسائل التي يعتقد أنها ملائمة للمتلقي الذي يفترض بدوره أن المرسل أو المتكلم يسعى دائما إلى تحقيق الملاءمة في كل ما يصدر عنه من أقوال و رسائل. و هكذا ينتقي المتلقي الافتراضات السيّاقية التي يبذل في معالجتها أقل جهد و وقت ممكن مع الأخذ في الحسبان أيضا كم الآثار السيّاقية التي يمكن تحقيقها ليتمكن من ثم و بنجاح تحصيل المعنى الذي يتوسم المرسل أو المتكلم إيصاله.

يفترض هذا التفسير الذي قدماه الباحثان للطريقة التي تتم من خلالها العملية التواصلية أن الفهم عملية استدلالية وليس عملية فك التشفير للعلامات

اللسانية. هذا يعني أن فهم المعنى الذي يحمله القول أو الرسالة لا يتعلق بمعرفة نحو وقواعد الجملة أو القول فقط، وإنما يجب أن يضاف إليها العناصر التداولية للسيّاق، والآثار السيّاقية، والملاءمة أو ما يطلق عليها العمليات الاستدلالية.

يكون المثير الاظهاري(النصّ أو القول) على درجة مثلى من الملاءمة بالنسبة للمتلقي فقط عندما يكون ملائما إلى الدرجة التي يستحق من خلالها أن يبذل المتلقي جهدا تحليليا من أجل فهمه. فمن أجل إقناع المتلقي بافتراض الملاءمة الذي ينطوي عليه مثير إظهاري ما، لابد من أن يتوصل إلى استنتاجات مهمة؛ فعندما يضع الضيف مثلا الصحن الفارغ أمام المستضيف فإن هذا الأخير قد يفهم أن الضيف يريد المزيد من الطعام، ولكن عندما يحمل الضيف الصحن فيفهم مباشرة أنه يريد المزيد من الطعام.

يقدم كل من مبدأ التواصل في نظرية الملاءمة و كذا الملاءمة المثلى إجراءا عمليا من أجل تكوين فرضية حول المعنى الذي تحمله رسالة المتكلم حيث يتعين على السامع أن يتحصل على المعنى بعد تفكيك العلامات اللسانية المكونة للجملة بأقل جهد ممكن على أن يعزز هذا المعنى على المستوى التصريحي و يدعمه على المستوى التضميني إلى أن تحقق عملية التأويل التوقعات بالملاءمة التي يتوخاها السامع:

1. لابد من أن تتحقق صفة الملاءمة في مجموعة الافتراضات التي ينطوي عليها ملفوظ ما والتي يهدف المرسل طرحها على المتلقي ملائمة بما فيه الكفاية مما يمكن هذا الأخير من تحليل المثير الاظهاري الاستدلالي.

2. لابد من أن يكون المثير الاظهاري الاستدلالي(النصّ أو الملفوظ) الأكثر ملاءمة بالنسبة للمرسل الذي يمكن أن يوظفه في الملفوظ الذي يود تمريره للمتلقي.[9]

فمن المتوقع أن يوظف المرسل المثير الذي يمكّن المتلقي من الوصول إلى الفرضية الأولى المقصودة من قبل المرسل، لا أن يجعله يختبر جميع الفرضيات من أجل الوصول إلى الفرضية المتوخاة.

2.4 السيّاق في نظرية الملاءمة:

يرتبط مفهوم السيّاق في حدود نظرية الملاءمة بالمتلقي بالدرجة الأولى الذي يخضع المعلومات الجديدة التي يتلقاها للمقارنة مع تلك المخزنة في ذهنه و ذلك بهدف استحضار الآثار السيّاقية المناسبة التي تمكنه من ربط المعاني التي توصل إليها من خلال الاستدلال بالمقاصد المتكلم أو الكاتب.

من المتعارف عليه أنّ نجاح الفعل التواصلي يتوقف على ما يتقاسمه المرسل

والمتلقي من معرفة مشتركة لجميع المعلومات السيّاقية الضرورية من أجل تأويل القول أو الرسالة. إلا أن «سبيربير وويلسون» يجدان أنه من الصعب التسليم بهذه الفكرة؛ فحتى إذا تقاسم المرسل والمتلقي المحيط المادي نفسه، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أنهما يحملان التمثيلات نفسها حوله حيث إننا لا نبني في أذهاننا التمثيلات ذاتها وذلك بسبب الاختلافات في محيطاتنا المادية الضيّقة من جهة، وبسبب قدراتنا الإدراكية المعرفية من جهة أخرى؛ فقدراتنا الحسية تختلف من حيث الفاعلية من شخص إلى شخص آخر، وبدورها تختلف قدراتنا الاستدلالية من شخص إلى شخص آخر، وعليه يعتبر مفهوم السيّاق في نطاق نظرية الملاءمة مفهوما شاملا حيث لا يقتصر فقط على المعلومات حول المحيط المادي أو الأقوال التي تم التلفظ بها، و إنما ينطوي أيضا على التوقعات حول المستقبل و الفرضيات العلمية و المعتقدات الدينية والافتراضات حول الثقافة العامة و الأفكار حول الحالة الذهنية للمتكلم.إنّ السيّاق، وفقا لهذه النظرية، وحدة معرفية إدراكية يتم التعامل معها على أساس الاختيار حيث لا يتم تحديده من خلال الحالة المادية أو التعبير بالعلامات اللسانية، و إنما من خلال ما ينتقي السامع أو المتلقي من هذه المعلومات؛ فالسيّاق بنية نفسية، إنه مجموعات الافتراضات التي يحملها المتلقي في ذهنه حول العالم.[10]

وهكذا فإنّ المتلقي يعالج أي افتراض جديد ضمن سيّاق محدد حيث يرمي من وراء تلك المعالجة إلى فهم هذا الافتراض الجديد من خلال ربطه بمجموعة الافتراضات التي يحملها في محيطه المعرفي الإدراكي. يمكن للافتراض الجديد أن ينضم إلى مجموعة الافتراضات السابقة المشكلة للسيّاق فيعزز من قوتها و ذلك في حال كان على توافق تام معها، إلاّ أنّه من الممكن أن يتناقض الافتراض الجديد مع الافتراضات السابقة ضمن سيّاق المعالجة؛ ووفقا لدرجة قوّة الافتراض الجديد فإنّه قد يؤدي إلى إضعاف الافتراضات السابقة أو إلى دحضها تماما. أمّا إذا كان الافتراض الجديد ضعيفا قياسا إلى الافتراضات الموجودة، فإنّه لا يتم استيعابه في السيّاق المعرفي الإدراكي مما قد يؤدي إلى دحضه. وعليه عندما يؤدي أي افتراض جديد إلى التأثير في للمتلقي، يكون هذا الافتراض قد حقق آثارا سيّاقية لدى المتلقي.

إنّ السيّاق الذي تتم فيه معالجة أي افتراض جديد يشكل مجموعة جزئية فقط من مجموعة الافتراضات التي يحملها المتلقي في ذهنه حول العالم، أي أنّ المقارنة بين الافتراض الجديد و مجموعة الافتراضات السابقة لا يشمل جميع الافتراضات التي يحملها المتلقي في ذهنه حول العالم أثناء الفعل التواصلي القائم على الافتراض الجديد، و إنما يقتصر فقط على مجموعة جزئية من الافتراضات.[11] يطرح عند هذا

المستوى التساؤل حول الكيفية التي يتم من خلالها انتقاء هذه المجموعة الجزئية من الافتراضات التي تتم في حدودها معالجة الافتراض الجديد وتحليله. يقول سبيربير وويلسون إنّ استحضار هذه المجموعة الجزئية الممثلة في السيّاق لا يتحقق خلال كامل العملية التواصلية، و إنما يتم استحضاره من خلال الافتراض الجديد حيث يسهم محتوى هذا الافتراض في انتقاء السيّاق الملائم لمعالجته. يكون الافتراض الجديد ملائما بالنسبة للمتلقي عندما يحقق له كمّا من الآثار السيّاقية في حدود سيّاق معين.

2.4.1 اختيار السيّاق:

يتوقف اختيار السيّاق على عدّة عوامل من ضمنها تمكن المتلقي من الوصول إلى الافتراضات الضرورية لمعالجة الأقوال و تحليلها و الذي يعد شرطا أوليا لنجاح العملية التواصلية. إن الافتراضات الضرورية لمعالجة قول ما لابد أن تكون ضمن المحيط المعرفي الإدراكي للمتلقي حيث يكون المتلقي عند استقباله للقول قادرا على رسم السيّاق الذي يمكن أن يفهم من خلاله القول الجديد من خلال معالجة افتراض خاص وتحليله في محيطه الإدراكي المعرفي. يخضع المتلقي إذن أية رسالة يستقبلها ، مكتوبة كانت أم شفهية، إلى التحليل و المعالجة ضمن محيطه المعرفي الإدراكي حيث يتم رسم السيّاق المناسب من خلال انتقاء مجموعة من الافتراضات. إلا أن هذا الاختيار لا يتم بطريقة عشوائية و إنما يتوقف انتقاء السيّاق على المعرفة الموسوعية للفرد و النشاط الذهني، تسهم هذه العوامل في اختيار سيّاق محدد من ضمن مجموعة من السيّاقات المحتملة.[12]

2.5 التماثل التأويلي بين الصيغ القضوية:

>تتبلور الأفكار وفقا لنظرية الملاءمة في شكل تمثيلات ذهنية تتجسد في صيغ قضوية يمكن توظيفها للربط بين تلك الأفكار و حقائق حول العالم المحيط بنا. تسمى هذه الطريقة للتفكير في التمثيلات الذهنية بالاستعمال الوصفي للتمثيلات.[13] تتبلور الأفكار في أذهاننا، من جهة أخرى، من خلال الصيغ القضوية(propositional forms) التي تتميز بأنها تتضمن خصائص منطقية و التي من خلالها تتناقض الصيغ القضوية فيما بينها، و يستدعي بعضها البعض و تدخل في علاقات منطقية فيما بينها. يمكن أن تتقاسم صيغتان قضويتان بعض الخصائص المنطقية ذلك أن كافة الصيغ القضوية تتضمن خصائص منطقية. و عليه يمكن القول إن التمثيلات الذهنية التي تتقاسم فيها الصيغ القضوية الخصائص المنطقية تتشابه فيما بينها بفضل هذه الخصائص المنطقية المشتركة. يسمى هذا التشابه بين الصيغ القضوية أو التماثل التأويلي. تتشابه صيغتان قضويتان ومن ثم فكرتان أو ملفوظان تأويليا في سيّاق محدد بالقدر الذي

يتقاسمـــــــان فيه الاستلزامات التحليلية والسيّاقية في حدود ذلك السيّاق.[14] أما الاستلزامات التحليلية فتتمثل في الاستلزامات التي تم التوصل إليها من خلال عملية استنتاجيه تم الاعتماد فيها على التطبيق القواعد التحليلية فقط حيث تستند القاعدة التحليلية على افتراض واحد فقط.[15]

مثال لتوضيح التماثل التأويلي بين الصيغ القضوية:

1) اشترى عمر سيارة مرسيدس.

2) اشترى أحمـــــــــد سيارة.

3) اشترى عمـــــــــر شيئا ما.

لنفترض أن هذين المثالين يعبران عن أفكـــار محددة، وعليه يمكن أن نستنتج من المثالين ما يلي: اشترى أحدهم سيارة.

لكن يختلف المثالين على مستوى خصائص أخرى؛ فالمثال3 يمكن استنتاجه من المثال1 وليس من المثال2. وعليه يتميز التماثل التأويلي بين التمثيلات الذهنية باختلاف درجاته. يمكن لفكرتين وردتا في سيّاق محدد أن تتشابها تأويليا إذا تقاسمتا بعض متضمنات القول السيّاقية في حدود هذا السيّاق.[16]

4) زميلي يرضى بالأشياء الجميلة فقط.

أ) الشخص الذي يشتري سيـــارة مرسيدس لديه المال لينفقه على ذلك.

ب) الشخص الذي يهتم بالأشياء الثمينة لديه المال ليشتري تلك الأشياء.

5) عمر زميلي.

يمكن القـــــــول إن الجملة 4 تتشابه من حيث التأويل مع الجملة 1 في سيّاق الجملة 5.

يبدو جليا أن الجملة1 والجملة4 لا تتقاسمان متضمنـــــات القول التحليلية نفسها، لكـــــــن تؤديان وضمن سيّاق الجملة5 إلى استنتاج الآثر السيّاقي نفسه: عمـــــر يملك المال.

بناء على علاقات التشابه التأويلي بين التمثيلات الذهنية يمكن للذهن البشري أن يتصور فكرة ليس من خلال صدقها أو علاقتها بالأحداث، و إنما من خلال التشابه التأويلي بينها و بين تمثل ذهني آخر. يسمى هذا الاستعمال للتمثيلات في نظرية الملاءمة بالتماثل التأويلي.[17]

2.6 التماثل التأويلي في مجال الترجمة:

يسعى المترجم إلى إنتاج نص هدف يتضمن جميع الافتراضات التي كان صاحب النصّ الأصل يهدف إلى إيصالها لقارئ النصّ الأصل. تستند عملية التأويل في إطار نظرية الملاءمة على مفهومي التصريح والاستلزام حيث يتوقف نجاح الترجمة على مدى قدرة المترجم على مساعدة القارئ الهدف على التوصل بالتأويل نفسه الذي حققه القارئ الأصل بعد قراءته للنصّ الأصل. إلا أن نجاح المترجم في تحقيق ذلك مرتبط بقدرته على تزويد القارئ الهدف فقط بالمعاني التصريحية و المعاني الضمنية التي كان يقصد صاحب النصّ الأصل تمريرها للقارئ الأصل.[18]

لابد أن يحرص المترجم خلال العملية الترجمية أن يحقق النصّ الهدف الملاءمة بالنسبة للقارئ الهدف بحيث يفضي التماثل التأويلي بين النصّ المترجم والنصّ الأصل إلى تحقيق الملاءمة لدى القارئ الهدف و ذلك من خلال إنتاج آثار سيّاقية ملائمة. يطرح السؤال عند هذا المستوى حول الطريقة التي تمكن المترجم من تحقيق مبدأ الملاءمة في النصّ المترجم؛ يرى ارنيست جوت أنه على المترجم البحث عن الطريقة التي تسمح له بجعل النصّ الهدف يفضي إلى التأويل المقصود من قبل صاحب النصّ الأصل مع بذل أقل قدر من الجهود التحليلية من قبل القارئ الهدف مع التركيز على عنصر السيّاق ذلك أن مبدأ الملاءمة يقوم بالأساس على هذا العنصر.[19]

3. أمثلة تطبيقية عن التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ الهدف:

نستعين في هذا القسم من البحث ببعض الأمثلة التطبيقية للوقوف على مدى أهمية تحقيق التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ الهدف لنجاح الترجمة:

1) An idea not to be sniffed at.

لا يتم التوصل إلى المعنى وفقا لنظرية الملاءمة من خلال نموذج الترميز و فك الترميز، وإنما من خلال الاستدلال. ففي المثال1 لا تنقل الجملة المعنى الحرفي لكل كلمة؛ فالمعنى المقصود من كلمة sniffed ليس المعنى الحرفي (يشم أو يستنشق):

2) An idea must not be smelled.

يؤدي فك الترميز عن الكلمات المشكلة للجملة الانجليزية إلى ترجمة حرفية لا تنقل المعنى المقصود، كما أنها تجعل القارئ العربي يبذل جهدا غير ضروري في معالجتها لأن الترجمة يكتنفها الغموض.

أما في حال استطاع المترجـــــــم تأويل الجملة تأويلا صحيحا، فسيتوصل إلى المعاني الضمنية التالية:

المثال الأوّل:[20]

a) The idea must not be derided.

لا يمكن الاستهزاء بهذه الفكرة.

b) The idea must not be made fun of.

لا يمكن الاستهزاء بهذه الفكرة

c) The idea must be respected.

لا بد أن تحظى هذه الفكرة بالاحترام.

بعد أن يتوصل المترجم إلى هذه المعاني الضمنية من خلال عملية التأويل، فإنه يتعين عليه نقل المعنى في اللّغة الهدف على نحو يحقق فيه التماثل التأويلي مع المعنى المعبّر عنه في اللّغة الأصل:

3) لا يمكن الاستهزاء بهـــــــذه الفكرة.

4) لا بد أن تحظى هذه الفكرة بالاحترام.

تتشابه الترجمتين3 و 4 من حيث التأويل مع المعنى المعبر عنه في الجملة1، وبهذا تحقق الترجمة الملاءمة للقارئ الهدف حيث حققت له آثارا سيّاقية و لم تجعله يبذل جهود معالجة غير ضرورية.

المثال الثاني: مقطـــــع من رواية The Virgin and the Gipsy لـ David Herbert Lawrence

I am fined one guinea. And I with that I wash the ashes out of my hair. [21]

1. أنا محكوم بغرامة جنيه وبذلك أنفض الرماد عن شعري.(ترجمة خالد حدّاد).
2. أتغرم جنيها واحدا وبذلك أكفر عن ذنبي.(ترجمة زكي الأسطا).

نلاحظ أن ترجمة زكي الأسطا تحقق التماثل التأويلي مع المقطع الأصل على عكس ترجمة خالد حدّاد. أما تفسير ذلك فيكمن في الطريقة التي تعامل كل منهما مع عبارة: I wash the ashes out of my hair. هذه العبارة المستمدة من الكتاب المقدس. نلاحظ أنّ ترجمة خالد حدّاد لا تحقق التماثل التأويلي و لا تحقق بالتالي الملاءمة للقارئ العرب غير الملّم بالديانة المسيحية، فالترجمة موجّهة بالأساس إلى جمهور قراء ينتمي في غالبيته إلى الدّيانة الإسلامية. تجعل هذه الترجمة القارئ العربي يبذل جهدا تحليليا من أجل فهمها و قد لا يفهما، و عليه نقول إنّ هذه الترجمة لا تتماثل تأويليا مع المقطع الأصل و لا تحقق بالتالي الملاءمة للقارئ الهدف. على عكس خالد حداد، نجح زكي الأسطا في تحقيق التماثل التأويلي مع المقطع الأصل و ذلك باعتماده على تقنية الشرح

حيث شرح المعنى الذي تحمله عبارة I wash the ashes out of my hair. (التكفير عن الذنب) و بهذا جعل القارئ العربي يتوصل بالمعنى المقصود من قبل الكاتب دون بذل جهد تحليلي كبير. تتماثل ترجمة زكي الأسطا من حيث التأويل مع المقطع الأصل فتحقق بالتالي الملاءمة للقارئ العربي.

المثال الثالث(من تأليفنا):

The British tourists prefer travelling to the continent to spend their summer holiday.

الترجمة الحرفية: يفضل السيّاح البريطانيين السفر إلى القارة من أجل قضاء عطلتهم الصيفية.

تطرح كلمة continent إشكال بالنسبة للمترجم لأنّ ترجمتها بما يقابلها حرفيا(القارة)، يجعل الترجمة غامضة بالنسبة للقارئ العربي فأي قارة مقصودة في الجملة الأصل. هذا ما يدفع بالقارئ الهدف إلى بذل جهد كبير في معالجة الجملة المترجمة من أجل التوصل إلى المعنى المقصود.

يتعين على المترجم في هذه الحال تأويل الجملة الأصل تأويلا صحيحا بحيث يتوصل إلى أن الانجليزي يستعمل كلمة continent للإحالة على أوروبا. و عليه نتوصل إلى الترجمة التالية:

يفضل السياح البريطانيون السفر إلى أوروبا لقضاء عطلتهم الصيفية. وهي الترجمة التي تتماثل تأويليا مع الجملة الأصل. تحقق هذه الترجمة الملاءمة للقارئ الهدف(العربي) لأنها تتشابه من حيث التأويل مع الجملة الأصل، كما أنها تجعله يحقق أثرا سيّاقيا جديدا(تحيل كلمة continent في الثقافة الانجليزية على قارة أوروبا) دون بذل جهد معالجة غير ضروري.

تبرز أهمية التماثل التأويلي أيضا في ترجمة النصّوص التي تحمل معاني متصلة بالثقافة؛ ففي مثل هذه النصّوص لا يمكنّ فك ترميز العلامات اللّسانية المترجم من تحصيل المعنى المقصود، و إنما عليه الاعتماد على الاستدلال الذي يرتبط بدوره بعنصر السيّاق حتى يتمكن من بلوغ المعنى المقصود.

المثال الرابع: يضرب المثل في الجمال في اللّغة العربية بالقمر؛ نورد فيما يلي المثال الشائع للتعبير عن الجمال في الثقافة العربية: جميلة مثل القمر فنقول مثلا:

لقد رأيت ليلى وكانت مثل القمر؛ فالقمـــــر كان بمثابة المصدر الوحيد للنور والضوء

بالنسبة العرب القدمـــــــــاء الذين كانوا يسكنون الصحراء، و هكذا جعلوا منه رمزا للرومنسية والحب والجمال.

يؤدي الاعتماد على فك الترميز عن الجملة العربية إلى الترجمة التالية:

1) I saw Layla, she was as a moon.

تبدو هذه الترجمة غامضة بالنسبة للقارئ الهدف(الانجليزي) غير الملمّ بالثقافة العربية لأن كلمة moon لا تعبّر عن الجمال في الثقافة الانجليزية، كما أن الجملة لا تتضمن كلمة سيّاقية أخرى (مثلا توظيف صفة جميلة:beautiful) والتي يمكن أن تحيل القارئ الانجليزي على أنّ كلمة moon ترمز إلى الجمال في اللّغة العربية:

I saw Layla, and she was as beautiful as the moon.

فحتى وإن وضحت هذه الترجمة المعنى إلى حدّ ما، فإنها تجعل القارئ الانجليزي يبذل جهد معالجة كبير في إضافتها إلى محيطه المعرفي ذلك أن كلمة moon لا ترمز إلى الجمال في ثقافته الانجليزية كما ذكرنا آنفا مما يجعل هذه الترجمة لا تحقق مبدأ الملاءمة الذي تقوم عليه نظرية الملاءمة.

وعليه يتعين على المترجم أولا تأويل الجملة تأويلا صحيحا ثم يبحث عن التأويل الذي يماثله في الثقافة الهدف. فالتأويل يمكّنه من إيجاد المكافئ لكلمة القمر ضمن سيّاق التعبير عن الجمال في الثقافة الانجليزية؛ فيتوصل إلى الترجمة التالية مثلا:

2) I saw Layla and she was as beautiful as a flower.

تتشابه هذه الترجمة من حيث التأويل مع الجملـــــــة الأصل، كما أنها تحقق الملاءمة للقارئ الهدف بحيث لا تجعله يبذل جهد معالجة غير ضروري، على عكس الترجمة الحرفية في الجملة1 التي لا تحقق للقارئ الانجليزي مبدأ الملاءمة.

المثال الخامس:[22]

A hugely popular in his company, owlish man in his 60s, Mr John is going to lead the discussions with the rival companies to defend the interests of his company.

بعد القراءة الأولى لهذه الجملة يبدو لنا أنّها سهلة للترجمة ذلك أنها لا تتضمن كلمات صعبة فمن الممكن أن نعتمد فقط على فك الترميز بمعنى البحث عن مقابل كل كلمة في اللّغة العربية فنتوصل إلى الترجمة التالية:

يحظى السيد جون بشهرة واسعة في الشركة التي يعمل بها؛ و هو شخص في الستين من عمره يشبه البومة و هو الذي سيمثل شركته في إدارة المحادثات مع الشركات المنافسة.

تغفل هذه الترجمة معنى مهم تضمنته الجملة الانجليزية من خلال توظيف صفة owlish المشتقة من كلمة owl(طائر البوم) التي ترمز للحكمة في الثقافة الانجليزية، على عكس الثقافة العربية حيث يضرب بهذا الطائر المثل في الشؤم و قبح الصورة والصوت. تبين هذه الترجمة أن النتائج التي تفضي إليها العملية التأويلية تشكل الأساس الذي ينطلق منه المترجم خلال العملية الترجمية، و أن التشابه أو التماثل بين النصّ الأصل و النصّ يجب أن يتحقق على المستوى التأويلي. لنفترض أن المترجم نجح في تأويل كلمة owlish و ذلك بوضعها في سيّاقها الثقافي، فإن ذلك سيجعله يتوصل إلى ترجمة ناجحة تحقق الملاءمة للقارئ الهدف لأن ترجمتها ب «شكله يشبه البومة» لا تحقق مبدأ الملاءمة بالنسبة للقارئ الهدف، على عكس ترجمتها ب «رجل حكيم» التي تحقق بالفعل الملاءمة للقارئ الهدف و تجعله لا يبذل جهود معالجة غير ضرورية، وعليه نقترح الترجمة التالية:

يحظى السيد جون، وهو رجل في الستينيات من العمر، بمكانة مرموقة داخل الشركة التي يعمل بها. فهو يتحلى بالحكمة و رجاحة العقل ممّا جعله يحظى بتمثيل شركته في إدارة المحادثات مع الشركات المنافسة.

خلاصـــــة:

تقترح نظرية الملاءمة جملة من المفاهيم التي يمكن توظيفها في دراسة الأفعال التواصلية والبحث في مآلاتها؛ يمكن أن ذكر في هذا المقام: مفهوم الملاءمة، والملاءمة المثلى، والسيّاق، والآثار السيّاقية، وجهود المعالجة و التحليل، ومفهوم التماثل التأويلي. تشكل هذه المفاهيم أساسا متينا يمكن أن يستند عليه المترجم خلال العملية الترجمية. لقد حاولنا في هذه الدّراسة الإحاطة بجميع هذه المفاهيم مع التركيز على مفهوم التماثل التأويلي في مجال الترجمة ذلك أن الترجمة عملية تأويلية بامتياز؛ فهي تتجاوز أنموذج الترميز و فك الترميز إلى الاعتماد على الاستدلال و التأويل. و عليه توصلنا في هذه الدّراسة و من خلال الترجمات المرفقة إلى أن الترجمة عملية تأويلية لذلك يتعين على المترجم التركيز خلال العملية الترجمية على التوصل إلى التأويل الصحيح للنصّ المترجم، و من ثم العمل على إيجاد التأويل المشابه أو المماثل له في اللّغة و الثقافة الهدف. عندما ينجح المترجم في تحقيق التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ المترجم، فإنه يجعل القارئ الهدف يحقق آثارا سيّاقية بمعنى أنّه يتوصل إلى مقاصد الكاتب الأصل دون بذل جهود كبيرة في معالجة النصّ الهدف و تحليله. و هكذا يمكننا القول إنّ النصّ الهدف

قد حقق الملاءمة للقارئ الهدف تماما مثلما حقق النصّ الأصل الملاءمة للقارئ الأصل.

الهوامـــــش:

(1) Voir: Sperber & Wilson, Relevance communication and cognition, second edition, Blackwell, Oxford, 1995, p. 8.
(2) Voir: Sperber & Wilson, Op. Cit, p. 9.
(3) Voir: Jacques Moeschler et Antoine Auchlin, Introduction à la linguistique contemporaine, Armand Colin, 3ème édition, 2009, p. 181.
(4) Voir: Jacques Moeschler et Antoine Auchlin, Op.Cit, p. 181.
(5) Voir: Jacques Moeschler et Antoine Auchlin, Op.Cit, p. 181.
(6) Voir: Sperber & Wilson, Op.Cit, p. 3.
(7) Voir: Op.Cit, p. 46.
(8) Voir: George Elia Sarfati, précis de la pragmatique, Armand Colin, 2005, p68.
(9) Voir: Sperber & Wilson, Op.Cit, p. 267.
(10) Voir: Op.Cit, p.15.
(11) Voir: Op.Cit, p.133-132.
(12) Voir: Op.Cit, p.137.
(13) Voir: Op.Cit, p.138.
(14) Idem.
(15) Voir: Sperber & Wilson, Op.Cit, p.104.
(16) Voir: Ernust Gutt, Translation and Relevance: Cognition and Context, Basil Blackwell, Oxford, 1992, p. 59.
(17) Voir: Ernust Gutt, Op.Cit, p. 60.
(18) Voir: Ernust Gutt, Op.Cit, p.152.
(19) Voir: Ernust Gutt, Op.Cit, p.162.
(20) Voir: https:// idioms.thefredictionary.com.
(21) Lawrence. D.H. The Virgin and The Gipsy. New York: Vintage international, 2005, p. 29.
(22) Voir: how did owls come to be associated with wisdom and knowledge? www.quora.com.

إشكالات ترجمة الشعر في ضوء نظرية التلقي

The translate poetry problems in view of the receiving theory

عائشة دوبالة، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر.

ملخّــص

تحتاج ترجمة الشعر نظرا لرهافة مكوناته إلي إعمال الطاقات النفسية والفنية والفكرية الجديرة بالاستثمار في مجال ابتداع الفنون على اختلاف أشكالها التعبيرية، فالترجمة الأدبية غالبا في مجال الإبداع الشعري ظلت تواجه تحديات في تحقيق الكفاءة الأسلوبية والدلالية التي تفرضها خصوصية النص الأدبي.

ونحن من خلال هذه الدراسة، سنسعى إلي التطرق لهذه الإشكالات والتحديات في ضوء نظرية التلقي من حيث الواقع والأسباب، الأمر الذي لا يلغي مسعى الترجمة في محاولة تحسس آثار المؤلف الأصلي أسلوبيا وجماليا.

الكلمات المفاتيح: النص؛ ترجمة الشّعر؛ التحديـــــــات؛ التناص؛ نظرية التلقي؛ الدلالة.

Abstract

The translate poetry needs in view of the generosity of its components to the realization of human psychological and artistic worthy of investment in the field of creativity of different forms of expression, literary translation, often in the field of poetic creativity, continued to face challenges in achieving stylistic and semantic competence imposed by the privacy of the literary text.

Through this study, we will seek to address the most impo tant of these problems in light of the receiving theory in terms of reality and reasons, which does not eliminate the target to feel the effects of the author original methodically and aesthetically.

***Keywords*:** text; translation of poetry; challenges; Intertextuality; receiving theory; significance.

تقديـــــــم:

يعرف عن الترجمة الأدبية بأنها نقل مخصص للنصـــــوص الأدبية بمختلف أجناسها، تتولـــــد عنها معالجة لثلاثة حقول معرفية هي: الترجمة، الفن والثقافة. [1] هذا ما حاولت كتب الترجمة أن توضحه بالاعتماد على نظرية الأدب وتفرعاتها ضمن دراسة الأجناس الأدبية على مدى تجليات تغيراتها المختلفة، وعليه تفرض نظرية الترجمة في الميدان الأدبي على المترجم أن يكون ملما بالدراسات الثقافية والفنية والفكرية حالما يستهدف النص الأدبي للترجمة. [2]

وفي ضوء ما سبق ذكره، يتجسد لنا مسعى الترجمة الأدبية في محاولة تحسس آثار المؤلف الأصلي أسلوبا وجماليا بالنظر إلى السعي نحو تحقيق الكفاءة الأسلوبية والدلالية التي تفرضها خصوصية النص الأدبي. هذا ما ينطبق بالضبـــط أكثر على ترجمة الشعر مقارنة بترجمة الأجناس الأدبية الأخرى.

والإشكالية التي أثارت فضولنا العلمي هنا: ما هي أهم الصعوبات التي يواجهها المترجم عند ترجمته للعمل الإبداعي؟

هذه إشكالية متداخلة، كأن يقول المرء إن نصا شعريا ما هو بالضرورة إلا نص أدبي ينتمي حتما إلى الأعمال الفنية. غير أن حقيقة الأمور ليست كذلك بالنظر إلى الفوارق الموجودة بين القصائد الشعرية.

ذلك أنه يتوجب على الشاعر الفنان المبدع أن يشبع نصه إيقاعا بالقدر الكافي، يسمح له بتوظيف أدوات لغوية فنية وتحويلها إلى أمور للإدراك دلاليا وأسلوبيا.

من هذا المنظور، أصبح الشعر مادة مركبة من مستويين: مستوى لغوي ومستوى صوتي موسيقي تنعكس منه دلالة المستوى الأول؛ وفي ضوء هذا التركيب بين المستويين الصوتي واللغوي، تصبح القصيدة الشعرية نصا فنيا مبنيا بأبيات مؤسسة بالدرجة الأولى على الإيقاع الموسيقي، مما يجعل من هذا النوع النصي منظما ليترك آثاره على المتلقي من زوايا متعـــــددة، مثل اللغة ومستوياتها والدلالة والصرف والصوت.[3]

هذا ما توصلت إلى إبرازه دراســــــات الترجمة الأدبية حول تحديات الترجمة الشعرية وندرتها، مقارنة بترجمة النصوص الأدبية الأخرى.

وعليه، ترجع تحديات الترجمة الشعرية وندرتها إلى أن ملكة الشعر ليست في متناول العامة من المبدعين، كما أن هذه الخصوصية الشعرية تستدعي ترجمة القصيدة الشعرية في ضوء أحكامها المتصلة بالبناء الشعري في حقليه الدلالي والموسيقي الأصلي،

وذلك من أجل التوصل إلى ترجمة الصورة الشعرية.[4]

لقد أصبحت هذه الإشكالات ظاهرة في تاريخ ترجمات الأعمال الشعرية وبنية اللغات، وإمكانية نقل جمالية التلقي وروافد المتعة الفنية في هذا المعنى من لغة إلى أخرى، أو التضحية بجانب الشكل التقاء بالمتعة الكامنة في المعنى أو المحتوى أو التصوير الفني.

إشكالات الترجمة الشعرية:

لقد انشغل المترجمون بترجمة الكثير من النصوص الأدبية منها وغير الأدبية ومن بين النصوص الأدبية التي حظيت بنصيب كبير من الاهتمام القصة القصيرة والرواية والمسرحية أكثر مما حظي به الشعر. وكان لهذا الإهمال أسبابه: فمترجم الشعر يواجه تحديات كبيرة من الناحية الفنية والمادية والنفسية قد لا يواجهها مترجمي نوعيات النصوص الأخرى إلا نادرا، ونظرا لتعدد الإشكالات وتفرع أبوابها يجعل من عملية استعراضها أو إيجاد حلول لها أمرا صعبا، لذلك ارتأيت أن أحدد أهم إشكالات الترجمة الشعرية في ضوء نظرية التلقي على أمل إيجاد حلول مناسبة لها.

1 - ترجمة الانزياح في الشعر:

يشكل الانزياح في الخطاب الشعري مجالا واسعا للتفاعل والتواصل، إذ يؤجج شعور المتلقي وإحساسه بما يسمى اللحظة المفاجأة التي يسببها لدى المتلقي، من خلال مجالات مختلفة؛ في خرق قوانين اللغة وانتهاك نظامها، ليصبح الخطاب عاملا مؤثرا وممتعا، متجاوزا بذلك القاعدة والمعيار والخطاب العقلاني.

فالانزياح كما عرفه محمد ويس هو «استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصورا استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأس»[5]، وبهذا يكون الانزياح من أهم التحديات التي تواجه المترجم في فهم هذه الظاهرة الأسلوبية فهما دقيقا.

ترجمة الانزياح عن طريق نوعية النص:

The River of Life

Thomas Campbell (1777- 1844)

The more we live, more brief appear
Our life's succeeding stages:
A day to childhood seems a year,

And years like passing ages
The gladsome current of our youth
Ere passion yet disorders,
Steals lingering like a river smooth
A long its grassy borders
But as the careworn cheek grows wan,
And sorrow's shafts fly thicker,
Ye stars, that measure life to man,
Why seem your courses quicker?
When joys have lost bloom and breath
And life itself is rapid,
Why, as we reach the Falls of Death,
Feel we its tide more rapid?[6]

توماس كامبل شاعر اسكتلندي اشتهر على نحو خاص بعاطفته الجياشة وعمق إحساسه بالإنسان وقضاياه. وما هذه القصيدة التي بين أيدينا إلا دليل على ذلك. فهو في هذه المقاطع الشعرية ينزاح عن النمط السائد ويستعير للحياة صورة مغايرة هي «النهر»، فيقول إن الإنسان كلما تقدم به العمر أحس بأن كل مرحلة في حياته تمر أسرع من سابقتها. ففي مرحلة الشباب يتدفق هذا النهر في نشوة وفرح، يتوانى أحيانا حيثما أحاطت به الأعشاب الخضراء، قبل أن تكدره وتعكر صفوه عواطف البلوغ وانفعالاته. فهذه الانفعالات العاطفية تلقي بظلالها الكئيبة على وجوهنا فتفقد نضارتها، ويتحول الفرح الغامر إلى خيبة أمل.

وبينما تستمر القصيدة، يقترب نهر الحياة من «شلالات الموت» وينحو الشاعر منحى تأمليا في محاولة منه للبحث عن إجابة للأسئلة الملحة، فيتساءل في المقطع الثالث والرابع: لماذا تحكم علينا أقدارنا بسرعة الرحيل؟ ولماذا عندما تفقد الحياة بهجتها وتغدو مملة ونقترب من شلال الموت، يزداد إحساسنا بسرعة تياره وشدة انحداره؟[7]

القصيدة تزخر بمظاهر الانزياح من الرموز والصور والتشبيهات، فهي برمتها تقوم على مقارنة الحياة بالنهر، وتصف مرحلة الطفولة والشباب ب»التيار النشوان»(Gladsom current) والموت بـ «الشّلال»(Falls of Death).

وبناء على ما تقدم، يمكن اقتراح الترجمة الآتية للمقطع الشعري السابق:

نهر الحياة
(توماس كامبل)

أتدري بأنا كلمـــــــــا طال عمرنا
وجدناه محـــــــدودا قصير المراحل
فيبدو كعـــــــام في الطفولة يومنا،
وكالدهر يمشـــــــي عامنا في تثاقل؟
ويمضي الشباب الغض نشوان مفعما
بأفراحه، قبل اضطـــراب العواطف،
كنهر تهـــــــادى سلسبيلا وناعما
توشيه بالأعشـــــاب حلو الزخارف
ولكن وإذ تذوي الجســـوم وتشحب،
فلما يا نجومـــا عندها العمر يحسب،
تمرن مر الســـــــــــرع المتعجل؟
ترى عندمـــــــا تمسي الملذات خلبا
وتخلو الحيا ممـــــــــا يسر ويمتع
لماذا، إذا صرنـــــــا إلى الموت أقربا،
رأيناه شلالا إلى القـــــــاع يسرع؟[8]

شرح الترجمـــة:

حاولت هذه الترجمة أن تعيد إنتاج الصور والرموز التي استخدمها الشاعر، مثل مقارنة الحياة بالنهر والموت بالشلال. وفي حالة التشخيص التي وردت في المقطع الثالث والتي قدم فيها الشاعر الحزن في صورة شخص يطلق السهام بكثافة (And sorrows shafts fly thicker)، استخدمنا التشخيص ذاته، إلا أننا شبهنا السهام بالوابل (المطر الشديد): «وتأتي سهام الحزن تترى كوابل»، لتعزيز فاعلية الصورة الشعرية.

وتتميز القصيدة أيضا بجو عام مفعم بالعواطف والمشاعر التي تختلف باختلاف مراحل العمر، الأمر الذي يستدعي تجسيد هذا التنوع العاطفي من خلال ما يستخدم من مفردات اللغة وأدواتها. لهذا كان لابد من انتقاء كلمات ذات معاني عاطفية مؤثرة كما في وصف الشباب بأنه «غض» و«نشوان» و«مفعم بالأفراح» وبأنه يمضي «كنهر تهادى سلسبيلا وناعما»، أما أواخر العمر فتلك المرحلة عنوانها «الوهن»، وفيها «تذوي الجسوم وتشحب» وتنهمر «سهام الحزن» انهمار المطر.

وعليه، فالمشكلة تكمن في الحالات التي تتباعد فيها «اللغتان المنقول منها والمنقول إليها أصلا ونحوا وبيانا ومجازا وفكرا»[9]، وحين يكون هذا التباعد بين اللغتين، فإن الاستعارة والمجاز وغيرها من الصور البيانية يظهر فيها خلل حين الترجمة، وبالتالي تبدو هذه الصور البيانية غير مألوفة بالنسبة لمتلقي نص لذا على المترجم اللجوء إلى عملية تحويل تجعل الصورة الفنية ملائمة للذوق الجمالي لدى المتلقي. نظرا لأن الشعر يكتب بدرجة عالية من التفرد ويفسر من قبل المتلقي بدرجة لا يستهان بها من الذاتية، ولذلك فقد يجد مترجم الشعر نفسه في الكثير من الأحيان بحاجة إلى قراءة معمقة عن القصيدة، مناسبتها وأهم ما يميز الشاعر الذي كتبها.

2 - ترجمة التناص في الشعر:

التناص هو تشكيل نص جديد من نصوص سابقة، وخلاصة لنصوص تماهت فيما بينها فلم يبقى منها إلا الأثر.

وموضوع التناص هو «تضمين نص لنص آخر أو استدعاؤه، أو هو تفاعل خلاق بين النص المستحضر والنص المستحضـــــر، فالنص ليس إلا توالدا لنصوص سبقته.»[10] كما ترى جوليا كريستيفا J. Kristéva أن «كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى.»[11]

ومن أمثلة ذلك، قول الشاعر «ألفرد تنسن» من قصيدته «أغنية آكلي اللوتس»، والتي نجدها تتناص مع التراث اليوناني القديم؛ حيث كانت تسمية «آكلي اللوتس» تطلق على قوم كانوا يأكلون زهور هذه النبتة (المسحورة حسب ظنهم)، فينسون واقعهم الفعلي وعلاقاتهم ويعيشون في عالم خيالي:

Here are cool mosses deep,
And through the moss the ivies creep,
And in the stream the long- leaved flowers weep,
And from the graggy ledge the poppy hangs in sleep.[12]

الترجمـــــة:

أغنية آكلي اللوتس
هنا طحالب باردة عميقة،
وعلى الرغم من الطحلب تزحف ألياف
وفي تدفق تبكي الزهور طويلة الأوراق،
ومن الحضيض الجليدي يعلق الخشخاش في النوم

وعليه، يجب على متلقي النص أن يتمتع بكفاءات لغوية عالية ومعارف علمية واسعة تؤهله لمعرفة مصدر التناص سواء كان آية قرآنية أو بيتا شعريا أو رمزا أسطوريا على سبيل المثال. كما يتعين على مترجم النص الحفاظ على نوعية النص من خلال الإشارات التناصية، ومحاولة نقل الموقف الذي أراد المؤلف الأصلي للنص تأديته عن طريق التناص.

فالقصيدة لا يكون لها صدى إلا بتقاطعها مع نصوص أخرى وتداخلها معها.

3 - الحفاظ على مضمون النص الأصلي:

يكثر الحديث في مجال الترجمة عن كيفية الحفاظ على مضمون النص الأصلي ونكهته عند ترجمة النصوص الأدبية بشكل عام والشعر بشكل خاص. ولذا فالإشكال يكمن في تحديد تلك «النكهة» و«الروح» سواء كانت متجسدة في الصور الشعرية أم في بنية القصيدة أم في الانزياح عن النمط السائد، أم في تقاطعها مع نصوص أخرى عن طريق التناص، أم في كل هذه الأمور المذكورة؟

I wandered lonely as a cloud

William Wordsworth (1770- 1850)

I wandered lonely as a cloud
That floats on high o'er vales and hills,
When all at once I saw a crowd,
A host, of golden daffodils;
Beside the lake, beneath the trees,

Fluttering and in the breeze
Continuous as the stars that shine
And twinkle on the milky way,
The stretched in never- ending line
A long the margin of a bay:
Ten thousand saw I at a glance,
Tossing there in sprightly dance.(13)

وليام وردزورث أحد كبار الشعراء الرومانسيين الإنكليز، وقصيدته التي بين أيدينا واحدة من القصائد الجميلة التي كتبها سنة 1804م، وقد أوحت له بها لحظات

كان قد عاشها الشاعر بين أحضان الطبيعة الساحرة في منطقة البحيرات Lake District في شمال غرب إنكلترا.

تتضمن هذه القصيدة أفكارا ودلالات تتعلق بالطبيعة وصلة الإنسان بها، هي أن جمال الطبيعة يمد النفس البشرية بالتفاؤل وحب الحياة، وأن الناس أحيانا تلهيهم مشاغل الحياة اليومية وهمومها عن الاستمتاع بجمال الطبيعة الساحر وما له من أثر بالغ في إنعاش نفوسهم وآمالهم، وأن الطبيعة تمتلك القدرة الذاتية على النمو والازدهار، كما نمت الآلاف من زهور النرجس على امتداد ساحل البحيرة.[14]

فيما يتعلق بالانزياحات البلاغية الواردة في القصيدة، فإن أكثر ما يشد انتباهنا هو التشبيهات والاستعارات التي تكرر استخدامها في مواضع عدة. ففي المقطع الأول يشبه الشاعر نفسه بغيمة هائمة (I wandered lonely as a cloud)وهو بهذا التشبيه أيضا يعطي الغيمة ذاتها خاصية بشرية بإضفائه عليها صفة «الانعزال والشعور بالوحشة»(Loneliness) وكذلك التجوال(Wandering) الذي يستخدم عادة عن الحديث عن البشر. وفي استعارة أخرى يشبه الشاعر «زهور النرجس» بحشد من الناس باستخدامه عبارة:a crowd..of – golden daffodils في السطرين الثاني والثالث.

الترجمـــــة:

كنت في دربي وحيدا هائما مثل السحاب

(وليام وردزورث)

كنت في دربي وحيـدا هائما مثل السحاب
في سما الوديـــان إذ يبحر أو فوق التلال،
عندما أبصرت حشدا من الأزاهير الرطاب،
في حقول النرجـس الذهبي فتان الجمال؛
في ضفاف البركة الجذلى وفي ظل الشجر
حركت فيه النسيمـــات شجونا فازدهر

***

مثلما ينبض بالضوء البهي المؤنس
موكب للنجـــــم في درب طويل،
غطت الدرب زهـــــور النرجس
في جوار النهـــــر، إن مال تميل:

أبصـــرت عيني آلافا وآلافا بلمحة
يتر اقصن بغنج يملأ الأجواء فرحة[15]

قصيدة وردزورت هذه، تعكس دور اللغة في تجسيد التجربة التي يعيشها الشاعر والاستجابة الانفعالية لتلك التجربة. ولذلك وجدنا لزاما علينا في ترجمة هذه القصيدة أن نولي اهتماما خاصا للوظيفة الجمالية للغة وأدوات التعبير البلاغي فيها لخلق أفضل مستوى ممكن من التعادل الأسلوبي بين النص الأصلي والنص المترجم.

4 - الترجمة الحرفية للشعر:

يتعين على مترجم النص الشعري أن يؤمن بمبدأ الخسارة والربح أثناء عملية الترجمة، إذ لابد للقصيدة أحيانا أن تفقد الكثير من معانيها ودلالاتها وأن تكتسب في أحيان أخرى الكثير من المعاني والدلالات الإضافية أثناء الترجمة. والمترجم المتمكن هو المترجم الذي لا يسعى إلى الترجمة الحرفية التي تقف عاجزة أمام الشعر وإنما هو ذلك المترجم الذي يسعى جاهدا إلى تقليص درجة الربح والخسارة إلى أقل تقدير ممكن. [16]

ومن أمثلة ذلك نذكر الرباعية الأولى من سونيتة الشاعـــر والمسرحي الإنجليزي وليام شيكسبير رقم 60:

Sonnet 60 : **Like as the waves make towards the pebbled shore**
William Shakespeare (1564- 1616)

Like as the waves make towards the pebbled shore,
So do our minutes hasten to their end,
Each changing place with that which goes before
In sequent toil all forwards do contend

Nativity, once in the main of light,
Crawls to maturity, wherewith, being crowned,
Crooked eclipses gainst his glory fight
And Time that gave, doth now his gift confound

الترجمـــــة:

السونيتة 60: **كالموج في جريه للشاطئ الحصب**
(وليام شيكسبير)

كالموج في جريه للشاطئ الحصب،

تمضي دقائقنـــــا والعمر يختزل؛
إذ موجة تقتفـــي أخرى وفي دأب،
بعض يسابـــــق بعضا علها تصل
يأتي الوليد كقرن الشمس في الأفق،
حتى إذا ما ارتقـى نحو الذرى حجبا،
إن الكســوف خصيم النور والألق؛
والدهر يأخـــــذ ما أعطى وما وهبا[18]

هذه الترجمة، كما يلاحظ القارئ، ترجمة شعرية موزونة ومقفاة، ونمط التقفية فيها هو ذاته الذي استخدمه شيكسبير في قصيدته، وعلى صعيد اللغة المجازية تكاد الترجمة تطابق الأصل تماما فيما استخدم من تشبيهات واستعارات وبلغة شعرية تعطي الإحساس بأن القصيدة تبدو كأنها كتبت باللغة العربية. وقد تطلب ذلك اختيار كلمة دون أخرى وإن كانتا شبه مترادفتين في المعنى، فمع أن كلمة «الزمن» أو «الزمان»، مقابل الكلمة الإنكليزية (Time)، مثلا تستخدم في اللغتين وبمعان وسياقات متقاربة، إلا أننا نجد كلمة «الدهر» أشد منها وقعا وأعمق أثرا في نفس المتلقي العربي.[19]

لقد أدى عدم التوصل إلى تحقيق كمالية الترجمة المنشودة إلى وضع الترجمة الأدبية على قواعد علمية تجسد بها الإجراءات التطبيقية أثناء العمليات الترجمية المختلفة. ومن ثمة ظهرت نظريات متعددة ومتنوعة، تعددت في خضمها المناهج الترجمية ضمن ما تم تسميته بـ «نظرية الترجمة».

وقد تجسد بالفعل هذا المبتغى العلمي الترجمي من خلال التفاعل الذي حدث بين الدراسات الثقافية واللسانية والأدبية ضمن الاختلاف والتعدد المنهجي للترجمة، وظفت ضمنها ممارسات ترجمية علمية متنوعة على مختلف النصوص الأدبية، وذلك بتوفير استراتيجيات ترجمية متنوعة تعود على المترجم بالفائدة. ومن بين تلك النظريات والمناهج نذكر:

أ- الترجمة في ضوء نظرية التلقي:

يعود سر الاهتمام بالمتلقي في نظرية التلقـــي إلى احتواء الفعل القرائي لعدة استجابات عملت على توطيـد دعائم النقلة النقدية بتسليط الضوء على تعامل المتلقي مع ما يقرأ. ومقابل ذلك، نجد أن نظرية التلقي في الترجمة الأدبيـــة تولي اهتماما بارزا بالنص والمتلقي (القارئ) مع الأخـــــذ بعين الاعتبار التفاعل الذي يحدث بينهما من وجهة نظر إيزر Iser الذي يعتمد على ثلاثة مظاهـــر: النص، صيرورة القراءة والظروف

المتحكمة في تفاعل النص مع القارئ.[20]

ومن هذا المنطلق الجديد حول العلاقة بين الترجمة الأدبية ونظرية التلقي بالعمل الأدبي، تتولد فكرة الفهم الناتج عن الآفاق التأويلية لدى المتلقي.

ب- الترجمة في ضوء المنهج التأويلي:

ولأن النص الأدبي هو مزيج من العوامل والقيم الأسلوبية الجمالية تأتي في سلسلة من الأحداث الدالة، ينبغي على مترجم النص الأدبي، حسب رأي جورج شتاينر G. Steiner، أن يلجأ إلى التأويل أثناء مهمته الترجمية، والذي يقول: «أي العمل على إظهار الكيفية التي بموجبها تم فهم القول من حيث القصد.»[21]

ولكي يستطيع أن ينجح المترجم في هذا المسعى عليه أن يفهم القيم الغالبة على النص في مستواها المجازي لفهم القول في مقاصده. وعليه، فإن التفاعل الذي يحدث بين النص والمتلقي، يتولد عنه تفاعل وجودي آخر يشهد على تحقيق وجودية النص الأدبي بوجودية نشاط المترجم الفاعلي.

ج- الترجمة في ضوء المنهج اللساني:

الذي يعد المقام المشترك الذي أرسى عليه علماء الترجمة اللسانيون قواعدهم، ووفق هؤلاء فإن العملية الترجمية تكمن أساسا في البحث عن توفير وحدة لسانية لوحدة لسانية أخرى مكافئة لها بين لغتين مختلفتين، أي البحث عن التكافؤ النصي والتطابق الشكلي. وتبعا لهذا المنهج فإن العملية الترجمية تعني التعامل الكلي مع المستوى اللغوي بمفرده، كون اللغة ومعانيها تتوحد في الكلمة أو الجملة فقط وهذا يعني بالضرورة مسايرة الترجمة ضمن الفوارق اللغوية المساعدة على إيجاد المتشابهات على مستوى العبارات الموظفة في اللغتين الأصل والهدف.[22]

أثر نظرية التلقي في ترجمة النص الأدبي:

برزت آثار التمازج الذي حدث بين نظرية الترجمة ونظرية التلقي إلى تطوير ترجمة الشعر، وذلك بالاستفادة من مناهج الترجمة عموما والترجمة الأدبية خصوصا، وبالأخص كما ذكرنا سابقا «المنهج التأويلي» و«المنهج اللساني» مما سمح للمترجم أن يستفيد من القواعد الترجمية على المستوى النظري والإجرائي.

وفي ظل توقع النص للقارئ، نلفي فعالية الإسهامات النقدية والجمالية عند فولفانغ إيزر Wolfgang Iser تثري رؤية أمبرتو إيكو Umberto Eco النقدية، من خلال الإشارة إلى مفهوم القارئ الضمني Lecteur implicite الذي يبرز ممارسة الوقع الجمالي

على القارئ (المتلقي) أثناء فعل القراءة، على اعتبار أن القارئ الضمني هو بنية مندرجة داخل النص بالضرورة حتى تسلط الأضواء على شروط والظروف الراهنة التي تكسب النص الأدبي كيانه الواقعي بفعل القراءة الدالة.[23]

ومن هذا المنظور تتجلى المهمة الرئيسية للقارئ ليبرز كفاءاته في تحريك النص الذي وضعه مؤلفه في شكل آلة كسولة وسط فضاءاته البيضاء.[24]

وبالتالي، تلتقي هذه الإجراءات القرائية عند الناقدين المذكورين سابقا مع اهتمامات الترجمة الأدبية المعاصرة بفعل الاشتراك النظري بين نظرية التلقي ومناهج الترجمة.

فضلا عن هذا فإن دراسة أركان العملية الإبداعية لا تعتمد على المبدع والنص والمتلقي فحسب وإنما تتجاوز كل ذلك إلى معالجة طبيعة العلاقة والتفاعل بين وظيفة المبدع والمتلقي وعلاقتهما بالنص.

ومن الميزات التي تتجلى في المبدع أنه ذو معرفة وقدرة لغوية يتمكن بواسطتها استخدام النص في ضوء فكره ومشاعره، ومن جهة أخرى يقدر على نقل المتلقي إلى تجربته ومشاركته في أحاسيسه ومشاعره. ولكي يحقق المترجم أهدافه فمن الضروري أن يراعي الإحساس اللغوي عند المتلقي لا لشيء إلا لكون المتلقي المتفاعل مع تجربة المبدع ومشاعره هو قارئ وناقد، بل هو في الأصل أبعد من ذلك فهو مشارك في خلق النص وإبداعه أو في صنع المعنى وإيجاده، وهذه الرؤية يؤكدها ت س إليوت بقوله: « إن القصيدة تقع في مكان بين الكاتب والقارئ.»[25]

النص هو عمل أدبي من النوع الرفيع[26]، ويمكن القول بأنه نسيج يتمتع بسبك محكم وبناء متماسك[27]، يقوم بإبداعه وخلقه مبدع قصد توجيهه إلى متلقين كي يقرؤوه ويتفاعلوا معه سواء أكان ذلك سلبا أم إيجابا، أو بتعبير آخر يشاركون المبدع من خلال قراءتهم ونقدهم وتذوقهم في عملية إبداع النص وخلقه. وحتى يتمكن النص من التأثير في المتلقي، فلابد من أن يراعي المترجم توظيف لغة أدبية جيدة تعبر عن جمال فني يجعله مختلفا عن الكلام العادي.[28]

وتعرضنا لهذه القضية، يدفعنا إلى إبراز جملة من الصفات التي يجب أن يتحلى بها القارئ أو المترجم وفق منظور نظرية التلقي، فهي تراه ذلك الشخص القادر، الحر، الفعال، الجريء، المكتشف، المجد، و الموجد لمعنى مضمر داخل النص، فهو يتفاعل ويتعامل معه، لإحداث متعة جمالية، فيقوم الخيال الواسع بتذوقه، ولهذا السبب نجد «فولفغانغ إيزر» يتحدث عن نص تخيلي، وهو ذلك النص الذي يعكس قدرة المتلقي

على التخيل ومعرفة المشاهد والصور والأحداث التي تدور به ليملأ البياضات ويكملها أثناء العملية التأويلية التي من شأنها إدخاله في صراع مع المعنى الأصلي، فيصبح النص بذلك تجربة القارئ الخاصة، إنه يحياها من أحداث الواقع الجمالي، «فالنص هو افتراض بسيط ليس باستطاعته إيجاد راهنه إلا بفضل الفاعل» ، وهو هدف يرمي إلى تحقيقه أصحاب هذه النظرية.

الترجمة وإشكالية الدلالة:

لقد اتضح مما سبق بسطه أنه إذا كانت هناك أولوية تفرض نفسها على مترجم الشعر فهي بدون شك المحافظة على مضمون النص الأصلي قدر الإمكان، ذلك أن الشكل لا يلتزم باحترامه الحرفي بحكم اختلاف اللغات في نمطية التركيب وقواعد الإيقاع، وغيرها من الأمور الشكلية. بل يشير معظم الباحثين إلى أن المترجم قد «يضطر غالبا، لكي يحافظ على جانب المضمون الثابت، إلى التحويلات في الترجمة، من تبديل واستبدال وحذف وإضافة.»[30]

يحيل الحديث عن المضمون بشكل أو بآخر على المعاني، ذلك أن المضمون في أبسط تصوراته هو المعاني المعبر عنها باللغة ضمن سياقات يحكمها توزيع الألفاظ داخل السلسلة الكلامية، وفقا لنظام علائقي معين، يأخذ بعين الاعتبار مقاصد المتكلم وملابسات الموقف. هذه القيمة التي تحتلها المعاني في الفعل الترجمي هي التي دفعت بمعظم المنظرين إلى تحديد المهمة الأساسية للترجمة في نقل المعاني، كما سبق الذكر.

وإذا تأكد هذا الطرح، واستقر لدينا أن الترجمة ليست نقلا حرفيا للشكل وإنما هي نقل للمعنى، فإن ذلك يستوجب منا تحديد المعاني؛ من خلال التمييز بين نوعين من المعاني هما: الدلالة الإيحائية والدلالة التركيبية.

1. الدلالة الإيحائية:

تحتل الدلالات الإيحائية- بحسب وظيفتها- موقعا مرموقا في عملية إنتاج الكلام عموما، وفي الإنتاج الأدبي خصوصا؛ فهي سمات دالة إضافية يعزز بها مستعمل اللغة السمات الخاصة التي تتشكل منها الدلالة الذاتية للكلمة؛ يمكن تصور الدلالات الإيحائية على أنها نوع من «القيمة المضافة المقترحة التي تحمل الدال والمدلول بشحنة أو صدى دلالي آخر إضافة إلى ذلك الذي تدل عليه في استعمالها العادي».[31] وهي عند مارتيني «كل ما هو في استعمال الكلمة ليس ملكا لتجربة جميع مستعملي هذه اللغة.»[32]

تحاول الترجمة الدلالية إعادة توليد المعنى السياقي للأصل بتمامه وبحدود ما تسمح به الأبنية الدلالية والنحوية في اللغة الهدف. ولتحقيق ذلك تعير هذه الطريقة اهتماما كبيرا للعناصر الجمالية والتعبيرية للقصيدة الأصلية، لنوضح ذلك من خلال سونيتة أخرى شهيرة لشيكسبير هي السونيتة رقم 18:

Sonnet 18 :

Shall I compare thee to a summers day ?
Thou art more lovely and more temperate:
Rough winds do shake the darling buds of May,
And summer s lease hath all too short a date.(33)

يشبه شيكسبير في مطلع هذه السونيتة صديقا له بيوم من أيام الصيف تعبيرا عن إعجابه بحسنه ولطف طبعه. ولا غرابة في ذلك إذا أخذنا بنظر الاعتبار حقيقة أن الصيف يتميز بالتفتح والروعة والاعتدال في بيئة الشاعر وموصوفه. فإن أراد القارئ أن يترجم هذه القصيدة ترجمة دلالية؛ فعليه أن يبقي على الصيف رمزا للسحر والجمال على الرغم من كونه يمثل النقيض تماما في اللغة الهدف، العربية مثلا. وهذا ما فعلته الشاعرة «فطينة النائب» في ترجمة السونيتة شعرا على النحو الآتي:

من ذا يقارن حسنـــك المغري بصيف قد تجلى
وفنون سحرك قد بدت في ناظري أسمى وأغلى؟
تجني الرياح العاتيـــات على البراعم وهي جذلى
والصيف يمضي مســرعا إذ عقده المحدود ولى(34)

ويمكن استنادا إلى هذا التقديم الأولي استخلاص ما يلي:

- يخضع توظيف الدلالات الإيحائية لدواعي خاصة تعبر عن ذاتية مستعملها إزاء موضوعه وموقفه من اللغة؛ فهي محاولة منه لتجاوز نمطية اللغة من جهة، ومحاولة الانزياح عن نمطها العادي بأكثر المعاني رسوخا في الذات من جهة أخرى.

- تتميز الدلالات الإيحائية بطابعها المتميز والمتفـــرد، وبالتالي فهي «متغيرة بحسب طريقة تقبلها...وتختلف وجهات النظر إليها، لأنها في آن واحد من مشمولات الذرائعية والأسلوبية وعلم الدلالة... وقد يدركها القارئ الواحد بطرق مختلفة في الأوقات المتعاقبة وفي الظروف المختلفة حسب تجربته وحالته النفسية وما إلى ذلك.»(35) وعليه فإن ترجمتها واستنطاق كوامنها يبقى مرتبطا بتتبع توزيعها داخل النص الشعري، وبمعنى آخر فإن تحليل الدلالات الإيحائية يرتبط عضويا بتحليل البيت الشعري أو القصيدة.

2. الدلالة التركيبية:

تندرج ضمن الدلالة التركيبية كل الدلالات المستفادة من وظيفة اللفظ داخل السياق، والتي تأخذ بعين الاعتبار الرتبة – التقديم والتأخير- و الحذف والذكر والفصل والوصل، وما إلى ذلك مما يحدد وظيفة اللفظ وأثره على الدلالة ضمن السياق، وهي الطبيعة التي تحدد هيكلة الجملة ونظام العلاقات الذي يربط أجزاءها، وتأثير تموقع اللفظ داخل التركيب على الدلالة.

ومثالنا على ذلك قول الشاعرة الأمريكية أملي دكنسن في قصيدة «الأمل»:

Hope

Emily Dickinson (1830- 1886)

Hope is the thing with feathers
That perches in the soul,
And sings the tune without the words,
And never stops at all,
And sweetest in the gale is heard;
And sore must be the storm
That could abash the little bird
That kept so many warm.[36]

الترجمـــة:

الأمل

(أملي دكنسن)

الأمل؟ شيء بأجنحـــة يطير،
وعلى الروح يحـــــــــط
لحنه من غير ألفـــاظ يدور
وهو لا يصمـــــــــت قط
لحنه يأتي برغـــم الريح عذبا،
وهي ريح تحمل الموت غضوب
إن أخافت طائرا يحمل حبا
وهو دفء تتمنـــاه القلوب[37]

إن أهم ما يميز لغة دكنسن الشعرية أنها تستخدم أقل ما يمكن من الكلمات في التعبير عن الأفكار، دون أن يكون ذلك على حساب الوضوح في التعبير، كما أنها تحسن استخدام الاستعارات. فالطائر في هذه القصيدة هو رمز للأمل (أمل الروح التي لا تستسلم لليأس)، التي جسدتها الكلمات . الشاعرة تستخدم تراكيب سهلة الفهم كما هو واضح في القصيدة باستثناء كلمة التي يعد استخدامها في هذه القصيدة دلالة على المهارة الأسلوبية للشاعرة وحسن اختيارها للكلمات، فالتركيبة الصرفية لهذه الكلمة، إضافة إلى معناها، توحي بعظم المصاعب التي يتغلب عليها الأمل.[38]

وقد يؤدي اختلاف اللغات في هذا المجال بالذات إلى مخالفة نمط تركيب الجملة في القصيدة الشعرية الأصلية عند ترجمتها إلى لغة أخرى، فيظهر المحذوف مثلا أو العكس، أو تلغى الرتبة أو يستعان بأوصاف لتحديد وظيفة اللغة ضمن التركيب. وعليه يبقى البحث عن ترجمة مثالية للشعر أمرا صعبا، خصوصا وأن النص الإبداعي فضاء مفتوح يمتلك سر خلوده في انفتاحه على شتى القراءات.

وعليه المترجم ليس مطالب بإنجاز الترجمة المثالية وإنما هو مطالب بأن يكيف النص الأصلي مع خصوصيات اللغة الهدف والقارئ الذي تتوجه إليه الترجمة.

خاتمـــــة:

إن المسألة شائكة إلى أبعد الحدود، والحل بكل تأكيد لا يكمن في الترجمة الحرفية للشعر وإنما في كيفية الحفاظ على نكهة القصيدة وروحها، لأن ترجمة الشعر من أصعب الترجمات التي تستوجب من المترجم أن يكون ملما بميدان الشعر حتى يستطيع أن يترجم الشعر ويفهمه بجميع مميزاته الدلالية والإيحائية والجمالية، في سبيل تحقيق المتعة الفنية للمتلقي.

هوامش المقـــال:

(1) محمد عناني، الترجمة الأدبية بين التنظير والتطبيق، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، د.ط، 1997، ص: 7.

(2) المرجـــــــــــع نفسه، ص: 7.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص: 92 – 93.

(4) ينظر: عبد الكريم جدري، التقنية المسرحية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، 2001، ص: 25.

(5) أحمد محمد ويس، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2002، ص: 5.

(6) عبد الصاحب مهدي علي، ترجمة شعرية لأشهر القصائد الإنجليزية: دراسة تحليلية للشعر وترجمته، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2013، ص: 59.

(7) المرجع نفســـــه، ص: 60.

(8) المرجع نفسـه، ص: 62-61.

(9) سلمى حداد، لماذا يعزف المترجمون عن ترجمة الشعر؟ حلول لمشاكل تناصية، مجلة جامعة دمشق، المجلد: -22 العدد: 03 – 04، 2006، ص: 352.

(10) موسى سامح ربابعة، التناص في نمـــــــاذج الشعر العربي، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط1، 2000، ص: 97.

(11) مارك أنجيلو، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، الدار البيضاء – المغرب، ط1، د.ت، ص: 102.

(12) عبد الصاحب مهدي علي، ترجمة شعرية لأشهر القصائد الإنجليزية: دراسة تحليلية للشعر وترجمتـــــه، ص: 25.

(13) المرجع نفســـــه، ص: 64.

(14) المرجع نفسه، ص: 66-65.

(15) المرجع نفســـــه، ص: 67.

(16) ينظر، سلمى حداد، لماذا يعزف المترجمون عن ترجمة الشعر؟ حلول لمشاكل تناصية، ص: 367.

(17) عبد الصاحب مهدي علي، ترجمـــــة شعرية لأشهر القصائد الإنجليزية: دراسة تحليلية للشعر وترجمتـــه، ص: 43.

(18) المرجع نفسه، ص: 43.

(19) المرجع نفسه، ص: 43.

(20) Voir, Wolfgang Iser : L'acte de lecture, Théorie de l'effet esthétique, traduction : Evelyne Szyer, Ed : Mardaga – Bruxelles, 1985, p. 70.

(21) Georges Steiner : Après Babel, Bibliothèque, Albin Michel des idées : Traduction, Loetringer 1978, p 134 – 135.

(22) ينظر محمد شاهين، نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، د.ت، ص: 12.

(23) Voir, Wolfgang Iser : L'acte de lecture, p. 70.

(24) Umberto Eco, Lector in fabula, Ed : Grasset Paris, 1985, p. 66.

(25) Hans Robert , Yauss/ Pour une esthétique de la réception, Ed : Gallimard- Paris, 1978, p. 10.

(26) Wolfgang Iser : L'acte de lecture, Théorie de l'effet esthétique, Trad Evelyne

Sznyeer Bruxelles, Ed : Pierre Margada, 1976, p121.

(27) ينظر: بول ريكور، النص والتأويل، ترجمة: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد3، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، 1988، ص: 37.

(28) ينظر: رولان بارت، نظرية النص، تر: محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد3، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، 1988، ص: 89.

(29) ينظر: شكري عياد، دائرة الإبداع، دار إلياس المصرية، القاهرة، دط، 1986، ص: 124.

(30) ينظر: أسعد مظفر الدين الحكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس، دمشق- سوريا، ط1، 1989، ص: 47.

(31) Catherine Fromilhague et Anne Sancier, Introduction à l'analyse stylistique, Gauthiers Villars – Paris, 1991, p. 162.

(32) Georges Mounin, Clefs pour la linguistique, Seghers – Paris, 1971, p. 164.

(33) عبد الصاحب مهدي علي، ترجمة شعرية لأشهر القصائد الإنجليزية: دراسة تحليلية للشعر وترجمته، ص: 45.

(34) المرجع نفسه، ص: 46.

(35) محمد عجينة، نظرية الترجمة، ضمن كتاب الترجمة ونظرياتها: لمجموعة من المؤلفين، بيت الحكمة، قرطاج – تونس، 1999، ص: 268.

(36) المرجع السابق، ص: 79.

(37) المرجع نفسه، ص: 81-80.

(38) المرجع نفسه، ص: 81.

تداولية الطلب في القصص القرآني
- الأمر والنهي في سورة يوسف أنموذجاً -

The pragmatic of demand in Quranic stories

Commands and prohibitions in surat Yousef as a model

فتيحة باريك، جامعـــــــة أدرار، الجزائـــــــر.

ملخّـــص

يعد الطلب بنوعيه الأمر والنهي في القرآن الكريم من أساليب الأداء في اللغة العربية، فقد اتخذهما مع غيرهما من الأساليب لتثبيت منهجه في الدعوة إلى الله، وإلى طريقه المستقيم، ولذلك كان هذا الطلب أهم فعل كلامي تترتب عنه التكاليف الدينية والدنيوية في الخطاب الشرعي، ومادام النص القرآني لا يخلو من أن يكون توجيها للفعل أو للترك، فإن هذه التراكيب الواردة بصيغة الأمر والنهي خصوصا قد حفل بها القرآن، ولا سيما سورة يوسف عليه السلام، إذ هي قصة، والقصة إحدى وسائل القرآن الأساسية لإبلاغ الدعوة وتثبيتها، فهي تحمل عبرا ومواعظ بأساليب لغوية بليغة، ولذلك تهدف هذه الدراسة إلى تحديد الأفعال اللغوية التي تضمنتها التراكيب الطلبية للأمر والنهي في السورة، وبيان أهم القوى الإنجازية التي تحققت من خلالهما.

الكلمات المفتاحية: تداولية - صيغة أمر - فعل كلامي - فعل إنجازي - سياق.

Abstract

Commands and prohibitions in surat Yousef indicate adeliberation study .Commands and prohibitions in the Quran are types of performance in the Arabic language.Therefore they have been taken with other methods so as to make the call to God and to his straightway .Therefore request is the most important verbal act which costs religious demands in legitimate discourse.

since the Quranic text is made to be a direction to act out the act or to abandon it, Quran is full of such instructions of demands and prohibitions, especially in surat yousef (P.B.U.H)which is a story and this later is one of the basic means of the Quran to inform advocacy. So, the story carries sermons in eloquent language.

Therefore, this study aims to determine the linguistic acts that are included in the order of commands structures and prohibitions.

Keywords: Pragmatics; Imperative mood; Speech act; Illocutionary act; Contexte.

تقديـــــم:

تحظى الأنساق اللغوية الطلبية في القرآن الكريم بأهمية بالغة، وذلك لما لها من دور في بنية الخطاب القرآني وجمالية أسلوبه، فالتراكيب الطلبية، الأمر والنهي على سبيل المثال _ قد تنوعت دلالاتها وتعددت بتعدد المقاصد والسياقات والمواقف الكلامية، حتى إننا نجد الأسلوب الطلبي الواحد يخرج عن دلالته الأصلية إلى دلالات أخرى سياقية متعددة؛ أي أنه يحمل معاني أخرى إلى جانب الدلالة الأصلية، ولكونها دلالات غير مباشرة فقد كان السياق والأحوال المحيطة به كفيل ببيانها وتوضيحها، وقد كان الوقوف على ما جاء في سورة يوسف عليه السلام بالتحديد على هذا الأساس، لأنها من السور التي حملت مواعظ وعبراً للنفس البشرية، بل إنها انفردت بقصها الكامل في موضع واحد، مما جعلها تشتمل على إشارات ورموز دالة بسياقاتها وأحوالها المختلفة على خصائص النص القرآني الخالد، وإن كانت القصة في الأصل عبرية بأشخاصها وأحداثها، إلا أن الله سبحانه وتعالى قصها علينا في القرآن العربي المبين بأرفع بيان وأفصح كلام[1]، في سورة واحدة بأداء واقعي كامل» فمنذ أن تبدأ قصة يوسف عليه السلام تسير مفصلة حتى تنتهي كلها، تفصّل تفصيلا دقيقًا لأن التفصيل مقصود؛ أولاً: لإثبات الوحي والرسالة، ثانيا: لأن لهذه التفصيلات قيمتها الدينية في القصة.»[2]

وانطلاقا من مبدأ أن السورة أداء واقعي كامل في أشخاصه وأحداثه تتجلى النظرة التداولية المعاصرة التي تركز على الفعل الكلامي» بمعنى التصرف (أو العمل) الاجتماعي، أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام» [3] من مثل الأمر والنهي والوعد والسؤال، والتعيين والإقالة والتعزية والتهنئة... فهذه الأساليب العربية المختلفة وغيرها من التراكيب اللغوية الأخرى قد تجسدت في مجموعها في هذه القصة المتكاملة العناصر والأحداث، لذلك تكون السورة قد حقّقت معاني وإفادات واضحة، بل وكشفت عن إنجازات وأغراض تواصلية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالألفاظ والكلمات، وذلك من أجل التأثير في المخاطَب بحمله على فعل أو تركه[4]، فهذه القصة التي جاءت على لسان يوسف عليه السلام مع أهله وقومه، قد كان للأحداث فيها دور فعال في تربية العواطف والغرائز، وكان لها أيضا انعكاسات نفسية أثّرت على مشاعر الأشخاص وعلى مواقفهم وسلوكهم فأحدثت التغيير في حياتهم؛ بعد أن وجّهتهم نحو الخير وردّتهم عن أفعال الشر، وفي الحقيقة قد تشاركت مختلف الأساليب اللغوية في إحداث هذا التغيير لكن تبقى الأساليب الطلبية- أمرًا ونهيًا- أكثرها حضورًا في بيان دلالة هذا الخطاب القصصي وتحديد الغرض منه.

أولاً: الأمر والنهي في البلاغة العربية:

وفي مجال تحديد تلك الأفعال الكلامية التي تتمظهر في صيغتي الأمر والنهي ثم أهم القوى الإنجازية والتأثيرية التي خلفتها، كان لابدّ بداية من الإشارة إلى حقيقة الصيغتين في اصطلاح العلماء:

1 - **الأمر:** هو «طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطب، أو يوجه الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا»[5]، أو هو «صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[6]، ويشمل فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، أما عند تحققه فيحتاج إلى جهتين اثنتين وهما: مُصدِر الخطاب، ومتلقّي الخطاب؛ ذلك لأن طلب حصول الفعل في الأمر يكون على «وجه الاستعلاء والإلزام مع الأدنى والدعاء مع الأعلى والالتماس مع النظير»[7]، فتكون المهمة المحققة منه بمثابة صياغة ترجمة لواقع الأمر الذي يتضمنه الخطاب، وهي وظيفة أصلية لا تتعدى أن تكون إيجابًا أو إلزامًا.

وقد يخرج الأمر عن وظيفته الأصلية هذه إلى معان ودلالات أخرى يتعاورها السياق والتركيب، وما يدور في فلكه من قرائن في طرح الدلالة المناسبة للخطاب الأمري على وجه المجاز[8]، وهو ما يفهم من تعريف السكاكي (626هـ) للأمر بأنه «عبارة عن استعمال نحو: لينزل، وانزل، ونزال، وصه على سبيل الاستعلاء...، وتوقف ما سواه من الدعاء والالتماس والندب والإباحة والتهديد على اعتبار القرائن.»[9]

وفي القرآن الكريم نجد أن النظم كله بجرسه وألفاظه وتراكيبه يشارك في تصعيد المعنى، وتجليته وبث الحياة فيه، ولقد أوصل العلماء هذه المعاني المستفادة من نظمه إلى خمسة وعشرين معنى[10]، وذكروا أن هذه المعاني قد تتداخل؛ غير أن الإشارة إلى معنى بلاغي واحد في الأسلوب ليس إلا لوضوحه وشهرته، لذلك يكون أي أسلوب إنشائي أمرًا كان أو نهيًا، أو غيرهما يفيد مجموعة من المعاني المتقاربة المتداخلة، والتي يثيرها الأسلوب في النفس المتلقية، وهي معان شعورية أو نفسية، فالاختلاف الواقع في تسمية المعنى أو تعيينه بين العلماء فيما يخص هذه الأساليب يخضع لأمور ذوقية نفسية متقاربة.[11]

2 - **النّهي:** في الأصل لا يختلف في الاصطلاح عن الأمر؛ إذ أنه «طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع مع (لا) الناهية، وهي حقيقة في التحريم»[12]، وقد قال ابن هشام «من أوجه (لا) أن تكون موضوعة لطلب

الترك، وتختص بالدخول على المضارع، وتقتضي جزمه أو استقباله»[13]، ويذكر المبرد عدم اختلاف النهي عن الأمر بقوله «واعلم أن الطلب من النهي بمنزلته من الأمر، يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر»[14]، فالنهي في الحقيقة ما هو إلا أمر بالترك، والترك نقيض للفعل لا ريب في ذلك، فإذا طُلب من شخص عدم الحراك، فإن هذا الطلب الآمر يقتضي إلزامه السكون ضرورة[15]، وكما يخرج الأمر عن دلالته الأصلية إلى أخر مجازية، نجد النهي كذلك تخرج صيغته عن دلالتها الأصلية (طلب الكف) إلى معان بلاغية ومقاصد أسلوبية تستفاد من السياق، وقرائن الأحوال.

فهذان الفعلان الكلاميان المتمثلان في الأمر والنهي يحملان قوى إنجازية تحددها إرادة المتكلم وقصده، وهي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمور به، وعدم إيقاع المنهي عنه[16]، وقد لفت علماؤنا القدامى إلى أن قصد المتكلم الذي تعبّر عنه هذه الأفعال اللغوية هو الذي يحدد الطريقة التي يتحدث بها، فتعبيره بها يتغير قوة وضعفا بتغير الموقف الكلامي، وهو ما تجلت عليه صورة الأمر والنهي في قصة يوسف عليه السلام ؛ إذ اكتسبت صيغتي الأمر والنهي في السورة وظائف فنية غنية بالدلالات، والإيحاءات، التي أنبأت عنها السياقات الواردة فيها، والقرائن المحيطة بها، فحقّقت بذلك أغراضاً بلاغية متعددة.

ثانياً: دلالات الطلب في القصص القرآني:

1 - النصح والإرشاد: وهو الطلب الذي يخلو من التكليف والإلزام ويحمل بين طياته معنى النصيحة الخالصة والرشد إلى طريق الحق[17]، وقد ورد الإرشاد في القرآن عمومًا فيما يتعلّق بالآداب والأخلاق الإسلامية؛ إذ إنّه يوجّهنا توجيهاً صريحا بمثل هذه التراكيب الطلبية، فيدعونا بلغة بديعة وأسوب فريد إلى التمسّك بالأخلاق الرفيعة، والتحلّي بها خدمة لرقيّ الفرد والمجتمع.

وإذا ما بحثنا عن النمط التركيبي للنهي؛ ذلك الذي خرج عن حقيقته الأصلية ليفيد معنى النصح والإرشاد في قصة يوسف عليه السلام؛ استوقفنا قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام، وهو ينهي ابنه الصغير يوسف عليه السلام حين قصّ عليه رؤياه بأن لا يقصصها على إخوته؛ إذ قال عز وجل ﴿**يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[18]، فكانت صيغة النهي دالة بذلك دلالة واضحة على أنها للنصح والإرشاد المشتمل على التحذير والتنبيه مع ثقته بأن هذا التحذير لا يثير في نفسه كراهة لإخوته « لأنه واثق منه بكمال العقل وصفاء السريرة ومكارم الأخلاق.»[19]

فدلالة النصح والإرشاد التي أرادها يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام قد تحقّقت ليس بفعل النهي وحده ولكن كان لمختلف الأدوات التعبيرية التي وردت في هذه الآية دور بارز في انتزاع هذا المضمون؛ فبدءاً من استفتاح الكلام بالنداء المحبب، الناتج عن التصغير بلفظ (بُنَيَّ)، إضافة إلى لفظة (رُءْيَاكَ)؛ وهي لفظة تحمل طاقة دلالية وإنجازية خاصة.

فبمجرد أن سمع المخاطَب ما يدل على أنّ الكلام يخصّه دون غيره، تَبَيَّن دلالته، ومن ثمة لم يفُته ما هو واقع تحتها من مقاصد ضمنية، فيعقوب عليه السلام وهو يوجّه خطابه إلى ابنه بضمير (الكاف) في(رُءْيَاكَ)، إنما كان يحاول أن ينبّهه إلى أمر ما؛ وهو أنّك صاحب الرؤيا وأنت المختار من بين إخوتك لتراها، فأنت إذن صاحب شأن عظيم عند الخالق البارئ سبحانه وتعالى، هذا من جهة، أمّا من جهة أخرى فإنّ التركيب اللغوي الذي جاء بعد قوله (رُءْيَاكَ) زاد أكثر في تأكيد المعنى؛ إذ قال ﴿**فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾.

إذن كان لابدّ في مثل هذا المقام أن تتوافر الشروط السياقية القادرة على إنجاز هذه الأفعال اللغوية بعد نفوذها ببساطة إلى نفس المخاطب وتمكّنها فيها، ومنه تأثيرها فيه بأن حملته على الحذر، وفي ذات الوقت نبّهته إلى أن المحذور منهم هم إخوته وليسوا أعداء، وقد وجب عدم حدوث الحسد والكراهية بينه وبينهم، فالنهي في هذه الآية تحديدا كان إشارة إجمالية من يعقوب –عليه السلام- إلى تعبير الرؤيا، وهذا لا يخفى على من له ذوق.[20]

أمّا عن إنجازية الأمر للنصح والإرشاد فقد ورد في القرآن الكريم عامة، وفي سورة يوسف عليه السلام خاصة، وذلك لإفادة غرض يتفق مع الهدف العام للقرآن الكريم، وهو تحقيق العبادة الحقة لله وحده، وهذا هدف لا يتأتّى إلا بأساليب متعددة لترسيخه في ذهن المخاطب وقلبه، وكان أسلوب الأمر أحدها، وبالمقاربة مع أسلوب النهي يعد الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية التي حفلت بها سورة يوسف عليه السلام بوصفه يعقد صلة بين خطاب الله تعالى والمتلقـــــي، فعندما تقرأ قوله تعالى ﴿**أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ**﴾ [21]، يكون الأمر في قول الفتى الذي صاحب يوسف عليه السلام في السجن (فَأَرْسِلُونِ)؛ إذ أنه لما سمع برؤيا الملك وشهد على عجز المفسرين عن تأويلها، وقد كان له سابق عهد بتفسير رؤيته من يوسف عليه السلام ، أن استأذنهم في الحديث، وأشار إليهم ناصحًا ومرشدًا بأمر إرساله إلى من سيهديهم إلى تعبير رؤيا الملك؛ وحثّهم على ذلك بدليل «أنه أسند الإنباء إليه، وهو مجاز عقلي، لأنه سبب الإفتاء، ولذلك قال (فَأَرْسِلُونِ)، وفي ذلك ما يستفزّ الملك إلى أن يأذن له بالذهاب إلى حيث

يريد، وهذا خطاب للملك على جهة التعظيم.»[22]

ومن باب النصح –أيضا- في الخطاب الأمري ما جاء على لسان يعقوب عليه السلام ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يوسف عليه السلام وَأَخِيهِ**﴾[23]، ففعل الأمر (اذْهَبُوا) ثم (فَتَحَسَّسُوا) قامت بدورها حين أثّرت في الإخوة؛ فنفذ القول إلى أعماقهم، ولم يفتهُم المعنى الذي قصده والدهم يعقوب عليه السلام، وهو أن يذهبوا إلى مصر من أجل الاستعلام، والاستخبار عن أمر يوسف عليه السلام وأخيه، لاسيما بعد أن «تكلّم معهم على سبيل التلطف، والتحسس طلب الشيء بالحاسة، وهو شبيه بالسمع والبصر، ومن للتبعيض، والمعنى تحسسوا خبرًا من أخبار يوسف عليه السلام»[24]، وفي ذلك «رجاء ونعمة الأمل.»[25]

وهذه الجمل الإنجازية قد احتملت دلالات مختلفة؛ وهي الأمر والنصح والإرشاد، كما استوعبت معاني أخرى كشفت عنها تلك اللطائف القرآنية المصاحبة للأمر، ففي هذا الخطاب الرباني جاء حرف (الفاء) الذي يفيد الترتيب والتعقيب مرادفا لفعل الأمر، وهو ما أنبأ عن حالة نفسية انتابت مشاعر يعقوب عليه السلام؛ خاصة بعد أن سمع بسيرة ملك مصر الطيبة، فطمع أن يلقى منه بنوه العون في معرفة أخبار تسره عن ولديه المفقود يوسف عليه السلام والمحجوز أخيه(بنيامين)، ولربما خصّ يوسف عليه السلام بالذكر لأنه لا يعلم بمكانه ولا بحاله، مما يجعله دائمًا يتشوّق ويتلهّف إلى سماع أخباره وينتظر الاجتماع به، على غرار ابنه الآخر (بنيامين) الذي عبّر عنه بلفظة (أَخِيهِ) لاطمئنانه على حاله وارتياحه من جهته، كما نلمس شيئا من الالتماس؛ التماس الأب من أبنائه البحث عن أخبار(يوسف عليه السلام وَأَخِيهِ)، فخاطبهم بلطف درءاً لمزيد من الأذية لأخويهم، وفي ذات الوقت لتتحقّق رغبته في أن تسعد نفسه بملاقاتهما، وتقرّ عيناه برؤيتهما.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن القرائن السياقية التي صاحبت أسلوب الأمر في الآية قد اختزلت لنا مجموعة من الأغراض الكلامية؛ لا سيما بعد أن أرشدتنا إلى رغبة يعقوب عليه السلام في الاهتداء إلى ابنيه يوسف عليه السلام وأخيه لشدة تعلقه بهما، لذلك كان الأمر بـ (اذْهَبُوا) ثم (فَتَحَسَّسُوا) للنصح والإرشاد والرغبة..، وفي هذا يقول بعض المفسرين إنّ هذا إرشاد لهم إلى بعض ما أُبْهِم في قوله ﴿**وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[26]، ثم تحذير منه لهم كذلك عن ترك العمل بموجب نهيه «﴿**إِنَّهُ لاَ يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته؛ فإن العارف لا يقنط في حال من الأحوال، أو تأكيدًا لما يعلمونه من ذلك.»[27]

والجملة هي واقعة موقـــــع التعليل -أيضا للنهي- في قوله تعالى ﴿**وَلاَ تَايْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ**﴾، لهذا كانت الآية الكريمة التي تجلّت في صورة النهي قد حقّقت فعلاً تأثيرًا متعلقًا بالنتائج التي أحدثها الفعل الإنجازي بالنسبة للمخاطب، خاصة بعد إيراد الحجج المقنعة له ﴿**إِنَّهُ لاَ يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[28]، فقد تحقّق وعظ الأبناء وتحذيرهم بإخافتهم من العذاب الذي سيلحقهم إن يئسوا من رحمة الله وفرجه، لأن اليأس من صفات الكفار، وهو ما نفهمه من كلام بعض المفسرين من أن النهي في الآية للنصح والإرشاد؛ وهو نهي حقيقي دال على التحريم.[29]

2 - **الدعاء:** وهو طلب الفعل أو الكف من الأدنى للأعلى ، ومن المخلوق لخالقه عز وجل استغاثة وعونًا منه ورحمة بحاله، وقد جاء مثل هذا في قوله تعالى ﴿**رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِى بالصَّلِحِينَ**﴾[30]، فالأمر يتجلى في قوله (تَوَفَّنِى) و(أَلْحِقْنِى)؛ إذ يتضرع يوسف عليه السلام بهذا الفعل اللغوي إلى المولى عز وجل بأن يكرمه ويتمّم عليه نِعَم الحياة الدنيا يوم يتوفّاه، فيختم له بالخير والحسنى ويلحقه بعباده الصالحين في الآخرة، ويجوز أن «يكون تمنيًا للموت على ما قيل وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم»[31]، فالقصد من وراء الفعل اللغوي لـ (تَوَفَّنِى) و(أَلْحِقْنِى) يخرج إلى غرض الدعاء؛ لأنّ المتكلم لم يقصد المعنى الدلالي الحرفي لفعل القول، ولكنه قصد آخر غير صريح، قوته الإنجازية متحققة في صيغته اللغوية-الأمر- سواء «أكان يوسف عليه السلام نبيًا، وفي هذه الحالة يكون دعاؤه لطلب الدوام على ذلك، أم كان نُبّئ فيما بعد؛ فهو دعاء في حصوله.»[32]

وقد تلفّظ يوسف عليه السلام بتلك الكلمات مخاطبًا المولى عزّ وجل متوسلاً ومتضرعًا، فكان بدعائه يهدف إلى تحقيق غرض إنجازي يتجلّى في الاعتراف والإقرار بنعم الله عليه، تلك التي تستوجب منه الإيمان بالله، وطلب العون منه، والتضرّع إليه من أجل أن يستكمل عليه النّعم فيقرّبه منه؛ إذ يتوفّاه على أحسن حال.

هذا وقد تجلت صورة أخرى من صور الدعاء في السورة؛ التي يظهر فيها تداخل غرض الدعاء بدلالتي التمكين والإكرام، كما جاء على لسان يوسف عليه السلام حين وجّه خطابه إلى أهله ﴿**ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ**﴾[33]، ففي قوله (ادْخُلُوا) «دعاء بالدخول بقرينة قوله تعالى ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾[34]؛ لأن آمنين هي مناط الدعاء.»[35]

إذن الكلام المتضمّن في قوله ﴿**إِن شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ**﴾ يوحي بوجود تضرّع ودعاء

لله عز وجل حتى يسهّل لهم طريق الولوج إلى مصر، واستغفار لهم من أجل تيسير أمرهم فيها، بأن يأمنهم من الجواز؛ لأنهم كانوا لا يدخلون مصر إلا بجواز من ملوكها[36]، فدخول مصر في أمان لا يتحقق إلا بمشيئة الله وقدرته، وهنا تظهر دلالة أخرى تفيد الإكرام والتمكين في هذا الدخول المتحقق بأمر الله، وهو إكرام يخص مقام نبي الله سيدنا يعقوب عليه السلام الذي صبر صبرًا جميلا على فَقْد ولده يوسف عليه السلام، فأثابه بأن سخّر له يوسف عليه السلام ليقوم بإكرامه وإعلاء مقامه، فقد مكّنه من دخول مصر آمنا مطمئنا وأهله أجمعين على غير العادة.[37]

3 - **الأمر:** وجاء على لسان يوسف عليه السلام، وهو في السجن في قوله تعالى ﴿**أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه**﴾[38]، فظاهر هذا القول وإن كان مضادًا للأمر من حيث اللفظ، إلا أنه موافق له من حيث المعنى؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وعبادة الله ضد عبادة غير الله، وقد ورد هذا النهي على لسان يوسف عليه السلام في سياق الدعوة إلى الله، وهو ما يتضح من تقديمه لعبادة الله عز وجل على تأويل رؤيا الفتيين، وكأنه يُبيّن لهم أن ما أُعبّره لكم هو تمكين من الله وفَضْل عظيم، فقد أقدرني على تعبير الرؤيا،؛ إذن فاعبدوه سبحانه وتعالى واشكروه على نعمته التي أنعم بها عليّ وعليكم، حتى إنني دخلت السجن فاستفدتما مما خصّني به بأن أطلعتكم على تعبير رؤياكم.

وبذلك كان معنى ﴿**أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ اعبدوه وحده، فيكون تفسيرًا للأمر المطلق بفرد من أفراده، وقد فُهِم هذا الأمر من دلالة التركيب في الحالتين؛ فإذا كانت(لا) في الآية هي الناهية، فإنها تفيد معنى بلاغيا وهو (الأمر)، وإذا كانت (لا) زائدة وكان الفعل المضارع بعدها (تَعْبُدُوا) منصوبا بحـــذف النون، فإن الجملة الخبرية كذلك تفيد (الأمر)[39]، وفي الحالتين يفيد الأسلوب معنى الأمر؛ أي آمركم أنْ اعبدوا الله وحده لا شريك له، وتبعاً لما جاء به سيرل يكون هذ الفعل الكلامي مما لا ينجز عملاً لغوياً واحداً، وإنما عملين اثنين عملاً أولياً ينجز بواسطة آخر ثانوي[40]، وقد وقع ذلك في هذه الآية؛ إذ تمظهر الأسلوب في شكل النفي؛ وهو في الأصل للأمر.

4 - **الالتماس:** وهو الطلب برفق ولين، وقد عرفه القزويني (739هـ) بقوله «طلب الفعل على سبيل التلطف – من دون استعلاء- والتضرع»[41]، ويعدّ هذا من الأغراض الأسلوبية التي يخرج إليها الأمر في سياقات الكلام، فيحقّق بها أفعالا كلامية غير مباشرة، مثلما هو الحال في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾[42]، فالفعل الكلامي الموجّه من العزيز إلى زوجته بـ(أَكْرِمِي) يعدّ من الأفعال الإنجازية غير الصريحة التي تحدّث عنها أوستن[43]، فعندما قال (أَكْرِمِي)؛ وإن كانت من الجمل الإنجازية إلا أنّ العزيز فيها لم يكن مصرّحاً بلفظ الفعل المنجز؛ لأنّ عبارته

هاته تتضمن احتمالات إنجازية متعددة؛ فهي التماس كما يمكن أن تكون أمراً، أو استعطافاً،.. فالعزيز الذي يسعى إلى أن يلقى الطفل الذي حظي بشرائه عناية خاصة واهتماما بالغاً؛ بعد أن رأى فيه صورة الابن الذي حُرِم منه، ثم الولد الذي سيكون له معيناً ونائباً عنه فيما سيؤول إليه من أمـــور الحكم وشؤون المملكة بدليل قوله تعالى ﴿**عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدا**﴾[44]، هو الذي حمله على أن يخاطب زوجته بأسلوب تعبيري يُلْقِي التأثير في نفسها فيحملها على إنجازه، وتنفيذه برغبة قوية.

ومما يحمل معنى الالتماس أيضا في السورة طلب إخوة يوسف عليه السلام في قوله تعالى ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يوسف عليه السلام وَ إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[45]، فقد اختاروا اللفظ المناسب للوصول إلى غايتهم في إبعاد يوسف عليه السلام وتغييبه؛ إذ استفتحوا كلامهم بلفظ الأبوة الدال على الاستعطاف وتحريك مشاعر الحب والحنان التي فطر الله عز وجل عليها الآباء اتجاه أبناءهم، فالإخوة بخداع منهم، ومكر راموا إلى التفريق بين الأب والابن؛ إذ كان حديثهم لطيفاً، التمسوا فيه لأبيهم أن يبعث معهم يوسف عليه السلام وذكروا نصحهم له، وما في إرساله معهم من انشراح صدر يوسف عليه السلام باللعب والمرح، كما أكّدوا على حفظهم له وحرصهم عليه مما قد يسوؤه، كل ذلك لغاية في أنفسهم وهي الخلاص منه، وقد ظهر ذلك في التعبير الوارد بقوله تعالى ﴿**مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا**﴾؛ الذي هو دليل على أنهم قد تقدموا من قبل بالسؤال في أن يخرج معهم، وذكروا سبب الأمن؛ وهو النصح أي لِمَ لا تأمننا عليه وحالتنا أننا له ناصحون[46]، ليأتي الكلام تبعاً (أَرْسِلْهُ مَعَنَا) في صيغته هذه مستعملاً على سبيل التلطّف للدلالة على الالتماس والسؤال؛ سؤال أبيهم أن يفعل ما أرادوا، كما أنّهم حاولوا بقوّة الأفعال اللغوية (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) المصاحبة للقول استدراجه، والعمل على التأثير في نفسيته لحمله على تنفيذ الفعل.

ومن نظير الالتماس والرجاء أيضا، ما جاء على لسان العزيز ليوسف عليه السلام حين طلب منه التستر عن ذنب امرأتـــــــــه وفضيحتها، إذ قال سبحانه وتعالى ﴿**يوسُف أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾[47]، فالأمر الوارد في لفظة (أَعْرِضْ) عبّر عن مشاعر العزيز التي توحي بالتّقرب والمحبة إلى نفس يوسف عليه السلام، ومن ثم الرجاء منه الإعراض عن فعلة زوجته، والتماس كتمان أمرها وعدم ذكره لأحد، وفي هذا الالتماس «ردّ الاعتبار ليوسف عليه السلام- أما خطاب العزيز لامرأته (اسْتَغْفِرِي) ففيه معنى اللوم، لأن ادعاءها من كيد النساء، في حين أنه طلب من يوسف عليه السلام عدم مؤاخذتها لذلك، وهذا عطف أمر على أمر، والمأمور مختلف.»[48]

هذا وقد يكون كلامه في الأمر (اسْتَغْفِرِى) توجيه وإرشاد ممزوجين بالدهشة والإنكار؛ لأنه لما ظهر للقوم براءة يوسف عليه السلام عن ذلك الفعل المنكر بين الله تعالى عنه أنه قال قولته هذه طلباً للمغفرة والعفو والصفح، وهنا تظهر دلالة هذا الطلب، التي هي توجيه وإرشاد، وحتى تتمكّن الدلالة من إحداث وقع حقيقي في النفس، وتعطي تأثيرها جاء الخطاب بقولـــه ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ معادلاً وموازياً لخطاب الأمر ﴿اسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ﴾؛ خاصة وأن زوجة العزيز كانت كثيرة الخطأ فيما تقدّم، وزوجها كان يعرف إقدامها على ما لا ينبغي.[49]

فهذه الأفعال اللغوية التي خرج إليها الأمر في الآيات المذكورة آنفا والتي تندرج خاصة ضمن الأغراض الإنجازية – الأمر –الدعاء – الالتماس، تعتمد في الأساس على حالة المتكلم أو منزلته مقارنة مع المخاطب، وهي لا تخرج عن الرؤية التداولية المعاصرة.

وقد ذكر الكاتبي مفاد هذه الرؤية؛ التي نصّ فيها على أن الطلب مع الاستعلاء أمر...، ومع الخضوع سؤال ودعاء، ومع التساوي التماس[50]، مما يعني أن منزلة المتكلم في مقارنتها بمنزلة المخاطب هي التي تصبغ الطلب بصبغة خاصة، فيؤدي بها اللفظ غرضًا خطابيًا خاصًا، ووظيفة تواصلية معينة[51]، هذا بالإضافة إلى ما للسياق من دور في توجيه هذا الكلام إلى دلالة ومعنى واحد مقصود من بين عدد من المعاني التي يسمح بها الأسلوب النحوي، مما يساعد في عملية التواصل بين أفراد المجتمع، لأن ترك الكلام من غير توجيه للمعنى يؤدي إلى ضياع الغاية التي من أجلها نتكلم، ومن ثمة كان من أبرز العناصر السياقية التي لها أثر بين في تحديد الدلالة المباشرة للأساليب اللغوية؛ هي معرفة منزلة المتلفظ بالأسلوب بالنسبة إلى سامعه أهي منزلة المتساوين أم هي منزلة الأعلى إلى الأدنى، أم العكس.[52]

وعلى هذا الأساس تكون هذه الأفعال الكلامية الدالة على الطلب على اختلاف صيغتيها قد حقّقت غرضها الإنجازي بالتأثير في المتكلم ليفعل شيئا أو يخبر عن شيء[53]، كما أنها تكون قد أنبأت عن محتواها القضوي الكامن في فعل المخاطب أو السامع شيئا ما في المستقبل، أي بتلبيته للطلب على اختلافه.

ولم تقف الأغراض التواصلية والوظائف الخطابية التي تؤدى بالأفعال الطلبية – الأمر والنهي – عند هذا الحد في القصة، بل ظهرت مجموعة من الأفعال القولية التي تفي بأغراض إنجازية وأفعال تأثيرية كشف عنها السياق والقرائن المصاحبة له، ومن هذه الأغراض:

5 - **المشورة:** وهي استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، وتعد المشورة

لون من الألوان البلاغية التي يفيدها الخطاب بالأمر والنهي في القرآن الكريم، وقد ظهر الغرض الإنجازي هذا في قوله تعالى بصيغتيه ﴿**اقْتُلُوا يوسف عليه السلام أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُم وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يوسف عليه السلام وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾[54]، فسياق الآية يصور الحقد العجيب الذي ملأ صدور الإخوة من يوسف عليه السلام؛ إذ أوصلهم الأمر إلى التشاور فيما بينهم في قتله أو نفيه، و»قيل هو من قول قوم استشارهم إخوة يوسف عليه السلام فيما يفعل به فقالوا ذلك، والظاهر أن أو اطرحوه؛ هو من قولهم أن يفعلوا به أحد الأمرين، ويجوز أن يكون (أَوِ) للتنويع؛ أي قال بعض اقتلوا يوسف عليه السلام وبعض اطرحوه.»[55]

أما فيما يخص صيغة النهي فمن الممكن أن تكون «الدلالة المشورة بدليل قوله (وَأَلْقُوهُ)، فهذا ما أشار به على إخوته»[56]، والقائل هو «يهوذا الذي كان أحسنهم – في يوسف عليه السلام- رأيًا، وأشار إلى أن القتل عظيم بدليل قوله ﴿**إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾، وهذا أسلوب شرط فيه محاولة من يهوذا لتخذيل إخوته عما اقترحوه من القتل والتغريب بأسلوب حكمي؛ إذ فوّض الأمر إليهم تعظيمًا لهم، وحذراً من سوء ظنّهم به، هذا ويدلّ النهي في هذا المقام على غرض آخر يفيد دلالة استجلاب الشفقة على يوسف عليه السلام، فاقترح حلاً وسطاً يلبّي غرض الإخوة ويشفي غليلهم، وفي الوقت ذاته يضمن نجاة يوسف عليه السلام من مكيدتهم؛ إذ أرشدهم إلى إلقائه في الجبّ أملاً في أن يلتقطه بعض السيارة؛ لذلك كان الأمر الواقع في قوله (أَلْقُوهُ) يعني «ألقوه في قعر الجب[57] وغوره، وسمي بها لغيبته عن عين الناظر، والأمر فيه إبداء المشورة لتأليف قلوبهم وتوجيهًا إلى رأيه، فإلقاء يوسف عليه السلام – عليه السلام في غيابة الجبّ هو الأمثل مما أشار به الآخرون، فهو الأقرب إلى التقوى فالأمر مستعمل في الإرشاد»[58]، فهذا الفعل الكلامي الذي أفادته صيغة الأمر الثانية قد دلّ على النصح والإرشاد لهم بعد الاستشارة والتشاور الذي كان بينهم، ويلاحظ أن كل فعل لغوي من هذه الآية على اختلاف نمطيه قد حقّق قوته الإنجازية ثم فعله القضوي، بأن وقعت المشورة وتم الاقتراح والانتصاح لما أُقترح من بعضهم، فكان لكل منهم نصيبه في إنجاز ما كان يصبو إليه.

6 - **التهديد والترغيب:** وهو طلب تكون فيه إخافة وتحذير من عدم الإجابة للمرغوب فيه، وفي الوقت ذاته تشويق وترغيب عند الإجابة، وقد وردت مثل هذه الدلالات والمقاصد في القرآن الكريم للتأثير في النفس؛ ومن ذلك ﴿**وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجِهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ**

﴿فَلاَ كَيْلَ لَكُم عِندِى وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾[59]، فهذه الآية تذْكُر تهديداً من يوسف عليه السلام لإخوته بأن يأتوه بأخ لهم من أبيهم، وذلك بفعل الأمر(ائْتُونِي)؛ الذي يخفي وراءه دلالتي الترهيب والترغيب، وفي ذلك يظهر ذكاء يوسف عليه السلام وفطنته، فقد جمع بين الترغيب والترهيب والتهديد في سياق واحد، فالترغيب في تعبيره ﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّى أُوفِى الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾، أما الترهيب والتهديد ففي قوله ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُم عِندِى وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾، فقد هدّدهم وتوعّدهم في حالة إنْ لم يأتوا بأخيهم (بنيامين) سيحرمهم من الميرة والطعام، فصيغة النهي بهذا الشكل لم يحصل فيها التطابق بين فعل القول والفعل الإنجازي؛ لأنه لم يقصد بها النهي حقيقة بل قصد التهديد والتخويف؛ ومنه يقع الفعل بإحداث تأثيرات ونتائج ملموسة في سلوك ومواقف إخوة يوسف عليه السلام.

هذا وقد «احتمل النهي أن يكون نفيًا معناه النهي»[60]، فالمعنى الظاهر للنهي هو التخويف والتهديد «أما المعنى العميق الآخر الذي قصده يوسف عليه السلام في نفسه كان نتيجة لإلهام رباني، فما فعله هو بوحي من الله تعالى لتكميل أجر يعقوب عليه السلام في محنته.»[61]

وقد ورد –أيضا- أن قوله (وَلاَ تَقْرَبُونِ) متضمّناً معنى عدم الاكتيال، وفي ذلك مزيد من التخويف والتهديد، لأنّ عدم القرب يعني بالضرورة عدم الحصول على الميرة رغم حاجتهم الماسّة إليها، ومن ثمة كان النهي عن القرب منه فيه سدّ للذريعة وقطع للوسيلة.

وهذه النماذج الكلامية التي وقفنا عندها في السورة وغيرها مما لم نبينه، قد أظهرت المنحى الدلالي والتداولي للقصة فقد أنزلها المولى عز وجل على رسوله الكريم ليستأنس بأحداثها، ويَعْتَبِر مما جرى فيها، ثم ليتّخذها وسيلة في الدعوة إلى عبادة الله ومعرفة أنّه حق، وهذا في الحقيقة ما سعت إليه النظريات اللغوية الحديثة؛ التي ترى أن الفعالية اللغوية لا تنتهي عند حدود صياغة الجملة ومعرفة قيمة الحقيقة فيها، وإنما تتعداها إلى فعالية تلفّظ الجملة، ودور هذا التلفّظ في تغيير مجال اجتماعي مخصوص، وتحويل موضوع الجملة الواقعي من موضع إلى آخر.[62]

الخاتمـــــة:

وأخيراً نستنتج أن القرآن الكريم اتّخذ وسائل متعددة لتبليغ الرسالة الإلهية، ولتمكينها في نفوس العالمين، ومن ذلك أنْ اختار النمط القصصي كوسيلة من وسائله، فالقصة القرآنية كقصة يوسف عليه السلام قد سيقت فيها الأحداث والوقائع بتراكيب

لغوية غنية بالأفعال الإنجازية والتأثيرية، وهي بتلك الأفعال التي اغتنت بها قادرة على صنع التغيير في حياة البشرية، أما عن أساليب الطلب- الأمر والنهي خاصة- فقد صبغت الأحداث بصبغة متميزة؛ إذ إنها حملت مقاصد تعبيرية متعددة، كونها لم تكن لتصف الواقع آنذاك، أو لتعبّر عن الأفعال المنجزة حينها، بقدر ما كانت لها أبعاد تداولية دينية ودنيوية، فالأفعال اللغوية المؤداة بأسلوبي الأمر والنهي في هذه السورة ستبقى الأغنى والأهم في هذا المقام؛ لأنّها تكون من أكثر الأساليب اللغوية نفوذا إلى الأعماق، واستقراراً فيها، فهي تؤثر في المخاطب تأثيرا مباشراً، ومن ثمة ليس غريباً أن تكون مشحونة بالقوى الإنجازية الحرفية والمستلزمة أكثر من غيرها من الأساليب اللغوية، وفي الحقيقة قد أظهرت الأساليب الطلبية للأمر والنهي التي وقفنا عندها في هذا العمل أنّ:

1 - الأمر قد حفلت به أحـــــــــــداث القصة لما فيها من مؤامرات واتهامات ثم مكائد وتحقيقات..، وغيرها، على عكس النهي؛ فهو بدرجة أقل من مثيله.

2 - ظهرت أساليب الأمر والنهي في السورة وذلك لتأدية الأغراض، والمقاصد المختلفة التي تحمل في طياتها إيقاظاً للشعور الإيجابي عند الفرد؛ وهو النعمة التي أنعم الله تعالى بها على عباده حتى يكون لحياتهم هدف ومعنى.

3 - جاء النهي في السورة تحديدًا على لسان يعقوب أوّلاً، وهو الأب الحنون النصوح الذي لم يتوان للحظة في توجيه أبنائه إلى ما فيه صلاحهم، والأكثر من ذلك أنه نبيّ يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وآخر على لسان يوسف عليه السلام؛ وهو الأخ الذي حباه المولى عز وجل بنعمة حب الإخوة رغم مكائدهم له، ونعمة النبوة التي أمر فيها بتبليغ رسالة ربّه وعبادته حق العبودية.

هوامش المقال:

(1) ينظر: طهماز عبد الحميد: الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف عليه السلام، دار القلم- دمشق، الدار الشاميـــــــــة-بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ1990-م، 14.

(2) قطب سيد: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق- بيروت، 134 – 135.

(3) صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة-بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، تموز(يوليو) 2005م، 10.

(4) ينظر: صحراوي مسعـــــــــــــــــــــــود: المرجع نفسه، 11.

(5) عتيق عبد العزيز: علم المعاني، دار النهضة العربية- بيروت، 1974م، 75.

(6) العلوي يحي بن حمزة: كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،

مطبعة المقتطف بمصر، دار الكتب الخديوية، 1914م، 3/281 – 282.

(7) الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع، ضبط وتوثيق: يوسف عليه السلام الصميلي، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، الطبعة الثانية، 1421هـ-2000م، 89.

(8) ينظر: سلطان منير: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1993م 120.

(9) السكاكي: مفتاح العلوم، مطبعة دار الرسالة- بغداد، الطبعة الأولى، 1402هـ- 1982م، 543.

(10) ينظر: القزويني: شروح التلخيص وبهامشه كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، 2/238.

(11) ينظر: دراز صباح عبيد: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن، مطبعة الأمانة- مصر، الطبعة الأولى، 1406هـ- 1986، 17-16.

(12) السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، الشؤون العلميـــة- السعودية، 5/1715.

(13) ابن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح: عبد اللطيف الخطيب، التراث العربي- الكويت، الطبعـــــــــــــــة الأولى، 1421هـ2000-م، 3/320.

(14) المبرد: المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب- بيروت- لبنان، 2/135.

(15) ينظر: ابن حزم علي بن أحمد: الإحكام في أصول الأحكام، نسخة منقحة ومصححة بإشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر- بيروت- لبنان، 1427/1428هـ2007-م، 1/3/245.

(16) ينظر: صحراوي مسعـــــــــــــــــــــود: التداولية عند العلماء العرب، 150

(17) ينظر: مطلوب أحمد: أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات- الكويت، الطبعة الأولى، 112.

(18) سورة يوسف عليه السلام، الآية 05.

(19) الألوسي محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي- بيـــــــــــــــروت, 12/373.

(20) ينظر: ابن عاشور الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م, 12/213 214-.

(21) سورة يوســـــــف عليه السلام، الآية 45.

(22) ابن عاشور الطاهر: المصدر نفسه، 12/283.

(23) سورة يوســـــــف عليه السلام، الآية 87.

(24) الرازي فخر الدين: التفسيـــر الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر- بيروت- لبنان، الطبعة الأولـــــــــــــى، 1401هـ- 1981م، 18/199.

(25) الدمشقي عبد الله العلمي: مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام، دار الفكر، 1355هـ،

.2/1178

(26) سورة يوسف عليه السلام، الآية 86.

(27) أبو السعود بن محمد: التفسير- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة- الرياض، مطبعة السعادة، 3/182.

(28) سورة يوسف عليه السلام، الآية 87.

(29) ينظر: أبو السعود بن محمد: المصدر السابق، 3/182.

(30) سورة يوسف عليه السلام، 101.

(31) الزمخشري جار الله: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، وعليه تعليقات كتاب: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين المالكي، دار المعرفة- بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ- 2009م، 2/478.

(32) ابن عاشور الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، 13/60.

(33) سورة يوسف عليه السلام، الآية 99.

(34) سورة الأعراف، الآية 49.

(35) ابن عاشور الطاهر: المصدر السابق، 13/55.

(36) البغوي: تفسيره معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة- الرياض، 1411هـ، 4/279.

(37) ينظر: الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية الدراية في علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف عليه السلام الغوش، دار المعرفة-بيروت- لبنان، ط04، 1428هـ- 2007م، 714.

(38) سورة يوسف عليه السلام، الآية 40.

(39) ينظر: نهر هادي: التراكيب اللغوية، دار اليازوري العلمية- عمان- الأردن، ط 2004م، 271.

(40) ينظر: سيرل جون، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم/ المركز الثقافي العربي- بيروت- لبنان، ط01، 1427هـ- 2006م، 221.

(41) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة- المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ- 2003م، 117.

(42) سورة يوسف عليه السلام، الآية 21.

(43) ينظر: أوستن جون: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، 1991م، 44.

(44) سورة يوسف عليه السلام، الآية 21.

(45) سورة يوسف عليه السلام، الآية 12.

(46) ينظر: أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي معوض، شارك في تحقيقه: زكرياء النوتي، وأحمد النجولي الجمل، قرطه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م، 5/285. الزمخشـــري جار الله: تفسير الكشاف، 2/305.

(47) سورة يوســـــــــــــــــف عليه السلام، الآية 29.

(48) ابن عاشور الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، 12 /258 - 259.

(49) ينظر: الرازي فخـــــــــــر الدين: التفسير الكبير، 17/127.

(50) ينظر: عطية محسن علي: الأساليب النحوية عرض وتطبيق، دار المناهج- عمان- الأردن، الطبعة الأولـــــــــــــــــــى، 1428هـ، 2007م، 75.

(51) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، 106.

(52) ينظر: المناع عرفات: السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي)، منشورات الاختلاف- الجزائر، مؤسسة السياب- لندن، منشورات الضفاف- لبنان، الطبعة الأولى، 2013م، 180.

(53) ينظر: نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م، -100 103.

(54) سورة يوســـــــــف عليه السلام، الآية 09 – 10.

(55) أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، 5/282.

(56) ابن عاشور الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، 13/227، أبو السعود 3/114.

(57) الجب هي بئر لم تطو، وهي البئر الكثيرة الماء البعيدة القَعْر. ابن منظور أبو الفضل: لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة، دار الحديث- القاهرة، 1434هـ- 2013م، 02/11.

(58) الألوسي محمـــــــــــود: روح المعاني، 12/385.

(59) سورة يوســـــــــف عليه السلام، الآية 59 – 60.

(60) أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، 5/319.

(61) الألوسي محمـــود: روح المعاني، 13/11 (بتصرف).

(62) ينظر: عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة- مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف- الجزائر، الدار العربية للعلوم- لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ- 2009م، 68.